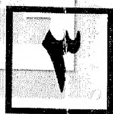


أفلاطون



سلسلة محاورات أفلاطون
مترجمة عن النص اليوناني

في السفسطائيين والتربية

(محاورة "بروتاجوراس")

ترجمة وتقديم

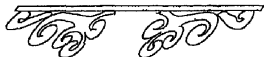
دكتور عزت قرنى

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع
عبده غريب

أفلاطون

في السفسطائيين والتربية

(محاورة «بروتاجوراس»)



سلسلة محاورات أفلاطون
مترجمة عن الأصل اليونانى

أفلاطون

فى السّفسطائيِّين والتربيّة

(محاورة "بروتاجوراس")

ترجمة وتقديم

دكتور عزت قرنى

دكتوراه الدولة فى الآداب من السّوربون

الناشر

دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)

٢٠٠١م

الكتـــاب : أفلاطون فى السفسطائيين والتربية (محاورة «بروتاجوراس»)
المـــؤلـــف : د. عزت قرنى
رقـم الإيـداع : ١٥٣٨٣ / ٢٠٠١
الترقيم الدولى : I S B N
977 - 303 - 293 - 0
تاريخ النشـــر: ٢٠٠١ م
الناشـــر : حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

دار قباء للطباعة و النشر والتوزيع

الإدارة : **شركة مساهمة مصرية**
٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج امون - الدور الأول - شقة ٦
التـــوزيـع : ٦٣٦٢٥٦٢- فاكس / ٦٣٧٤٠٣٨
١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)
المـطـابـع : ☎ ٥٩١٧٥٣٢ / ✉ : ١٢٢ (الفجالة)
مدينة العاشر من رمضان - المنطقة الصناعية (C1)
☎ ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

فهرس

فهرس الموضوعات — الصفحة

تقـديم

نقدم هنا ترجمة عن النص اليوناني مباشرة لمحاورة «بروتاجوراس» لأفلاطون ، على نفس الطريقة التى اتبعناها من قبل فى «فيدون» وفى «محاكمة سقراط» (محاورات «أوطيفرون» و«الدفاع» و«أقريطون») ، أى بمتابعة النص اليونانى حرفيا بقدر ما تسمح به الصياغة العربية ، مع التقديم للمحاورة بمقدمة شاملة وملاحقتها بتعليقات من النواحى الفلسفية واللغوية والتاريخية ، بما يناسب القارئ بالعربية .

وقد اتبعنا هنا أيضًا النص اليونانى الذى نشره جون بيرنت (Buenet) فى مجموعة أوكسفورد للمحاورات الأفلاطونية . وسيجد القارئ الترقيم المعتمد عند الباحثين فى داخل المتن . والمعروف أن كل صفحة تقسم إلى أقسام خمسة : أ ، ب ، جـ ، د ، هـ (ولا يشار إليها لأنها متضمنة فى مدخل كل صفحة جديدة) ، وكل قسم يحتوى فى العادة على ما بين سبعة أسطر إلى عشرة . وأحيانًا ما يشير الباحثون ليس فقط إلى رقم الصفحة ، بل وكذلك إلى رقم السطر فى القسم المعين (هكذا مثلا : ٣١٨ هـ٢) .

وقد استخدمنا ، لداعى التيسير ، الحروف اللاتينية لكتابة الكلمات اليونانية . ونشير على الخصوص إلى أننا كتبنا حرف «الابسلون» هكذا : e ، مهما يكن تشكيله ، وحرف «الايتا» : e ، وحرف «الثيتا» th ، وحرف «الأويسلون» : u ، وحرف «الفى» ph ، وحرف «الخى» : kh وحرف «الأوميجار» : o . أما باقى الحروف اليونانية فإن لها مقابلها الطبيعى فى اللاتينية .

وفى صفحات المقدمة وفى التعليقات وضعنا نصب أعيننا أننا إنما نكتب للقارئ بالعربية الذى يتجه إليه هذا الكتاب ، وقد حدد هذا طبيعة مضمون المقدمة والتعليقات ، وشارك فى هذا التحديد كذلك أننا اقتصرنا فى الأغلب على التعليق على نصوص «بروتاجوراس» فى اطار محاورات الشباب ، وقد كثرنا من الإشارة إلى نصوص المحاورات التى تتصل بها فى تلك المجموعة .

وقد حاول تفسيرنا للمحاورة أن يقف على ما توصل إليه جهد الآخرين بشأنها ، ولكنه يعتمد فى الدرجة الأولى والى حد بعيد جداً على معاشرتنا للمحاورات الأفلاطونية التى تمتد إلى عشرين عامًا اليوم .

وكلمة أخيرة حول المراجع . فقد يحدث أن نشير بالسطر إلى نص فى محاورة أخرى لأفلاطون أو فى محاورتنا هذه نفسها ، وهنا يكون مرجعنا هو نفس النشرة التى اعتمدنا عليها . وعند الإشارة إلى مرجع حديث ، فإننا فى العادة نشير إلى اسم مؤلفه وحسب ، مع رقم الصفحة ، معتمدين على وجود عنوان الكتاب كاملاً واسم مؤلفه فى قائمة المراجع فى نهاية الكتاب .

المقدمة

أهمية هذه المحاورة وموضوعها :

تنتمي محاورة «بروتاجوراس» إلى تلك المجموعة من محاورات أفلاطون التي أسماها مؤرخوه «بمحاورات الشباب» ، تمييزا لها عن مجموعتين أخريين تضمان «محاورات النضوج» و«محاورات الشيخوخة» ، وذلك تبعًا لتقسيم زمني إجمالي . وإذا كان من الصعب جدا في حالة محاورات الشباب على وجه الخصوص أن نحدد ترتيبًا نضع فيه تلك المحاورات ، إلا أنه من الممكن ، إذا أمسكنا بحبل البعد أو القرب من مذاهب أفلاطون التي يعلنها في محاورات مرحلة النضوج (وهذا نفسه يعني القرب أو البعد عن الاتجاهات التي يحتمل أنها كانت اتجاهات سقراط التاريخي) ، من الممكن أن تقسم مجموعة محاورات الشباب ذاتها إلى ثلاثة أقسام فرعية : قسم للمحاورات القريبة جداً من تأثير سقراط المباشر (ومنها «الدفاع» و«أقريطون» مثلا) ، وقسم للمحاورات الأبعد من ذلك بعض الشيء ، وقسم أخير للمحاورات التي تقترب من مرحلة النضوج وتمهد لها (ويدخل في هذا القسم الأخير على التوالي : «جورجياس» و«أوثيديموس» و«مينون» ثم «أقراطيلوس») . والأغلب أن تنتمي محاورة «بروتاجوراس» إلى القسم الأوسط من محاورات الشباب ، وربما ملنا إلى وضعها قريبا من نهاية هذا القسم الذي تسبقها فيه ، كما يبدو لنا ، محاورات مثل «ليزيس» و«خارميديس» و «لاخيس» ، وكلها تتحدث عن فضائل بعينها ، عن الصداقة والحكمة والشجاعة على التوالي. وسوف نشير في ثنايا هذه المقدمة إلى مكان «بروتاجوراس» بين محاورات الشباب ، ولكنا أشرنا من الآن إلى هذا المكان كتقديم للحديث عن أهميتها .

والحق أن أهمية «بروتاجوراس» أهمية متعددة الجوانب : تاريخيًا وأدبيًا وفلسفيًا .

١- فهى تعد أولاً وثيقة تاريخية ، وذلك من نواح عدة : فهى أوفى ما تركه الكتاب المعاصرون للحركة السفسطائية ، وصفا لها وتصويرا لزعمائها ووضعا لبعض اتجاهاتها ، وهى تطلعنا على المناخ الثقافى الذى كان سائداً فى أثينا وفى بلاد اليونان عموما ، فى الثلث الأخير من القول الخامس قبل الميلاد ، وتبرز لنا مشكلات ذلك العصر الفكرية على نحو يمتلىء حياة وإثارة ، بل هى تضع أيضًا بعض عظماء الساسة الأثينيين فى الميزان ، وعلى رأسهم بيريكليز الشهير ، كذلك فإنها تخبرنا عن طموح شباب العصر ، وعن تطلعه إلى مناصب السياسة ، وعن وسائله إلى ذلك ، ولنا أن نضيف أخيرا إشارتها إلى عدد كبير من الشخصيات التى ستلعب دوراً هامة على مسرح الحياة الأثينية فى مختلف أوجهها .

٢- وهى تعد كذلك عملاً أدبيًا مثيراً شائقًا ، وما أقربها إلى شكل المسرحية بفصولها ونقلاتها ، وهى تضم إلى الحوار الوصف والأسطورة والنقد الأدبى للشعر .

٣- وهى أيضًا وقبل كل شىء عمل فلسفى ، ولعلها من أولى محاورات أفلاطون هجوما صريحًا على الحركة السفسطائية ، وهى تجمع أهم زعماء السفسطائيين باستثناء جورجياس ، وتجعلهم يتكلمون جميعًا ، ولكنها تركز الاهتمام بالطبع على أعظم السفسطائيين قاطبة ، ألا وهو بروتاجوراس ، وتضعه وجها لوجه أمام سقراط وضعا يجمع إلى الاختلاف الشديد والخصومة الفكرية القاطعة الاحترام المتبادل بينهما على نحو صريح .

كان هذا عن أهمية المحاورة ، وسنعود إلى كل تلك المسائل بالتفصيل فى مواضعها ، ونأتى الآتى إلى موضوعها . هناك من يقول إنه التأكيد على مفهوم التخصص الفنى ونفيه عن بروتاجوراس ، ويمكن أن يقال إنه التأكيد على أهمية «العلم» ، أو إنه الفضيلة وإمكان تعليمها ووحدتها أو تعددها ، أو إنه مشكلة التربية عمومًا ، أو إنه معارضة السفسطائيين

وفضح ادعاءاتهم . وسيكون من السهل ولاشك أن نقول إن موضوعها هو هذا كله معا ، ولكن سيبقى هذا السؤال المزدوج : ما هو محورها ؟ وما هو هدفها ؟

ولعلنا لا نبتعد عن روح المحاورة ونصها معا حين نقول إن محورها هو مشكلة الفضيلة كمفهوم كلى ، وأن هدفها هو معارضة موقف السفسطائيين ، ممثلا فى بروتاجوراس ، بموقف سقراط وأفلاطون على نحو يؤكد عدم استحقاق السفسطائيين للقب «المعلمين» المتخصصين فى التربية . وسنعود من بعد إلى مشكلة الفضيلة وإلى موقف المحاورة من السفسطائيين . ولكن يجب أن نشير ، تكملة لهذه الإجابة حول موضوع المحاورة ، إلى أنها تدخل فى ثنايا البحث مفاهيم هامة ، بعضها هامة ، بعضها يتلقى علاجا أنضج مما كان عليه فى محاورات قد نعتبرها سابقة على «بروتاجوراس» ، ومن أمثلة ذلك مفهوم «الفن المتخصص» (tekhne) ومفهوم الضد ومفهوم الاتساق المنطقى ومفهوم «العامة» أو «الجمهور» ، وبعضها يظهر ظهورا واضحا ، ويمكن أن يعتبر من معالم الجدة فى محاورتنا هذه ، ومن أمثلة ذلك مفهوم «المقياس» ومفهوم العقاب ، هذا بالإضافة إلى بعض الإشارات التى يمكن أن تعد تمهيداً من بعيد لنظرية المثل الأفلاطونية .

«بروتاجوراس» كعمل أدبى :

ربما كان الانطباع الأول الذى يتلقاه القارئ المقدم على مطالعة «بروتاجوراس» ابتداء من صفحاتها الأولى هو أنها مؤلف ذو متعة ، وربما يكون هذا الانطباع الأدبى هو الذى يغلب على ما ستعيه ذاكرته عنها بعد انتهاء قراءتها . فمن ذا الذى سيقرأ المحاورة ولا يبرز أمام عينيه بعد ذلك، إذا ما ذكرت أمامه ، تصوير أفلاطون الرائع لمجلس السفسطائيين فى بيت كالياس وتجمع الأتباع حولهم (٣١٤هـ-٣١٦أ) ؟ أو اقبال أبقراط على سقراط فى الصباح المبكر (٣١٠أ-ب) ؟ أو دخولهما على بيت كالياس وتمنع الخادم فى فتح الباب لهما (٣١٤جـ-د) ؟ أو تهديد

سقراط بمغادرة حلقة المناقشة (٣٣٥ جـ وما بعدها) ؟ والحق أن أفلاطون يعطينا هنا عملاً فنيًا قويًا نجح فى طبعه بطابع المرح والشباب ، وفى إبراز جو المناقشات التى كانت تمتلىء بها دور أغنياء أثينا فى عصر سقراط والسفسطائيين ، وذلك على صورة حية ، وفى إظهار أن هذه المناقشات كانت مسرحا لصراع عنيف كأنه المبارزة ، ولكنه صراع تسوده الابتسامة ، وتلمع فيه السخرية ، ويصل أحيانا إلى حد اللعب الصريح (مثلا ٣٤١د ، وانظر كذلك ٣٣٦ جـ-د ، ٣٣٩ جـ ، هـ، ٣٤٠ أ ، د-هـ ؛ ٣٤١أ ، ٣٥٧ هـ ....) .

وتضم المحاورة عروضًا أخاذة لعدد من الأنواع الأدبية . فهى تجمع إلى الوصف استخدام فن «المحاكاة» والنقد الأدبى والشكل المسرحى واستخدام الأسطورة ، هذا فضلا عن صيغة الحوار نفسه وهى صيغة سقراطية وأفلاطونية معا . وقد أشرنا إلى المقاطع الوصفية ، وأجملها هو ما يصف منظر تحرك بروتاجوراس وبين يديه ومن خلفه الاتباع المنصتون اهتمامًا واحترامًا . ومن المقاطع الأدبية الجميلة كذلك النصوص التى ينسبها أفلاطون إلى بروديقوس والى هبياس (٣٣٧أ - ٣٣٨ب) ويحاكى فيهما طريقتيهما فى الكلام ، ناهيك عن الأسطورة التى ينسبها إلى بروتاجوراس (٣٢٠جـ) وخطبته الطويلة الافتتاحية (٣١٦جـ وما بعدها) ، بل خطبه التى تتناثر خلال الكتاب ، فتخفف من حدة المناقشة ومن حدة توتر انتباه القارىء معا (٣٣١د - هـ ، ٣٣٤ أ - جـ، ٣٥٠جـ - ٣٥١ ب) . وإذا كانت خطبة بروتاجوراس ، وهى مقطوعة فنية وأثر فكرى معا ، تفتتح الحوار أو تقدم له ، فان المناقشة بين الرجلين حول أبيات للشاعر سيمونيديس (٣٣٨هـ وما بعدها) تأتى لتقطع الحوار الفلسفى فى الوقت المناسب ، ولتعيد القارىء إلى إطار أدبى يتنافس فيه سقراط نفسه مع بروتاجوراس ، مما يدفع البعض إلى المقارنة بين خطبة سقراط هنا (٣٤٢-٣٤٧أ) وخطبة بروتاجوراس الأولى ، وخاصة من حيث الرجوع فى الحالتين إلى التراث وإلى القدماء . ولا يقتصر هذا النقاش حول النقد الأدبى على سقراط وبروتاجوراس وحدها ، بل يشرك فيه سقراط السفسطائيين الآخرين

بردويقوس وهبياس . وإلى جانب المحاكاة والنقد الأدبى فإن تقسيم الحوار يقترب كثيرا من فن التأليف المسرحي ، فلا يجب أن ننسى أن أفلاطون بدأ حياته ، فيما يقال ، شاعرا وكاتبًا للمسرحيات ، ولكنه أحرق ما كتب، فيما يقال أيضًا ، بعد اتصاله بسقراط . ورغم هذا فإنه يمكن أن نتصور فى سهولة أن «عرق الشعر» ظل ينبض فى قلب أفلاطون فترة طويلة بعد ذلك على الأقل .

والمحاورة تنقسم فى الواقع إلى ثلاثة محاورات : حوار تمهيدى بين سقراط والشخصية المجهولة ، ثم الحوار بين سقراط وأبقراط ثم الحوار الأخير والرئيسى بين سقراط وبروتاجوراس . وحتى فى هذا الحوار الرئيسى نجد تقديمًا ثم خطبة طويلة ثم عودة إلى الحوار ثم حديثا عن الشعر ثم عودة أخيرة إلى الحوار ، ونجد هنا وهناك حديثا عن الشعر ثم عودة أخيرة إلى الحوار ، ونجد هنا وهناك حديثا اعتراضيا مع هبياس وبروديقوس أو كلمة لهذا ولذاك . وهكذا يمكن أن نقسم الحوار إلى فصول كأنه المسرحية ، وبين بعض أجزائه الرئيسية توجد لحظات توقف تسمح للقارئ أن يلتقط أنفاسه. وعلى أية حال فإن هناك من يقرب بين هذه المحاورة ومسرحية للشاعر أو بوليس ، وكانت تسمى «المتملقون» وقد مثلت هذه المسرحية عام ٤٢١ قم. ، وهى تدور بأحداثها كذلك فى بيت كالياس ، ويأتى اسم المسرحية من المتملقين الذين يلتفون حوله ، وهم السفسطائيون هنا أيضًا ، كذلك فإن بروتاجوراس كان صاحب الدور الرئيسى أيضًا فى جوقة النفاق هذه . وهذه كلها أوجه تشابه واضحة ، وإن تكن خارجية ، مع هذا الاختلاف الكبير : أن سقراط فى مسرحية «المنافقون» كان يدخل ضمن فريق أهل السفسطة ، أما هنا فى محاورتنا فإنه يصبح المعارض لهم .

أخيراً فإن المحاورة لا تخلو من تحليق الخيال ، حيث يقدم بروتاجوراس أسطورة تحكى عن الآلهة ما صنعوا عند خلق البشر . ومما يؤكد الطابع الأدبى المقصود للمحاورة أن كثيراً من الشخصيات التى تذكرها محاورتنا سنعود إلى رؤيتها فى محاورة «المأدبة» ، وهى محاورة ذات أهمية

فلسفية لاشك ، ولكن أهميتها الأدبية أظهر ما تكون وتحتل المكانة الأولى لأول وهلة بين جوانبها المختلفة .

شخصيات المحاورة :

تذكر المحاورة عدداً كبيراً من الشخصيات التى كانت حاضرة أثناء النقاش (٣١٤هـ وما بعدها) ، كذلك فإن من يتكلمون فيها عدد كبير بالفعل وهم على التوالى : متحدث مجهول ، سقراط ، أبقراط ، العبد حارس الباب فى بيت كالياس ، بروتاجوراس ، كالياس ، ألقبيادس ، كريتياس ، بروديقوس وهبياس . أما الحضور الصامتون فأهمهم خارميديس خال أفلاطون الذى سمي باسمه إحدى محاوراته ، والشاعر أجاثون والطبيب اريكسيماخوس اللذان سيظهران فى محاورة «المأدبة» ، وانضف كذلك ابنى الحاكم بيريكليز .

وإذا أتينا إلى من تحدثوا بشىء نجد منهم كريتياس ، الذى كان من أقرباء أفلاطون ، وأحد الطغاة الثلاثين ، ومن الساسة ذوى الاهتمامات الفلسفية ، ونجد كالياس رب المنزل الذى نزل فيه السفسطائيون ، وهو من بيت من أشرف وأثرى بيوت أثينا ، كما يقول هبياس فى محاورتنا (٣٣٧د) ، وكانت أمه قد تزوجت بيريكليز بعد أبيه . وإذا كان كالياس سينحاز إلى جانب بروتاجوراس ، حين يطلب من سقراط (٣٣٦ب) أن يترك له حرية النقاش على النحو الذى يريده ، وربما كان يفعل ذلك لميله الفعلى إلى بروتاجوراس أو تأدية لواجبه كمضيف للسفسطائى الكبير ، فإن شخصًا لامعًا ، تربى فى بيت بيريكليز وتربطه به علاقة وثيقة هو الآخر ، ينحاز إلى جانب سقراط ، ذلك هو ألقبيادس الذى يحتل فى المحاورة مكانا هامًا ، رغم قلة ما تفوه به من كلمات . فهو أول ما يذكر، وفى السطور الأولى نفسها (٣٠٩أ) ، حين يسأل المتحدث المجهول سقراط من أين أتى وإلى أين هو ذاهب ، وعما إذا كان ذاهبا للقاء ألقبيادس ويبدو أن سقراط كان يكن لألقبيادس ، على الأقل عندما كان هذا شابا ، اعجابا خاصا ، ليس لجماله ، بل لمواهبه كما يؤكد أفلاطون فى المحاورة

التى سماها باسم هذا السياسى الطموح ، محاورة «ألقبيادس» . وربما كانت سن ألقبيادس وقت الحوار قد تعدت الثامنة عشرة ، لأن المتحدث المجهول يقول إن لحيته قد ظهرت ، ويبدو وقد تعدى سن الصبى ، بل سن الشباب المبكر . وذكره هذا فى بداية الحوار ، وعلى هذه الطريقة ، يؤكد علاقته الخاصة بسقراط ويهيىء على نحو ما لمناصرته له بعد ذلك ، حين لا يريد بروتاجوراس الاستمرار على طريقة السؤال والجواب . وموقف ألقبيادس هنا (٣٣٦ب-د) موقف يتسم بالعنف ، ويبدو أن هذا كان من عادته ، لأن كريتياس حين يتدخل (٣٣٧د) لتهدئة الموقف يشير إلى أن ألقبيادس يريد دائمًا أن ينتصر الرأى الذى يدافع عنه أيا ما كان هذا الرأى .

وعندنا أن كلمة ألقبيادس من أحسن ما قيل لحظة توقف الحوار تلك، وهى مبنية بناءً ماهراً ، بحيث تتسم بالعنف والدقة معا . وهى تتسم بالعنف لأن ألقبيادس يتهم كالياس ، الذى طلب من سقراط أن يترك بروتاجوراس يتكلم على طريقته ، بأنه ليس عادلاً ، ثم يثنى بهجوم بارع على بروتاجوراس يمس الوتر الحساس عنده : وتر التفوق المطلق فى كل ما يمس فن الكلمة . فإذا كان بروتاجوراس يعترف بأنه أقل من سقراط فى النقاش ، فليكن ، وسقراط فى رأى ألقبيادس لا يطلب أكثر من هذا ، أما إذ كان يريد أن ينافسه على المركز الأول فلينزل إذن إلى المناقشة وليقبل طريقة الأسئلة والأجوبة ، «وذلك بغير أن تمتد إجاباته على كل سؤال لتكون خطبة طويلة ، وبغير أن يتحاشى الرد على الحجج وأن يرفض إعطاء البرهان» (٣٣٦جـ-د) . والمدقق فى كلمة ألقبيادس يرى أنها تبدأ بمقدمة ثم تحدد موقف سقراط ثم تلقى تحديا إلى بروتاجوراس ، وتنتهى بتلخيص مقتضب لموقف المتكلم ، يختتم بكلمة تبرير لعلها كانت من عبارات الخطباء التقليدية : «فاعتقادى إذن هو أن سقراط محق تمامًا فيما قال ، ما دام من الواجب على كل شخص أن يكشف عن رأيه» (٣٣٦د) . ولكننا ربما قد نخطئ إذا اعتبرنا ألقبيادس ممثلا هنا لسقراط ، فالحق أنه إذا كان يدافع عن سقراط فإنما ذلك على طريقة حلبات المناقشة والمنافسة

على السيطرة على الخصم والانتصار عليه : «إذا أراد بروتاجوراس أن يعترف بأنه أقل من سقراط قدراً فى الحوار، فإنه يكفى سقراط هذا» (٣٣٦جـ) أما سقراط فإن هدفه المعلن ليس الانتصار على بروتاجوراس بل الاستفادة منه ، وليس الغلبة بل تعميق البحث فى مشكلة ذات أهمية، وهى مشكلة الفضيلة (مثلا ٣٢٠ب-جـ ، ٣٤٨ جـ وما بعدها، ٣٦٠ هـ وما بعدها) .

ولكن إذا أردنا إقامة علاقة ما بين الاثنين ، فإننا قد نقول إن ألقبيادس هو «شيطان سقراط» ، أى الممثل للجانب «السالب» ، كما يقال هذه الأيام ، من سقراط . فهو «يفضح» سقراط حين يعلن أنه لا ينسى شيئًا فى الواقع رغم زعمه ضعف ذاكرته (٣٣٦د) ، ومن ناحية أخرى فإن سقراط يتنصل على نحو ما من محبته ، حين يعلى عليها فى بداية المحاورة محبة الفلسفة (٣٠٩جـ) . كذلك فإن ألقبيادس يقوم نيابة عن سقراط ببعض «المهام الشاقة» التى يقتضيها الحوار أحيانًا : فهو يتدخل ثانيًا (٣٤٧ب) ليمنع هيباس من الانطلاق فى خطبة جديدة حول الشعر، ويطلب الرجوع إلى موضوع الحوار وهو الفضيلة ، ثم يتدخل ثالثًا (٣٤٨ب) ليضغط على بروتاجوراس ، مهددا له ولاعبًا على نفس الوتر الذى أشرنا إليه ، وذلك من أجل العودة هنا أيضًا إلى موضوع الحوار ، وهنا كذلك تتسم كلمته بالعنف الشديد .

وعلى قدر عنف ألقبيادس نجد وداعة أبقراط ، وهو الصبى الذى بسببه دار الحوار بين سقراط وبروتاجوراس . ولعل أهم صفتين لهذا الشاب هما التحمس من جهة والخجل من جهة أخرى . وليس التحمس على الدقة تحمسا لنيل دروس بروتاجوراس ، بل هو تحمس من أجل الحصول على وسائل النجاح السياسى ، أو قل هو التلهف على المجد ، وهو ما يجعله يجرى إلى بيت سقراط من الفجر ليصحبه إلى حيث ينزل بروتاجوراس . وهو فى هذا نموذج لكل شباب أثينا ، وهو هنا يشبه ألقبيادس ، ولكنه يختلف عنه اختلافًا هامًا ؛ ربما كان راجعًا إلى فرق فى

السن، ذلك هووداعته ، التى تأخذ شكل سهولة الانقياد لتعاليم سقراط ، أو سهولة متابعته ، والتى تتجسم فى النهاية فى احمرار وجهه خجلا حين أدرك أن جريه وراء السفسطائى قد يفسر على آنه يريد أن يصير هو نفسه سفسطائيا • وما من ريب فى أن معظم الشخصيات الى تمتلأ بها هـذه المحاورة ، بل كلها ، موضوعة من أجل ابراز هذه الخاصية أو تلك من نواحى سلوك سقراط ومواقفه ، وربما كان أهم ما يخدم به أبقراط من هذه الزاوية هو أنه يسمح بالتنبيه على ثقة الشـباب بسقراط ، أو على الأقل ثقة فئة لا يستهان بعددها من الشباب ، ونجد فى هـذه الفئة على السواء من يمثله أبقراط ومن يمثله ألقبيادس •

ولنأت الآن الى السفسطائيين الحاضرين غير بروتاجوراس • وربما كان اهتمام أفلاطون موجهـا الى بروديقوس فى المحـل الأول أكثر من هبيـاس • وهنـاك على ذلك دلائل شـكلية : فاذا كان صـحيحا أن أن المحاورة تصف مجلس هبياس (٣١٥ ب ــ جـ) قبل وصـفها لمجلس بروديقوس (٣١٥ جـ ــ هـ) ، الا أنهـا تخص هـذا الأخير بتشـبيه هوميرى حين تستشهد بشأنه بشعر من « الأوديسه » لهوميروس وكأنه « طانطال » ، كذلك فانها تخصه بحيز أكبر من السطور وبكلمة مديح بل بكلمتين : فهو عالم كامل ورجل نال أنعم الآلهة (٣١٥ هـ) ، بينما هى لم تفعل ذلك (٣١٥ ب ــ جـ) مع هبياس • ومن جهة أخرى فان اسـم بروديقوس عادة ما يسـبق اسم زميله السفسطائى فيما يلى من نصوص (أنظر مثلا ٣١٧جـ ، ٣٣٧ أ ــ جـ) • وهناك كذلك دلائل أخرى غير الدلائل الشكلية على أولوية بروديقوس : ذلك أن سقراط يعلن أنه (أى سقراط) تلميذ لبروديقوس : (٣٤١ أ) ، وأيا ما كان قدر السخرية فى هذا القول ، الا أنه دليل على مكانة خاصة لهذا السفسطائى • وهو يستشهد به أكثر بكثير مما يستشهد بهبياس (أنظر ٣٣٩ هـ وما بعدها) ، ويكيل له المديح عيانا (٣٤٠ أ ــ ب ، ٣٤٠ هـ ــ ٣٤١ أ) • أما هبياس فانه لا يكاد يطلب الكلمة (٣٤٧ أ ــ ب) حتى يمنعـه ألقبيـادس من الاسـتطراد ، كذلك فان

بروتاجوراس نفسه يلقى اليه هو الآخر بسهامه (٣١٨ هـ) • وتصوير الاثنين مختلف بالطبع فى مفتتح النقاش (٣١٥ ب وما بعدها) : فهبياس هو الرجل الموسوعى الذى يحل المعضلات سواء منها ما يخص مسائل الطبيعة والفلك (٣١٥ جـ) ، أو ما يخص مسائل الحساب والهندسة والموسيقى (٣١٨ هـ) • أما بروديقوس فانه يصور ملفوفا فى الفراء (وربما كان هذا بسبب البرد ، ويفترض البعض أنه ربما كان ذا حساسية خاصة للمرض مما قد يقربه من « المريض بالوهم » الذى نراه فى المسرحية المعروفة بهذا الاسم للمسرحى الفرنسى موليير) ، وصوته الخشن يرن فى حجرته • كذلك فان كلمتيهما الطويلتين بعض الشىء (٣٣٧ أ وما بعدها) تنبئان عن اختلاف مجالات اهتمامهما : فبينما يعشق بروديقوس فن التخصيص ، فان هبياس يؤكد على آرائه السياسية التى ترى فى اليونان مجموعة قومية واحدة •

ولاحاجة بنا الى البرهنة على أن شخصية بروتاجوراس هى الشخصية الرئيسية بين السفسطائيين فى محاورتنا هذه • ولعل أهم ما يخرج به القارىء من صورة بروتاجوراس هنا هو الاحترام الكبير الذى يكنه له الجميع بمن فيهم وعلى رأسهم سقراط • ففى أكثر من مكان من المحاورة يشار اليه على أنه « الحكيم » ، أى العالم (sophos) ، بل شيخ علماء العصر (٣٠٩ د) ، وقد بلغ صيته كل أطراف بلاد اليونان ، ويسير فى ركابه من مدينة الى مدينة العديد من مواطنى مدن مختلفة • وهو ما أن يبلغ أثينا حتى يصبح وصوله الحدث الأكبر فى المدينة (٣٠٩ د ، ٣١٠ جـ ، ٣١٤ د ــ هـ) وكل مايتفوه به موضع اهتمام ، كما أن التصفيق والاستحسان عادة ما يكون نصيب كلماته (مثلا ٣٣٤ جـ ، ٣٣٩ د) بل ان سقراط لا يخفى أن الحديث مع بروتاجوراس بل مجرد الاستماع اليه متعة أى متعة (انظر مثلا ٣١٧ د ، ٣٣٥ جـ ، ٣٤٧ جـ)• ولاشك أن وراء ذلك كله علم بروتاجوراس، ولكن هناك تأكيدا خاصا على عمره ، الذى يجعله فى سن الوالد لكل الحضور ، وعلى اتساع تجربته ، وهما أمران يشير اليهما بروتاجوراس نفسه وسقراط كذلك (٣١٧ ب ــ جـ ،

٣١٨ ب ، ٣٢٠ ب — ج) • ويظهر بروتاجوراس خلال المحاورة متعدد الصفات : فهو فيلسوف سياسى وأخلاقى ، وله آراء حول المجتمع والدين والتربية ، وهو معلم مرب وخطيب يعرف كيف يستخدم البرهان والأسطورة على السواء ، وكيف يكون ساحرا حيث يشاء • وهناك اشارات متعددة الى صورة بروتاجوراس فى نظر نفسه ، وأهم ملامحها الى جانب سنه الكبير ، جرأته فى اعلان أنه سفسطائى مع تلافى المخاطر التى تحيق بذلك (٣١٧ ب) ، وتفوقه فى فن التربية وتكوين المواطن المفيد لنفسه وللمدينة (٣٢٨ ب) ، وخلوه من الغيرة من الآخرين (٣٦١ هـ) ، وهل هناك من يفوقه ، أى بروتاجوراس ، بين أهل عصره حتى يغير منه ؟

وتحوى المحاورة وضعا لبعض المذاهب فى الأخلاق والتربية والسياسة ينسبها أفلاطون الى بروتاجوراس ، وهى تعبر عن اتجاه يمكن أن نسميه بالاجتماعى ، لأنه ينظر الى هذه المسائل كلها من وجهة نظر المجتمع ، ويظهر هذا على الأخص حين يفسر بروتاجوراس الأخلاق كضرورة حضارية أو اجتماعية (مثلا ٣٢٣ أ) • ويصعب جدا أن يقرر الباحث ما اذا كانت الخطبة الطويلة التى يلقيها فى المحاورة (٣٢٠ د — ٣٢٨ د) نقلا لخطبة ألقاها بروتاجوراس التاريخى نفسه أو كانت تأليفا أفلاطونيا محضا أم تأليفا يقوم على بعض اتجاهات عبر عنها بروتاجوراس التاريخى نفسه • وعلى أية حال ، فان أهم المذاهب الفلسفية التى تنسبها المصادر التى يعتمد عليها المؤرخين الى بروتاجوراس ، ونقصد مذهبه فى النسبية وفى أن « الانسان مقياس كل شىء » ، يجد صدى هنا وهناك فيما يتراءى لنا (انظر ٣٣٤ أ — ب ، ٣٥٦ جـ ، د ، هـ) •

ورغم رنة الاحترام والاعجاب ، الا أن تصوير أفلاطون لبروتاجوراس تصوير سىء فى جملته : فهو يؤكد على صفة بروتاجوراس «كخطيب» ، قد يكون ساحرا ، ولكنه يتجاهل فن الحوار ، ويصوره تاجرا للمعرفة (٣١٦ب) يجيد فن الدعاية لنفسه (٣١٦جـ — ٣١٧ جـ) ، ويعرف كيف

يبرر قبوله للأجر ، هذا ناهيك عن كشف سقراط لتناقضات بروتاجوراس كما سنرى •

ولكن أفلاطون ربما حاول موازنة نقده هذا لبروتاجوراس بابرازه اتساع أفق السفسطائى الكبير حين يعترف بروتاجوراس لسقراط بتفوقه (أى سقراط) على من هم من جيله ، وبتوقعه أن يبلغ سقراط مكانة عالية بين « الحكماء » (٣٦١ هـ) •

ويجب أن نتساءل أخيرا : ولم سمى أفلاطون هذه المحاورة باسمه ؟ أو على نحو أدق : لم جعله الشخصية السفسطائية الرئيسية فيها ؟ لا يكفى أن نقول ان سبب ذلك هو أهمية بروتاجوراس ، لأن أفلاطون لم يسم احدى محاوراته باسم بروديقوس رغم مكانته العظيمة فى الحركة السفسطائية • انما العلة الأدعى الى القبول هى أن بروتاجوراس يناسب موضوع المحاورة ، وهو مشكلة تعليم الفضيلة : فقد كان بروتاجوراس يؤكد على دور السفسطائى فى هذا المجال ، بينما كان جورجياس يؤكد على تعليم الخطابة ، وبروديقوس على علم اللغة ، وهيباس على العلوم الرياضية وما قاربها •

وليس من شك عندنا فى أن الشخصية الأولى فى المحاروة انما هى شخصية سقراط : فعلى رغم أن المحاورة تتسمى باسم بروتاجوراس ، الا أننا اذا تساءلنا أيهما هو فى خدمة الآخر ، لوجدنا أن مواقف بروتاجوراس انما هى مناسبة لتحديد مواقف سقراط وليس العكس • ويمكن أن نحيط بأطراف شخصية سقراط كما يظهر فى هذه المحاورة بمعالجة المسائل التالية : سقراط فى نظر مواطنيه ، وفى نظر بروتاجوراس وهيبياس ، وفى نظر نفسه ، واهتماماته ، وأخيرا سلوكه أثناء الحوار •

ومواطنو سقراط يبدون له احتراما وتقديرا ، بل وتعلقا : فأبقراط الشاب يسعى اليه ليكون من يقدمه الى بروتاجوراس ، وألقبيادس يدافع عنه فى حمية بل فى عنف ، وكالياس يعلن أنه ليس عنده أمتع من الاستماع الى نقاش يكون طرفاه سقراط وبروتاجوراس (٣٣٥ د) • وله أيضا

تقدير كبير عند بروتاجوراس نفسه (٣١٨ د ، ٣٦١ هـ) ، الذى التقى به من قبل كثيرا ، ويعرف بعض طرائقه فى الحوار (٣٥١ هـ) ، ويعرف حماسه . بل ان هبياس يدخله فى زمرة العلماء فى نص ٣٣٧ د ، وهو نص قد يسمح للبعض بفهم أنه يدخله أيضا فى زمرة « السفسطائيين » بالمعنى الحسن لهذه الكلمة الذى كان سائدا وقت الحوار ، أى أصحاب العلم المتخصصين .

ولكن من هو سقراط فى نظر نفسه ؟ انه رجل اشتغل بالتأمل طويلا حور أمور التربية والفضيلة (انظر ٣٢٨ هـ ، ٣٦١ جـ ــ د) ، وهو يعرف جيدا قصائد الشعراء التى يعتبرها السفسطائيون والجمهور مادة التربية الخلقية (٣٣٩ ب ــ جـ) ، ولكنه لا يعلن لنفسه مواقف محددة ، بل هو مستعد دائما لتقبل الرأى المختلف (انظر٣١٩ أ ــ ب ، ٣٢٨هـ) ، وهو يؤكد أهمية التداول الفكرى من أجل الوصول الى وضوح (٣٢٠ ب ــ جـ ، ٣٦١ د) ، ولا يخشى من اخفاء حيرته أمام صعوبة المسائل المطروحة ، ويرى ضرورة الاستمرار فى دراستها وتعمقها أكثر وأكثر (٣٦١ جـ ــ د) .

وما هى الآن الأمور التى تشغل بال سقراط ؟ ربما كانت الاجابة الأولى التى ترد على الخاطر أنها أمور الفلسفة أو الحكمة أو العلم بصفة عامة (انظر مثلا ٣٠٩ جـ ــ د) ، أو أنها ما يخص مشكلة الفضيلة بوجه خاص (انظر مثلا ٣٦١ جـ) ، ولكننا نميل الى البحث عن الاجابة فى الحوار الافتتاحى الهام بين سقراط وأبقراط . فمنه نعلم أن أعظم ما يشغل سقراط هو « العناية بالنفس » (انظر ٣١٣ أ وما بعدها) ، وعلى وجه أخص العثور على طبيب فريد هو «طبيب النفوس»(٣١٣هـ) . وما من شك فى أن كلام سقراط يتضمن أنه هو هذا الطبيب ، أو قل انه على الأقل « مطهر » النفوس من أوهامها ، وهو ما يفعل على السواء مع أبقراط (انظر ٣١٢ هـ) ومع بروتاجوراس (٣٦٠ هـ) .

وهذا الهدف ، هدف « التطهير » من وهم ادعاء العلم ، هو الذى

يحكم كثيرا من مواقف سقراط خلال الحوار : فهو يضع نفسه من البداية فى مكانة أدنى من مكانة المتحاور معه (وهو ما يأخذ فى محاورتنا هذه شكل « الاحترام » بينما أخذ فى محاورة «أوطيفرون» مثلا شكل النفثة سخرية فى غرور رجل الدين) حتى يجعله يخرج فى حرية ما فى نفسه من « علم » • ثم هو يدعى الجهل حتى يحمل المتحدث معه مسئولية كل النتائج ، وادعاء الجهل هذا يأخذ فى محاورتنا شكل ما سنسميه «بالمكر» • أخيرا ، فانه يهتم أكثر ما يهتم بالطريقة وبالمنهج ، حيث أن هدف التطهير ليس من شأنه اضافة معارف جديدة بل التخلص من الزائف من الادعاءات •

أما عن الاحترام الذى تزخر المحاورة بدلائله ، فما من شك أنه يعبر عن موقف فعلى لسقراط ولأفلاطون باذاء بروتاجوراس ، والدليل على هذا هو تكرار مظاهره فى محاورات أخرى وعلى الأخص فى«ثياتينوس» (١٥٢ أ ، ١٦٥ هـ — ١٦٦ أ ، ١٦٨ جـ) •

ومع هذا فمن المؤكد أيضا أن له وظيفة منهجية هى تلك التى أشرنا اليها ، والتى تتجسد حين يبدأ بروتاجوراس باعلان أنه من « السهل » عليه كثيرا أن يجيب على سؤال سقراط (٣٢٩ هـ) (وقارن فى « أوطيفرون » ٥ د — هـ) •

ومما يؤكد أن فى احترام سقراط المعلن لبروتاجوراس جانب منهجى أن هذا الاحترام لا يمنع « مكر » سقراط من أن ينشط : فهو لا يبدأ الا باثارة « صعوبة صغيرة » (٣٢٩ ب) ، ويعرف كيف يختار توقيت التهديد بمغادرة الحلبة (٣٣٥جـ) ، وكيف يضع بروتاجوراس فى الحرج (٣٣٤ جـ — د ، ٣٣٥ ب — جـ ، وارجع الى ٣٢٩ أ — ب) ، بل ان مكره يبلغ درجة اللعب الصريح حين يقدم ثلاثة تفسيرات مختلفة لقصيدة فى الشعر (٣٣٨ هـ وما بعدها) ، وحين يتراجع عن احداها معلنا أنه كان يمزح (٣٤١ د) ، ولكنه لا ينسى أن يلقى تبعة ذلك على بروديقوس البرىء مدعيا أنه هوالذى كان يلعب به (أى سقراط) وببروتاجوراس معا (نفس الموضع) • ولكن مكر سقراط يتضح أعظم الوضوح حين

يفضحه ألقبيادس صراحة : ذلك أن سقراط يدعى أنه لا يحتمل الخطب الطويلة لأن « ذاكرته ضعيفة » ، ولكن الواقع غير ذلك ، فيما يؤكد ألقبيادس ، لأن سقراط لا ينسى شيئا (٣٣٦ د) • ولكن أعظم دليل على مكر سقراط يأتينا من سقراط ذاته : فذلك الذى يزعم أنه لا يعرف فن الخطبة الطويلة يعود ليقدم هو نفسه خطبة مستطردة حول الشعر(٣٤٢ أ وما بعدها) يمكن أن تقارن بخطبة بروتاجوراس الأولى (ولكن راجع ما سنقوله عن تلك الخطبة السقراطية فى القسم المخصص للحديث عن « خطوات الحوار ») •

ورغم هـذا كله فان سقراط يبقى أولا رجل المنهج : ذلك أن ما سيؤكد عليه فى نهاية حواره مع أبقراط (٣١٣ ب ، ٣١٤ أ — ب) وفى نهاية حواره مع بروتاجوراس على السواء (٣٦٠ هـ وما بعدها) ، هو ضرورة الفحص الدائم على نحو يوفر الوضوح ، وسنعود الى قواعد الفحص السقراطى ، أى قواعد المنهج ، بعد قليل فى قسم تال •

السفسطائيون والحركة السفسطائية

نخطأ اذا ظننا أن « بروتاجوراس » مؤلف ذو صبغة تأريخية : فلم يكن هدف أفلاطون من كتابتها أن يؤرخ للحركة السفسطائية ولآراء شيخها ، بل هو مؤلف فلسفى يضع آراء أفلاطون (وربما كان فيها الكثير مما يرجع الى سقراط التاريخى) ويرمى الى معارضة الاتجاهات السفسطائية فى التربية والأخلاق باظهار أنها لا تقوم على أساس قوى • ولكن أفلاطون اذ يفعل ذلك فانه لا يخلق خصومه من العدم ، بل هو مجبر أن يحترم الخصائص الأساسية للحركة السفسطائية ، حتى وان شوه بعض معالمها بالمغالاة ، وأن يحترم السمات الفعلية لكبار السفسطائيين الذين يصورهم فى محاورته • ومن هنا فان لمحاورتنا هذه صبغة ، ان لم تكن تأريخية ، فلها على الأقل صبغة تاريخية بعض الشىء ، وسنحاول فيما يلى أن نستخرج منها ما تتضمنه ثناياها من أخبار عن السفسطائيين وحركتهم •

ونحن نرى السفسطائيين أول ما نراهم فى أعين الآخرين . ويمكن أن نقول ان الحاضرين يقفون فى جملتهم فى صف السفسطائيين ، ولا نجد فى « المعسكر » الآخر الا سقراط وألقبيادس ، بينما أبقراط الشاب متردد حائر بين الجانبين . وربما كان الدليل المحسوس على موقف الحاضرين ذلك هو توالى التصفيق لما يقوله بروتاجوراس (٣٣٤ جـ ، ٣٣٩ د) ، وهذه الرغبة الشديدة فى الانصات اليه ، التى يشترك فيها العديد من التابعين الغرباء وأهل أثينا المبهورين .

والتابعون والمعجبون يلتفون حول بروتاجوراس وحول بروديقوس وهبياس على السواء ، وان يكن نصيب الشيخ الكبير منهم نصيب الأسد ، وهذا حق . ونلاحظ وجود تنافس بين السفسطائيين الثلاثة على جذب الأنظار اليهم (انظر ٣١٧ جـ ، ٣٣٧ أ — ب ، ٣٤٠ جـ) وجذب الأنظار اليهم يعنى تلاميذ جددا وحظا أوفر من الأجر . وهم من أجل هذا يستخدمون كل ألوان الدعاية الممكنة ، ويشبهون بالفعل ، أو هكذا يريد أفلاطون أن يصورهم ، التجار الذين يعرفون كيف يعرضون سلعهم فى الأسواق ، أو الحواة الذين يبرزون عضلاتهم ليتجمع من حولهم المشاهدون .

وعضلات السفسطائيين من كلمات ، وأذرعتهم هى الألسن ، وساحاتهم هى ساحات النقاش ، وأسلحتهم تسمى البرهنة والخطبة والأسطورة كذلك (ومشهور عن بروديقوس أسطورة طريفة عن « هرقل بين الفضيلة والرذيلة » لعله كان يلقيها كنموذج أو عينة لبلاغته وقدرته) . وكل هذا يترك المشاهد معجبا مأخوذا (وحتى سقراط نفسه يتظاهر بأن هذا كان تأثير خطبة بروتاجوراس عليه ، ٣٢٨ د) ، ويجعل قسما من مشاهدى جلساتهم يتحولون الى تابعين لهم وتلامذة .

والحق أنه أصبح من الصعب علينا أن نتصور السفسطائيين من غير تلامذتهم والتابعين ، ويهتم أفلاطون بابراز أن منهم من يصحبهم فى تجوالهم من مدينة الى أخرى (انظر خاصة ٣١٥ أ — ب) . وصفة

التجول هذه (وليتذكر القارىء أن أثينا نفسها ، وهى التى كانت المحط الرئيسى فى ترحال السفسطائيين ، لم تنجب الا سفسطائيا واحدا ، وهو أنطيفون الذى لم يكن يحتل مكانة فى الصـــدارة بين ممثلى الحركة السفسطائية) تقربهم من التجار الجائلين ، ويقربهم منهم أيضا هذه السمة الأخرى التى ربما أثارت احتقار بعض اليونان لهم : وهى تناولهم الأجر عن تعليمهم (وسيهتم سقراط فى « الدفاع » ، (١٩ د ـــ هـ) بالتأكيد على أنه لا يتناول أجرا من أحد) • وربما أثار هذا شيئا آخر كذلك : هـــو الحفيظة عليهم ، أو على الأقـــل الغيرة منهم • وعلى أية حال فان بروتاجوراس يؤكد أن كثيرين كانوا يحســـدون السفسطائيين ، لعلمهم لاشك ، ولثرائهم من التعليم أيضا ، وقد بلغت ثروة بروتاجوراس قدرا عظيما حتى أن محاورة « مينون » تذكر أن ما كسبه فاق ما كسبه أعظم فنانى العصر وهو فيدياس المثال (« مينون » ، ٩١ د) •

وقد يلاحظ القارىء شيئا من التناقض بين ما نقوله الآن عن الغيرة منهم وما بدأنا بقوله عن الاعجاب بهم ، ولكن هذا كان حال السفسطائيين بالفعل ، أو هكذا كان حال موقف الجمهور منهم : فهو يجمع من العناصر ما يجذبه اليهم وما يجعله يعرض أيضـــا عنهم • بل ان شيئا من هـــذا الموقف المزدوج نراه عند بروتاجوراس نفسه فى محاورتنا : فعلى حين أنه يسعى لجذب الأتباع والتلاميذ اليه ، على نحو يجعلهم يهجرون مصاحبة أهاليهم وأقربائهم ومواطنيهم (٣١٦ جـ) ، الا أنه يكن قدرا واضحا من الاحتقـــار للعـــامة •

والآن : فمـــا هى طبيعـــة رد الفعل الســـقراطى بازاء الحـــركة السفسطائية ، كما يظهر فى محاورتنا هذه ؟ لا يجهل ســـقراط أن كلمة « سفسطائى » ، مأخوذة بذاتها ، لا تعنى فى عصره المعنى السىء الذى شارك هو نفسه فى تحميله عليها ونشره • ولهـــذا فانه عندما يتحـــدث عن « سفسطائيى » اسبرطة (٣٤٢ أ ـــ جـ) ، فانه يقصد ، كما كان يقصد أهل العصر ، علماء تلك المدينـــة لا أكثر • ولكنه فى حديثه مع أبقراط

(٣١٢ جـ وما بعدها) يتجه الى تحميل الكلمة معنى مختلفا كثيرا عن هذا المعنى ، مما يكشف عن أولى ردود الفعل السقراطية بازاء الحركة السفسطائية : ذلك هو محاولة التعريف الدقيق ، محاولة ابراز مضمون الكلمة ، ليس على ضوء المعنى اللغوى ، بل على ضوء السلوك الفعلى للسفسطائيين ، كما يراه سقراط ، وأهدافهم •

وسقراط يسجل أولا غموض هذا المضمون فى الوعى الشعبى حين يتحدى أبقراط أن يكون داريا به (٣١٢ جـ) • فمن هو السفسطائى ؟ يقول أبقراط ،راجعا الى المعنى اللغوى فيما ظن ، انه أستاذ فى المعارف• ولكن فى أية معارف ؟ ولا يكفى قول انها المعارف الخاصة بفن الكلام، لأننا سنستمر فى التساؤل : الكلام حول ماذا ؟ فيقع أبقراط فى الحيرة (aporia) ولا يعرف بم يجيب • هنا يتقدم سقراط ليقوم هو بتعريف السفسطائى ، مما يدل على أنه يعبر عن رأيه هو (ورأى أفلاطون بالطبع) فى طبيعة الحركة السفسطائية • السفسطائى فى رأى سقراط تاجر يتجر فى المعارف ، أى يقوم بنقلها من مدينة الى أخرى • وهذا التعريف (الذى سيعود اليه أفلاطون فى محاورة متأخرة له ، هى محاورة « السفسطائى ») يتضمن أن السفسطائيين ليسوا خالقى العلم الذى يتجرون فيه وانما هم مجرد ناقلين له (وهذا يخالف ما يعرف عنهم من أنهم شاركوا فى اقامة المباحث اللغوية ، فضلا عن نظريات أخرى هامة ، وطريفة فى الفلسفة والسياسة وتاريخ نشأة الدين وغير ذلك) •

ويمضى سقراط فى نتائج التشبيه الذى بدأ به : فكما أن التاجر يجهل ما قد تنطوى عليه بضاعته من خطر ، فكذلك السفسطائى ، ولكن الخطر هنا أعظم لأن بضاعة السفسطائى ، وهى العلوم ، تتجه الى النفس وليس الى الجسد • وكما أننا فى حالة أغذية الجسد نحتاج الى مشورة طبيب ، فاننا هنا نحتاج الى مشورة طبيب النفوس يساعدنا على انتقاء ما نأخذه من السفسطائيين• هذا الطبيب ستكون له ، كما هو واضح ، اليد العليا على آراء السفسطائيين ، أو سيكون « فوقهم » • وقد أشرنا الى

أنه ما من شـك فى أن سقراط هو ذلك الطبيب ، وعلى أية حال فقـد أخذ التاريخ الفلسفى فى اليونان وفى الحضارة الأوربية برأى أفلاطون ، الذى أصبح لفلسفته وفلسفة تلميذه أرسطو (وكلاهما يقفان على أكتاف سقراط) مكان الصدارة فى العقول ، حتى أنهما كسفتا لفترة طويلة نجم الحركة السفسطائية ، التى أصبحت لا تكاد تدرس الا من وجهة نظرهما ، ولتدان على الفور •

ونعود الى سقراط • ان تعريفه للسفسطائى بأنه تاجر فى المعـارف يتضمن نتيجة خطيرة لن تتضح الا على ضوء الحديث مع بروتاجوراس ، وهى فى الحق النتيجة التى يهدف اليها جهد أفلاطون كله حين يتنـاول بالفحص ادعاءات الحركة السفسـطائية : ذلك هو اثبات أنهم ليسـوا «متخصصين» على الحقيقة فيما يدعون التخصص فيه • فما مغزى المحاورة كلها ؟ مغزاها الأكبر هو أن بروتاجوراس الذى يدعى تعليم الفضـيلة لايعرف فى الواقع ، أى عند الفحص ، ما هى الفضيلة ، وأنه وهو الذى يدعى أنه « يعلم » ، أى ينقل العلم الى التلاميذ ، لا يعطى « للعـلم » مكان القيادة فى السلوك البشرى ، باختصار فان مواقف بروتاجوراس لا يتوفر فيها هذا الحد الأدنى من شروط « العلم » ، وبالتالى من شرط « التخصص » ، ألا وهو الاتسـاق أو عدم التنـاقض (أنظر محاورة « لاخيس ») • هذا هو موقف سـقراط وأفلاطون الأساسى ، ولا يهم كثيرا بعد ذلك أن يظهر سقراط احتراما كبيرا لبروتاجوراس ، ولا أن يوكل الى السفسطائيين مهمة نشر الثقافة العامة (٣١٣جـ) ، ولا أن يتظاهر بدعوة مواطنيه الى التعلم على أيديهم (٣٥٧ د ـ هـ) ، فكل ذلك قـد يكون مجاملة وحسب أو تظاهرا أو « مكرا سـقراطيا » • وماذا يمنع سقراط وأفلاطون من أن يلقيا بكلمة طيبـة فى الظاهر ، بينما هما ينفيـان عن السفسطائيين السـمة الأساسية التى من أجلها يدعون استحقاقهم للأجر الكبير ، ألا وهى سمة التخصص والعلم ؟

خطوات الحـــوار

يغلف الحديث بين سـقراط وبروتاجوراس بغلافين : حديث بين سـقراط وشاب صـغير ، هو أبقراط ، يريد منه أن يصـاحبه لرؤية بروتاجوراس ، ويسبق هذا الحديث حديث قصـير بين سقراط وأحد الاثينيين الذى لا تكشف المحاورة عن اسمه • وفى الحوار بين سـقراط وبروتاجوراس نفسه نجد لحظـات متميزة تمهد للحديث عن مشـكلة الفضيلة ، أوتقطعه لتريح القارىء قبل أن تعود اليه من جديد • وسيلاحظ القارىء أن هناك اختلافا بين شكل الحوار فى محاورتنا هذه وبين شكله فى محاورة « مينون » التى تدور حول الفضيلة هى الأخرى : فالحوار هنا غيرمباشر أى أنه « رواية » للحوار الأصلى، يقوم بها سقراط أمام أحد الأثينيين ، أما فى « مينون » فسيكون الحوار « مباشرا » حيث لن نقدم له مقدمة ولن يرويه راو • والحوار التمهيدى هنا بين سقراط والمجهول الأثينى (٣٠٩ أ — ٣١٠ أ) له مهمة فنية هى تشويق القارىء (أو السامع) الى معرفة تفاصـيل النقاش بين سـقراط والسفسطائى الكبير ، ولكنه يطمح أيضا الى أشـياء أخر : منها بيـان مكانة بروتاجوراس العظيمـة (٣٠٩ جـ — د) ، وعلاقة سـقراط بألقبيادس وتفضيله للفلسـفة أعظم تفضـيل : فعنده أن بروتاجوراس بعلمه « أجمل » بكثير من ألقبيادس بشبابه • ومما يزيد فى تشويق القارىء أن سقراط لا يمضى مباشرة الى حكاية الحوار ، بل يبدأ برواية كل أحداث يومه لبيان الدافع الذى حدا به الى بيت كالياس ، حيث كان ينزل بروتاجوراس ، وهوما نعلم من الحوار بين سقراط وأبقراط ، وهـذا الحوار الأخير أهم بكثير من الحديث بين سقراط والأثينى المجهول ويستحق أن نتوقف عنده وقفة خاصة •

الحوار مع ابقـــراط (٣١٠ أ — ٣١٤ جـ) :

ان لهذا الحوار أهمية يستحقها عن جدارة • ذلك أنه ليس فى الحق مجرد تمهيد أدبى ، بل هـو يحتوى على بعض الأفكار الأساسية التى ستطورها المحاورة بعد ذلك ، أثناء حديث سـقراط مع بروتاجوارس ، بل وعلى فكرة هامة سيظل أفلاطون محتفظا بها وثابتا عليها مدى ما يقرب

من ثلاثين عاما . فاذا كان من الصحيح أن هذا الحوار بين سقراط وأبقراط هو أقرب ما يكون الى التقديم أو الى التمهيد ، وانه يمتعنا أول ما يفعل حين يدخلنا الى جو الحياة المنزلية فى أثينا (سقراط النائم ، الخروج وراء العبد الهارب ، تقسيم بيت سقراط) ، وأنه يجذب انتباهنا ويثير تشوقنا حين يجعل أبقراط يدخل على سقراط والوقت لا يزال فجرا ليوقظه ويطلب منه مصاحبته ، وأن الابتسامة تندفع الى الشفاة عند تطور الحوار بين سقراط النائم وأبقراط المندفع (٣١٠ أ — د) ، وخاصة حين يسأل سقراط الماكر صبينا : « هل أساء اليك بروتاجوراس ؟ » ، كل هذا صحيح ، بل وهناك عناصر أخرى ممتعة سنشير اليها ، ولكن أفلاطون لم يقصد مجرد الامتاع حين مهد للمحاورة هذا التمهيد ، وانما قصد الى هدف أهم ، أو الى هدفين :

(أ) أن يظهر قوة جاذبية الحركة السفسطائية واقبال الشباب على ممثليها وأسباب تلك الجاذبية ودوافع هذا الاقبال .

(ب) أن يبرز بعض مواقفه الأساسية بوضعها فى مدخل المحاورة تأكيدا عليها ، ويزيد من هذا التأكيد أن سقراط يشير اليها وهو فى صحوة الفجر رائق الوعى ، وهو يشير اليها فى حديثه ، وهو حديث الاخلاص والصداقة ، مع أبقراط ، ممثل البراءة الأساسية ، وستشير بعد قليل اليها ، خلال حوار سقراط وبروتاجوراس ، فهو يفعل كما يفعل الموسيقيون : يمهدون للحن الأساسى بلمحة ، ثم يعودون بعد ذلك الى تطويره وتفصيله .

ويمكن أن نقسم أقسام هذا الحوار مع أبقراط الى ثلاثة : تحديد موضوع رغبة الصبى (٣١٠ ب — ٣١١ أ) ، الاختبار (٣١١ أ — ٣١٣ هـ) ، التحذير (٣١٣ أ — ٣١٤ جـ) . فعند دخول أبقراط على سقراط يعلن له على الفور أن بروتاجوراس فى المدينة ، والمدينة هى أثينا ، وأنه يريد منه أن يصحبه اليه لأنه لا يزال صغيرا ، ولم يقابل بروتاجوراس من قبل ولأنه يحتاج الى من يقدمه اليه ، وهو يريد أن

يدرس على يديه لأن الجميع يمتدحونه ويعتبرونه أعلم أهل زمانه • وهنا نضع أيدينا على شيئين : أن الشباب الأثيني كان مجنونا بالسفسطائيين ، متلهفا على التعلم على أيديهم ، ولا يهم بعد ذلك ما يطلبونه من أجر ، ولكن قسما منه أيضا كان يثق في سقراط ، أو قل على الأقل اننا ندرك من خلال هذا الحديث أن سقراط كان موضع ثقة بعض الشباب رغم الفارق في السن ، حيث أن سن سقراط كانت حوالى الأربعين وقت الحوار ، بينما قد لا تزيد سن أبقراط عن الثامنة عشرة • وهكذا يتحدد مطلب أبقراط : التعلم على يدى بروتاجوراس •

وهنا ننتقل الى القسم الثاني : لأن سقراط يريد اختبار عزم أبقراط. (واذا قيل « سقراط » قفز الى الذهن « الفحص » و « الاختبار ») ، ويريد خاصة تبيان ما اذا كان على بينة من أمره : فهل يعرف الى من هو يريد الذهاب ؟ وهل يعرف ماذا يريد أن يصير بعد العناية التى سيلقاها على يد بروتاجوراس ؟ وواضح أن الأمرين مرتبطان : فالذى يريد الذهاب الى طبيب ليتعلم على يديه ، يريد أن يصير طبيبا ، ومن سيذهب الى فيدياس نحات أثينا الشهير ليتعلم عنده يبغى من ذلك أن يصير نحاتا مثله • فمن هو بروتاجوراس اذن ؟ وما هو هدف أبقراط من مخالطته ؟ فيجيب الصبى : انه سفسطائى • ولكن هل يريد هو أن يصير سفسطائيا؟ عند هذا يحمر وجه الصبى خجلا ، ويزيد سقراط من خجله حين يؤكد أن هذا بالفعل أمر مخجل •

وهنا يجب أن نتوقف لحظة : على فرض أن الحوار دار حوالى عام ٤٣٠ ق٠م٠ ، فهل كانت مهنة السفسطائى قد أصبحت حتى منذ ذلك الوقت مهنة « غير شريفة » كما قد يقول البعض ؟ بعبارة أخرى : هل أفلاطون ، كاتب الحوار ، يكتب هذا مؤرخا لما كان يحدث ، أو حتى ما كان يمكن أن يحدث ، فى هذا التاريخ ؟ أم أنه يعلق على شخصياته آرائه هو التى تنتمى الى وقت لاحق على ذلك التاريخ بما يزيد على أربعين عاما ؟ يجب أن يعترف المؤرخ الأمين بأن الاجابة القاطعة عن هذا

السؤال صعبة جدا ان لم تكن مستحيلة بالفعل • واذا كان لنا أن نجازف، ان لم يكن باجابة فبترجيح على الأقل ، فانه يمكن أن نقول انه من المستبعد أن موقف الأثيني العادى من الحركة السفسطائية حوالى عام ٤٣٠ كان موقف الاستهجان ، ونذكر هنا من الاعتبارات التى تحدو بنا الى هذا الموقف اعتبارين : الأول أن العامل الأكبر فى نشر العداء للسفسطائيين انما كان سقراط وأفلاطون أنفسهما ، وفى ذلك التاريخ لم يكن سقراط الفعلى من القوة بحيث يكون له تأثير مثل هذا ، ولم يكن أفلاطون قد ولد بعد • وحتى اذا قيل ان الهجوم على السفسطائين لم يكون راجعا الى سقراط وأفلاطون فقط ، بل كان هناك كذلك رجال من أمثال أرستوفانيز هاجموهم فى نفس الوقت الذى اشتد فيه هجوم سقراط عليهم ، الا أننا يجب أن ننبه ، وهذا هو الاعتبار الثانى ، أن الهجوم على السفسطائيين لم يشتد ساعده الا فى ظل ظرف مواتىء ، ألا وهو اندحار أثينا أمام قوات اسبرطة وحلفائها ، بينما نحن فى عام٤٣٠ فى وقت لم يمض فيه على بدء الحرب البيلوبونيزية الاقليل، ولايزال بيريكليز هو حاكم أثينا • ولهذا فاننا نميل الى أن كاتب هذا الموقف ليس هو أفلاطون المؤرخ ، بل هو أفلاطون صاحب الرأى الذى يغلفه بما يشاء ، ويختار من الشخصيات والتواريخ ما يناسبه « لتعليقه » عليها • وقد كان صبينا أبقراط من هؤلاء •

ونعود اذن اليه بعد خجله ذاك لنجد أن سقراط ، الذى طارده حتى جعل ظهره الى الحائط ، يعود ليحاول أن يجد له مخرجا ينقذه ، وليتفادى أن يجد الصبى نفسه وقد قفلت دونه كل الأبواب • فيشير سقراط عليه أن قصده من مخالطة بروتاجوراس ربما كان كالقصد من الذهاب الى معلم العزف على القيثارة ومدرب الرياضة البدنية : ليس من أجل أن يصير موسيقيا ولامدربا رياضيا ، بل من أجل أن ينال «ثقافة» عامة جديرة بالرجل الحر ، فيلتقط أبقراط هذا الحبل ويتعلق به تعلق الغريق بلوح النجاة •

ولكن سقراط لا يتركه ، بل يعود الى اختباره بشأن ماهية السفسطائى . فها هو سيعطى « نفسه » ليعتنى بها « سفسطائى » ، فهل يعرف من هو السفسطائى ؟ أما اذا كان يجهل من هو ، فان الطامة ستكون كبيرة . فمن هو السفسطائى ؟ ويجيب أبقراط بالرجوع الى ما ظن أنه مدلول اللغة اليونانية المباشر : السفسطائى هو عالم بالمعارف ، ولكن هذا ليس الا تحديدا أو تعريفا بالجنس ، فما هى المعارف التى يختص السفسطائى بها وتفصله أو تميزه عن بقية العلماء ؟ لا يكفى القول انها المعارف الخاصة بفن القدرة على الكلام ، لأن السؤال سيظل قائما ، الكلام حول ماذا ؟ هنا لا يملك الصبى جوابا ، ويكون بهذا قد وصل الى لحظة التفنيد الكامل (وهى اللحظة التى تقابل نص ١٥هـ فى محاورة « أوطيفرون » ، ونص ٨٠ أ ــ ب فى « مينون » ، على سبيل المقارنة) .

ومن أهم ملامح لحظة التفنيد الشعور بالعجز (aporia) ، والمفروض أن يجعل هذا الشعور المتحدث مع سقراط قابلا بعده لتلقى التوجيه السقراطى ، وهوهنا يتخذ شكلا سلبيا هوشكل التحذير ، الذى يكون ما يمكن أن نعتبره القسم الثالث من هذا الحوار التمهيدى بين سقراط وأبقراط . وفى هذا القسم ، وهو يمتد من ٣١٣ أ الى ٣١٤ جـ ، يركز سقراط (أى أفلاطون فى الواقع) على فكرتين أساسيتين : هما فكرة العناية بالنفس وشروطها وفكرة أن السفسطائى تاجر.وكان مفهوم العناية بالنفس قد ظهر قبل ذلك أثناء الحديث السابق (أنظر ٣١٢ ب ، جـ ، وراجع ٣١١ ب) ، فيعود سقراط اليه الآن مؤكدا عليه : فالنفس هى أثمن ما يملك الانسان وعليها يتوقف كل مصيره ، فالسعادة أو الشقاء مرهونان بحسن النفس أو سوئها ، والآن فان أبقراط يقدم نفسه ليعتنى بها ، أى ليفعل بها ما شاء ، هذا السفسطائى الذى يجهل ، كما اعترف ، من هو على الدقة وماذا يعلم . فهل هناك من خطر أعظم ؟

ويقارن له سقراط هذه الحالة بحالة ما اذا كان يريد أن يعالج جسده : ففى هذه الحالة سيستشير أهله والصحاب قبل الذهاب الى

الطبيب يقدم لهجسده ليعتني به • ثم يضيف سقراط اضافة ذات شأن ، لعلها من المواقف النادرة التي يعلن فيها أفلاطون في هذه المحاورة رأيا ايجابيا بصورة صريحة : ذلك أن سقراط يقدم تعريفا للسفسطائي بعد أن رأينا كيف ان أبقراط أعلن في النهاية جهله بمن يكون السفسطائي • وها هو هذا التعريف : انه تاجر في سلع تتغذى عليها النفس ، وهي المعارف • ثم يرجع الي المقارنة أو الموازنة بين النفس والجسد ، فيشير الى أن تاجر السلع الغذائية التي يتغذى عليها الجسد يمتدح بضاعته ولكنه يجهل ان كانت ستضر بجسد المشتري أم ستنفعه ، وهكذا السفسطائيون • كذلك فكما أن الباعة يتجولون من مدينة الى أخرى ومن سوق الى سوق ، فكذلك يفعل السفسطائيون •

ولكن المقارنة هنا مع الفارق الكبير : ذلك أن خطر أن تتغذى النفس على معارف فاسدة أعظم بكثير من خطر أن يتغذى الجسم على أغذية مضرة ، لأن النفس أهم بكثير من الجسد ، ولأن المعارف توضع في النفس مباشرة ، فينتج مفعولها السيء على الفور اذا كانت مضرة ، على حين أن الأغذية التي تشترى يمكن أن تحفظ خارج الجسد خلال وقت يمكن أثناءه فحصها واختبارها ورفضها أوقبولها • وحتى نقرر هذا ، فاننا سنكون بحاجة الى طبيب ، وكذلك الحال مع النفس : فاننا بحاجة الى طبيب للنفس يشير علينا ماذا نقبل وماذا نرفض بين المعارف • ويختم سقراط تحذيره بالنتيجة التي تنتج عنه : وهو أنه يجب على أبقراط أن يستشير من هو أكبر منه سنا • وفي انتظار هذا يمكن لهما أن يذهبا الى حيث يقيم بروتاجوراس ، وأن يستمعا اليه في انتظار الاستشارة والمشورة والقرار •

ونعود الآن الى أهمية هذا الحوار التمهيدي • وقد ذكرنا أن أفلاطون يعرض فيه بعض الأفكار عرضا سريعا ليعود اليها بعد ذلك في الحوار الرئيسي بين سقراط وبروتاجوراس ، وأهم هذه الأفكار اثنتان •

الأولى ، التأكيد على سؤال « من هو السفسطائى ؟ » ، وهو موضوع سيعود اليه ليس فقط أثناء حديث بروتاجوراس مع سقراط بل وكذلك فى « جورجياس » .الفكرة الثانية الهامة التى سيعود اليها أفلاطون ، وهى فكرة ذات طابع منهجى ،هى أن تعريف السفسطائى يجب أن يتم بالرجوع الى مضمون تعليمه ، وليس فقط بابراز اطاره أو شكله ، بعبارة أخرى فان أفلاطون يؤكد على ضرورة عدم الاكتفاء بالمنهج « الصورى » أو « الشكلى » فى التعريف . والى جانب هاتين الفكرتين نجد فى هذا الحوار التمهيدى بعض الأفكار الأخرى التى تستحق الانتباه : فمنها التمييز بين التعلم من أجل المهنة والتعلم من أجل الثقافة العامة « الجديرة بالرجل الحر » ، ومنها ابراز معارضة النفس والجسد ، ومنها فكرة « طبيب النفوس» ، وهو فى بال أفلاطون لايمكن أن يكون الا الفيلسوف والفيلسوف هنا هوسقراط ، وهكذا فان البديل الحقيقى للسفسطائيين ، بل والمنجى منهم ، فى رأى أفلاطون ، ليس الا سقراط . وأخيرا وليس آخرا هناك من بين ما يعرضه هذا الحوار التمهيدى تعريف السفسطائى بأنه تاجر ، وهو تعريف سيظل أفلاطون محتفظا به مستمرا عليه ما يقرب من ثلاثين عاما ، أى مدى الفترة التى تفصل بين تأليف محاورة « بروتاجوراس » وتأليف محاورة « السفسطائى » ، التى يظهر فيها هذا التعريف ثانية (« السفسطائى » ، ٢٢٣ ب وما بعدها) .

تقدمة الحوار مع بروتاجوراس (٣١٤ جـ — ٣٢٠ جـ) :

يذهب سقراط وأبقراط اذن الى بيت كالياس حيث يقيم بروتاجوراس، وكان كالياس كما أشرنا من أغنى أغنياء أثينا ومن بيت من أشرف بيوتها، وما من شك أن نزول بروتاجوراس عنده كان شرفا يحسده عليه كثيرون. ولم يكن هناك بروتاجوراس وحده ، بل كان هناك كذلك كثيرون من السفسطائيين ، وسنرى البيت وقد ازدحم بأعداد كبيرة من أهل أثينا نفسها جاءوا سعيا للقائهم ، ويبدو أن البيت اكتظ بالجميع حتى ظهرت آثار هذا الاكتظاظ على الخدم أنفسهم . وندرك هذا كله من استقبال العبد صاحب الباب لسقراط وأبقراط : فقد دفعهم عن الباب وقفله دونهم

ظننامنه أنهم سفسطائيون جدد ، ولم يزل سقراط به حتى أقنعه بادخالهم ، وان كان ذلك رغما عنه .

وفى صفحة من أجمل صفحات أفلاطون يصف لنا مشهد السفسطائيين وأتباعهم والحضور (٣١٤ هـ — ٣١٦ أ) . ولن نتوقف عند هذا ، فيمكن للقارئ أن يعود الى النص نفسه ، ونكتفى بالاشارة الى بعض الجوانب ذات الدلالة فى وصف أفلاطون الممتع لهذا المنظر : (١) أن أفلاطون يركز على السفسطائيين الثلاثة : بروتاجوراس وهبياس وبروديقوس ، ولكنه يضع بروتاجوراس فى مقدمتهم ويتحدث عنه حديثا أطول ووقع . (٢) أثناء حديثه عن أتباع بروتاجوراس ، يخصص أفلاطون أن أحدهم يدرس على يديه « من أجل الفن » ، أى من أجل ان يصير سفسطائيا ، وهو ما يذكرنا بجزء من حديث سقراط مع أبقراط . (٣) يحظى بروتاجوراس بأكبر قسط من التبجيل ، وسيتأكد هذا خلال كل المحاورة . (٤) فلاحظ أن من الحاضرين من هو أثينى ومن هو غريب ، وأن الغرباء يأتون من شتى أطراف اليونان ، وبعضهم يصحب بروتاجوراس فى تجواله من مدينة الى أخرى ، وأينما حل .

والطريقة التى يبدأ بها الحديث بين بروتاجوراس وسقراط تدل بذاتها على ما كان أفلاطون يريد أن يؤكد عليه ، وهو أن السفسطائى تاجر . ذلك أن سقراط حينما يقول لبروتاجوراس انهما يأتيان اليه هو ، وليس لغيره ، يرد قائلا : هل تريدان الحديث معى على انفراد أم أمام الجميع ؟ وهذا رد جدير بالفعل بصاحب بضاعة يبحث عن أنسب الظروف لعرضها على « العميل » . ويعرض عليه سقراط ما أتوا من أجله : فأبقراط هذا شاب صغير ليس أقل ولا أكثر فى حظه من المواهب من الشباب الذين فى مثل سنه ، وهو يريد أن يحتل فى المدينة وفى الدولة مركزا مشهودا ، ويظن أن أفضل طريقة توصله الى هدفه هى أن ينال دروسا عند بروتاجوراس . والحق أن هذا كان حال كل شباب أثينا الأحرار ، ومن كان يملك منهم ثروة على الأخص ، لأن بروتاجوراس

كان غالى الثمن . وهنا أيضا يأتى رد بروتاجوراس دالا على نفس اتجاه رده السابق : فهو رد من يعرض سلعة ويشكر من يأتى له بعميل ويأخذ فى امتداح بضاعته وعرض عينة منها ، والعينة هنـا خطبة قصـيرة محكمة الصـنع (٣١٦ جـ — ٣١٧ جـ) تدل على علمـه الواسـع وتعلن عن بعض ميزاته .

ذلك أنه يبدأ بشكر سقراط الذى يأتى له بتلميذ ، وهو تلميذ من بيت كبير ثرى ، ثم يعرج على التعريف بمهنة السفسطائى . ولمـا كان بروتاجوراس عارفا بنفوس البشر فانه يدرك أن قدم القـديم حجة له ومدعاة للثقة فيه (وهو ما تفعله بعض بيوت الصناعة والتجارة اليوم حين تعلن متفاخرة أنها « تأسست عام كذا ») ، ولهـذا يقول للترغيب فى الاقبال على السفسطائيين ان مهنتهم قديمة قديمة ، ولكن الأوائل الذين اشتغلوا بها غلفوها بأغلفة متنوعة : هؤلاء ، من أمثال هوميروس وهزيود ، بغلاف الشعر ، وهؤلاء ، من أمثال أورفيوس ، بغلاف الأسرار الدينية ، وأولئك بغلاف الموسيقى ، وغير ذلك . ولمـاذا لجأوا الى هذا ؟ هنـا نلمس مسألة هامة لعلها تقع فى مركز خطبة بروتاجوراس هذه ، وقـد أشار هو اليها بصريح العبارة بعد شكره لسقراط مبـاشرة : ذلك أنه يشكر لسقراط اتيانه له بتلميذ وفى هـذا دليل على اهتمـام سقراط بمصلحة بروتاجوراس الذى يدور من مدينة الى أخرى ليغرى صـفوة شبابها (ولنفهم : « أثرى شبابها ») بأن يتركوا صحبة أهليهم ومواطنيهم ليصاحبوه هو ، وهـذا يولد الغيرة والعداوة فى قلوب الآباء والأقرباء وأهل المدينة على السفسطائى .

لمـاذا ؟ اذا كان بروتاجوراس يقرر وجود الغيرة من صـنفه ، فانه لا يشفع تقريره ببيان السبب . والحق أنه كان لا يحتاج الى ذلك لأن السبب كان مفهوما من المستمعين ، وربما نستطيع أن نتصور ابتسامات الفهم على شفاههم وهم يستمعون اليه يقول هـذا . فما السبب اذن ؟ انه يؤدى بنا الى وضع مشكلة تطور التربية اليونانية بصفة عامة : فبعد

أن كانت تربية منزلية ومدنية ، ها هم أولاء السفسطائيون يغيرون منهـا لتصبح فنـا قائما بذاته وحرفة يملكون هم وحدهم أسرارها ، والأمر مشابه تماما لتطور الطب من مجموعة من الوصفات تعرفها العجائز الى « فن » (tekhnê) خاص مفصل الميادين لا يستطيع السير فيه الا من سار على الدرب طويلا . بعبـارة أخرى ، فان نجاح السفسطائيين كان لا يمكن أن يتم الا على حساب السـلطة العائلية والسـلطة السياسية ، لأنهم أخذوا لأنفسهم ما كانت هاتان السـلطتان تعتبرانه حكرا عليها ، ألا وهى وظيفة التربية .

ونعـود الى بروتاجوراس : فاذا كان القـدماء قـد أخفوا فنهم السفسطائى تحت ستار فنون أخرى ، فانه لا يفعل ذلك ، هو . فهـل هناك من يظن أن هـذا الاخفاء سيمر دون أن يفطن اليه حكام المدن ؟ بل هم يفطنون الى ذلك وبيدهم ان شاؤوا اثارة هيـاج الغوغاء على « السفسطائيين » ، لأن العامة تتبع ما يشير به عليهم خطباؤهم . لهـذا مادام الاخفاء لا يجـدى ، فانه من الأفضـل ، ومن الأكرم ، اعلان أنه سفسطائى وأنه « يربى الرجال » . وعلى أية حال ، فها قد مرت عليه سنوات طوال وهو يزاول هذه المهنة ، ولم يأت عليه شىء يعكر عليه صـفو حياته المهنية حتى تاريخ الحوار . ثم يشير الى أنه كان يمكن أن يكون أبا لكل الحاضرين ، ولعل فى هذه الاشارة ، وفى الاشارة السابقة ، محاولة منه لنيل قلوب تلامذة جدد ، فكلاهما تؤكد أنه صاحب خبرة واسعة ، وأنهم سيجدون عنده رعاية أبوية . وينهى بروتاجوراس خطبته الأولى هـذه بأنه لا يمـانع فى معالجة الموضـوع الذى أتى من أجله اليه سـقراط وأبقراط أمام الجميع . وهنا أيضا نجد أنفسنا أمام بروتاجوراس التاجر المـاهر : فقد أدرك سقراط أنه يريد أن يفهم بروديقوس وهبياس أنه هو الهدف من زيارة سقراط وأبقراط ، فقال سائرا على هواه : فلندع الآخرين اذن ، وهكذا تكونت الحلقة والتف الجميع حول بروتاجوراس وسـقراط .

والحق أنه يمكن اعتبار هذه اللحظة (٣١٧ هـ) لحظة بداية الحوار الحقيقى بين بروتاجوراس وسقراط ، ولكننا نفضل أن نعتبر أننا لازلنا فى المقدمات اليه ، وذلك لسببين : الأول أن الحديث الممتد من ٣١٨ أ حتى ٣٢٠ جـ ما هو الا اعادة للعرض الذى قدمه سقراط ولرد من بروتاجوراس يتفاخر فيه بنفسه ويقدم بضاعته • الثانى أن الموضوع الحقيقى للحوار انما هو مشكلة هل الفضيلة واحدة أم متعددة ، وهذا لا يوضع موضع البحث الا فى ٣٢٩ جـ — د ، أى بعد المقدمات الحالية وبعد ما سنسميه ببرهان بروتاجوراس (٣٢٠ جـ — ٣٢٨ د) الذى يعرض فيه لآرائه حول السياسة والاجتماع والأخلاق والتربية • وهكذا فنحن (٣١٨ أ) لانزال فى نطاق المقدمات •

ويعرض سقراط اذن من جديد مطلبه ، ولكنه يضيف اليه تحديدا جديدا ، وهو أن يعلن بروتاجوراس الفوائد التى ستعود على أبقراط من مخالطته • فيأتى رد بروتاجوراس : الفائدة التى ستعود عليك أيها الشاب هى أنك ستصير كل يوم أفضل • وقد كان يمكن لأبقراط ، لو كان قد جاء وحده ، أن يكتفى بهذا ، ولكن سقراط لا يكتفى بهذه الاجابة العامة والغامضة بالتالى ، ويسأل بروتاجوراس : سيكون أبقراط أفضل فيم ؟ ويضرب له أمثلة حول أهل « الفنون » (أى أهل الصنائع): فمن سيخالط مدرسة المصور سيكون أفضل فى ميدان التصوير ، ومن سيخالط محترف العزف على الناى سيصير أفضل فى هذا الفن ، وهكذا ، ففيم سيصير أبقراط أفضل حين يتتلمذ على بروتاجوراس ؟ ونلاحظ هنا أن سقراط يعود الى المطلب الذى عرضه على صبينا فى البداية ، وهو ضرورة تحديد مضمون التعليم السفسطائى •

وقد أعجب بروتاجوراس بمسألة سقراط • وربما يكون مرجع الاعجاب الى مناسبة السؤال ، وعلى أية حال فان بروتاجوراس (ويجب أن نؤكد أن بروتاجوراس هذا انما هو بروتاجوراس كما يرسمه أفلاطون) ، ينتهز هذه الفرصة أيضا ليمتدح تعليمه وليميز نفسه عن بروديقوس ،

وهبياس ، بما يقرب الشباب اليه ويزيد من الاقبال عليه : فهو لا يرهقهم، كما يفعل البعض ، والمقصود هنا هو السفسطائى هبياس ، بتعليم الحساب والهندسة والموسيقى والفلك ، وانما هو يأخذ بأيديهم وعلى الفور الى المعرفة التى يسعون من أجلها • فقد أشار سقراط فى تمهيد تقديمه لأبقراط أنه يطمح الى الوصول الى مركز مرموق فى عالم السياسة ، أو قل هو يريد الوصول الى السلطة والى النجاح فى الحيـاة العملية كمواطن ، ولهذا فإن المعرفة التى يحتاج اليها الشاب الطموح انمـا هى العلم بفن « النصيحة الطيبة » أو « المشورة الصائبة » ، التى ان استطاع الحصول عليها جعلته يعرف كيف يعالج أموره الخاصـة وأمور المدينة ، وذلك على نحو يجعله قادرا على ادارة منزله من جهة ، وعلى وضعه فى أفضـل مركز لكى يكون فى خدمة الدولة بالعمل والكلام (٣١٨ هـ — ٣١٩ أ) من جهة أخرى ، وهو ما سيعود عليه هو نفسه ، أى على الشاب ، بالنفع بالطبع • ويفهم سقراط ، أو يريد أن يفهـم ، أن بروتاجوراس يعلم فن السياسة (وهذا هو ما يقابل الحديث عن المشورة الصائبة فى الشـئون العامة أو شئون المدينة) ويدعى القدرة على تكوين المواطن الصـالح (وهذا يغطى النجاح فى الحياة الخاصة وفى الحياة العامة معا) •

وهنـا يجب أن نتوقف لحظة قبل الدخول الى اعتراض سـقراط الرئيسى على امكان تعليم هذا ، وهو الاعتراض الذى سيؤدى الى اثارة مشكلة الفضـيلة • والذى يجب أن نتوقف لننبه اليه هو على التحديد أن كلمة الفضيلة (aretê) لم يرد لها ذكر حتى الآن لا فى حديث سقراط وأبقراط ، ولا فى الحديث بين الأول وبروتاجوراس ، وانما كان مدار القول كله حول اعـداد الشباب للاشتغال بالسياسة ، أو قل انه اعداد المواطن الصالح • وأهمية هذا لا تخفى على القارىء : فمفهـوم « الفضيلة » لم يكن عند اليونان فى العصر الذى نتحدث عنه مفهوما ذا جانب أخلاقى وحسـب ، كما قد تدل عليه الكلمة العربية ، انما كان مفهوما واسعا ، يتسع ليشمل كل مجالات سلوك الفرد بما فيها ، وأحيانا على رأسها ، السلوك السياسى• ومذهب بروتاجوراس الذى ذكرناه ، ورد

سقراط عليه واعتراضه يضعان السلوك السياسى فى مركز ما سيشار اليه بعد ذلك (٣١٩ هـ) على أنه « الفضيلة » •

فاعتراض سقراط يقول : اذا كان بروتاجوراس يعلم فعلا هذا الفن (أى فن السياسة) ، فلكم سيكون هذا جميلا ، ولكن سقراط لا يعتقد أنه بالامكان تعليمه ، وهو يسوق على ما يقول دليلين • الأول أن أهل أثينا يسمحون لكل من شاء ، سواء أكان نجـارا أم حدادا ام تاجرا ، فقيرا كان أم غنيا ، بأن يصعد على منبر الجمعية الشعبية ليدلى برأيه ، ويشير على الأثينيين أن يحاربوا هـذه المدينة ، أو يعقدوا الصـلح مع تلك ، وغير ذلك من شئون السياسة ، هذا بينما لم يذهب أحد من هؤلاء الى مدرسة ما تعلم فيها السياسة ، دليلا على أن السياسة لا تعلم • وهناك دليل آخر : أن رجال السياسة المشهورين فى أثينا لم يعرف عنهم أنهـم كانوا قادرين على نقل قدرتهم على ادارة شئون المدينة ببراعة ونجاح الى غيرهم ، حتى ولو كانوا أبناءهم • هذه « القدرة » ، أو « التفوق » ، هى التى يسميها النص اليونانى aretê ، مستخدما بهذا لأول مرة فى محاورتنا (٣١٩ هـ) الكلمة التى تترجمها عادة « بالفضيلة » • ويضرب مثلا بيريكليز الذى علم أبناءه أفضل تعليم عند الأساتذة الآخرين ، أما فى الفن الذى نبغ هو نفسه فيه ، وهو فن السياسة ، فانه لم يستطع أن ينقل اليهم تفوقه أو « فضيلته » • لهذا فان سقراط يدعو بروتاجوراس الى أن يبرهن له على امكان تعلم الفضيلة (وهنـا نلاحظ أن سقراط ، فى ٣٢٠ جـ ، لا يتحـدث على التحـديد عن « فن السياسـة » ، بل عن « الفضـيلة » باطلاق ، ولكن الاشارة واضـحة الى السياسة ، وهو ما سيظهر أيضا من رد بروتاجوراس فى أسـطورته) • فكيف سيكون اذن « برهان » بروتاجوراس ؟ سيكون على شكل أسطورة وعلى شكل مناقشة وعرض •

برهان بروتاجوراس :

نطلق هذا الاسم على رد بروتاجوراس أو خطبته التى تمتـد من ٣٢٠ جـ الى ٣٢٨ د ، وفيها يتناول أشياء كثيرة ، ولكن أظهر ما فى تلك الخطبة هو الأسطورة التى يبدأ بها (٣٢٠ جـ — ٣٢٢ د) ، كذلك فان بروتاجوراس نفسه يقدم عرضه على أنه يتخذ شكل الأسطورة بدلا من عرض بالحجج المجردة (٣٢٠ جـ) • والمسائل التى يجب أن يتناولهـا التعليق على نص هذه الخطبة الهامة هى: (أ) ما دلالة استخدام الأسطورة؟ (ب) هل هذه الأسطورة والخطبة بأكملها مما يمكن نسبته بالفعل الى بروتاجوراس كشخصية تاريخية ؟ (جـ) ما هو مكان الخطبة بين خطوات المحاورة ؟ (د) هل يمكن اعتبار الآراء التى تضمنتها ممثلة لاتجاهات « الرأى العام » اليونانى فى ذلك الوقت ؟ (هـ) ما أهم الأفكار التى جاءت فيها ؟ (و) وأخيرا بعض الملاحظات المنهجية • ولكن فلننظر الى مضمون خطبة بروتاجوراس ، بادئين بالأسطورة •

وهدف هذه الأسطورة المعلن (٣٢٠ جـ) هو الرد على الصعوبة التى كان سقراط أثارها حول امكان تعليم الفن الذى يفاخر بروتاجوراس بتعليمه ، ألا وهو فن السياسة ، أو تعليم « الفضيلة » بتعبير أعم ، وكانت تلك الصعوبة أنه لا توجد مدرسة للسياسة ذهب اليها الحدادون الذين يصعدون على منصة الجمعية العمومية ، كذلك فانه لو كان ممكنا بالفعل تعليم التفوق أو المهارة أو القدرة أو الفضيلة السياسية ، اذن لكان عظماء الساسة قد علموها لأبناءهم ، هـذا بينما نحن نرى هؤلاء الأبناء أبعـد ما يكونون عن فضيلة آبائهم • ويقول بروتاجوراس انه سيكون أمتع للمستمعين أن يقـدم اليهم أسـطورة عن أن يقدم عرضا متصـلا من الحجج •

ومجمل أسطورته أن الآلهة ، عندما كانت تشكل العـالم ، أنابت بروميثيوس وأخاه ابيميثيوس ليوزعا على الكائنـات الحية القـدرات المناسبة ، وقد طلب الثانى من الأول أن يتركه ليفعل ذلك ، على أن يأتى

فى النهاية لمراجعة ما فعل . وقد قام ابيميثيوس باعطاء القوة لبعض أعضاء مملكة الحيوان وباعطاء السرعة للبعض الآخر ، وهكذا مع الصفات الأخرى التى كانت تهدف جميعا الى توافر القدرة عند جميع الحيوان على حماية حياته ، وتحمل حر الصيف وبرد الشتاء ، وان اختلفت انطرق الى ذلك . وحينما أتى بروميثيوس ليرى ما فعل أخوه ، وجد أنه لم يبق معه شىء ليهبه الى البشر حتى يستمر جنسهم ولا يفنى . فأسرع الى سرقة النار ومعرفة الفنون (أى الصناعات) من الاله هفايستوس ومن الالهة أثينا : فالفنون بغير النار لا تقوم لها قائمة . وهكذا نال الانسان نصيبه وأصبح فى مقدوره أن يقيم حياته . ولكن تكشف للالهة شيئا فشيئا أن معرفة الفنون قد تكفل الانسان ليعيش ، ولكنها لا تساعده على صد الهجمات المعادية من الكائنات الأخرى : ذلك أن بروميثيوس لم يكن قد استطاع أن يقتحم مقر زيوس كبير الآلهة والذى كان يحتفظ عنده بالمعرفة السياسية ، وفن الحرب يشكل جزءا من فن السياسة . وقد خشى زيوس أن يفنى البشر ، لهذا فقد عاد وأرسل رسول الآلهة ، الاله هرمس ، ليهب البشر الحياء (أو الضمير) والعدالة . ولكن هرمس تساءل كيف سيوزعها بين البشر ؟ هل سيعطيها لجماعة قليلة أم للجميع ؟ وقدأمر زيوس أن يشترك الجميع فى هاتين الفضيلتين ، لأنهما جوهريتان للحياة فى المجتمع ولايمكن أن يكون عضوا فىالمجتمع من لايحوزهما .

ولا يجب ألا يلهينا الشكل الأسطورى عن أهمية الأفكار التى تحملها الأسطورة ، والتى تهم علم الانثرويولوجيا (علم الانسان) وعلم الاجتماع وعلم السياسة . وأول هذه الأفكار أن الانسان يحتل مكانة خاصة بين أفراد المملكة الحيوانية ، فهو الوحيد الذى يحوز فيها على فن السياسة . والفكرة الثانية أن الحاجة الأولى للانسان ، وبها يشترك مع بقية الحيوان ، هى حفظ النوع ، ولكن له حاجة أخرى قد لا تقل أهمية عن الأولى : تلك هى الحاجة الى فن السياسة ، أى فن الحكم بعبارة أخرى : ان فن الحياة فى المجتمع ، أى فن السلوك كمواطن فى المدينة ، يصبح للانسان طبيعة ثانية تضاف الى طبيعته التى يشترك بها

مع كل أفراد الحيوان من حيث أنه كائن حي. والفكرة الثالثة أن الفضيلة التى بها يصبح الانسان مواطنا فى المدينة (و « المدينة » هنا تعنى « المجتمع ») مشتركة بين كل أفراد المجتمع ، وما من شك أن هذا الموقف يناسب عصر انتشار الديمقراطية كل المناسبة ، فالنظام الديمقراطى يقوم على أن لكل مواطن ليس فقط الحق بل وكذلك القدرة على المساهمة فى ادارة (أى سياسة) أمور المدينة . الفكرة الرابعة التى يمكن أن تستخلص من أسطورة بروتاجوراس هى أن أساس النظام السياسى كله وهدفه هو : العدالة .

ولكن هذه الأسطورة لا تبرهن الا على شي واحد : أن معرفة أسس السياسة مشتركة بين كل البشر ، فهى اذن لا ترد الا على اعتراض سقراط الأول (بينما أن الاستشارة فى شأن بناء السفن مثلا تطلب من المتخصص الذى تلقى علم هذا الفن عند المتخصصين ، فان الاستشارة السياسية مفتوحة أمام الجميع هذا على حين لم يذهب أحد الى مدرسة متخصصة ولا يعرف أستاذ لفن السياسة) ، ولكنها تترك الوجه الثانى من الصعوبة التى أشار اليها وهى أن عظماء السياسة لم يستطيعوا نقل مهارتهم أوفضيلتهم الى أبنائهم ، مما قد يعد دليلا على أن هذه الفضيلة لا تعلم . لذلك فان بروتاجوراس يرد على هذا الاعتراض فى ٣٢٤د ، ولكن قبل أن يفعل هذا يقدم له بمقدمة ضرورية . ألا وهو اثبات أن الكفاءة السياسية ، أو « الفضيلة » السياسية ، شيء ممكن التعلم والتعليم . بروتاجوراس يرفض أن تكون هذه الفضيلة هبة من الطبيعة لهذا وليس لذاك ، أو نتيجة للمصادفة يقع عليها شخص دون آخر ، ويحاول أن « يبرهن » على أنها يمكن أن تعلم وأن تتعلم ، على النحو التالى ان هناك واقعة يلاحظها الجميع ، وهى أن النقائص التى نجدها عند بعض الأشخاص والتى تأتى اليهم اما من الطبيعة (كالقبح مثلا) أو من المصادفة (مثلما ينتج عن حادثة سيئة أو عن مرض) لا تعرضهم للعقاب ، فمن المفهوم أنهم لا يملكون أن يغيروا ما أصابهم من نقائص جاءت بها الطبيعة أو المصادفة . ولكن ما هو موضوع العقاب اذن ؟ انه الخصائص التى تنقص الفرد ويعينه ،

غيابها والتى يعتبرها المجتمع وليدة ، ليس للمصادفة أوالطبيعة ، بل للتدرب والتمرن والتعلم • وهكذا فان المجتمع يعاقب على الظلم والضلال ، لأنه يعتبر أن العدل والتقوى أشياء يملك الفرد بالتعلم أن يحصلها • يقول بروتاجوراس « العدل والتقوى » ، ويقصد كل الخصائص التى تدخل فى دائرة « الفضيلة السياسية » أو « المدنية » ، أى الخصائص الضرورية للحياة المشتركة فى المجتمع • وهكذا فان هذه الفضيلة لابد أن تكون ممكنة التعلم والتحصيل والمجتمع لا يعتبرها لا وليدة الطبيعة ولا وليدة المصـــادفة •

ويتوقف برتاجوراس لحظة (٣٢٤ أ ــ جـ) عنـــد ظاهرة العقاب ليعمقها شيئا ما من جهة ، وليزيد من تأكيد النتيجة التى يريد أن ينتهى اليها من جهـــة أخرى • ذلك أن عقاب الظلم لا يهـــدف وحســـب الى مجرد المجازاة ، بل ان من يعاقب يعاقب وهو ينظر الى المستقبل ، ويقصد أن يؤثر العقاب ليس فقط على سلوك من يوقع عليه العقاب فى المستقبل ، بل وكذلك على سلوك المواطنين الآخرين الذين يكونون شهودا على العقاب • ويقول السفسطائى الكبير انه اذا كان الأمر كذلك ، فانه يعنى أن الفضيلة (٣٢٤ب ، وهنا نلاحظ أن استخدام الكلمة هنا مطلق) يمكن أن تكتسب وأن تحصل ، أى أن تتعلم وتعلم • فاذا كان الظلم موضوعا للعقاب ، اذن فان المجتمع يعتبر فضيلة العدالة مما يمكن تعلمه (٣٢٤ جـ) •

ونعود الآن (٣٢٤ د) الى مشـــكلة أبناء عظماء الساســـة الذين لم يستطع آباؤهم نقل كفاءاتهم اليهم • ونذكر أن سقراط دفع بهذه الملاحظة لمحاولة التشكيك فى امكان تعلم الفضيلة السياسية (ونلاحظ أن معنى الفضيلة هنا مختلف قليلا عن المعنى الســـابق ، وهى تعنى هنـــا الكفاءة أو القدرة على السلوك الناجح فى ميدان ما ، وميداننا الآن هو ميدان السياسة) • والذى سيفعله بروتاجوراس هو أن يبرر وجود أبناء فاشلين لرجال عظماء ، بدون أن تمس هذه الواقعة المبدأ الذى يدافع عنه ، وهو أن الفضيلة يمكن أن تعلم • وهو يبدأ بالتأكيد على مقدمة أساسية وهى أن

هناك شيئا وحيدا لابد منه لكى تقوم للدولة أو للمجتمع قائمة ، فما هو هذا الشىء اذن ؟ أنه ليس فن الحدادة ولا فن العمارة ، بل هو العدالة والاعتـدال والتقوى ، أو فى كلمة واحـدة كما يقول بروتاجوراس ، « الفضـيلة » (ونلاحظ هنا أيضـا أن مضمون هـذه الكلمة مختلف عما أشرنا اليه منذ قليل ، وهو هنا أوسع المعانى) • فاذا كا نذلك كذلك، فانه يجب أن يشترك كل المواطنين فى الفضيلة ، فعليها يجب أن يقوم كل سـلوك ، ويجب أن يتعلمها الجميع وأن يعاقب من يخالفها سـواء أكان طفلا أو امرأة أو رجلا حتى يعود على التقيـد بها • فهل يعقل ، هكذا يسـتطرد بروتاجوراس ، أن يكون الحال هكذا ولا يعلم عظماء الساسة الفضيلة لأبنائهم ؟وهل يعقل أن يتركوهم يتعلمون المصارعة والموسيقى ، بينما يهملون هذا الشىء الجوهرى لقيام كل مدينة ؟ كل هذا غير معقول (٣٢٥ جـ) •

ولكن من أين يأتى اذن أن كثيرا من أبناء عظماء السياسة لا يبلغون شأو آبائهم فى فضيلتهم التى اشتهروا بها ؟ يقول بروتاجوراس (٣٢٦هـ وما بعدها) انه لا عجب فى ذلك ، قياسا على ما نرى من أن أبناء بعض الحدادين لا يجيدون الحدادة ، وأن أبنـاء بعض العازفين على النـاى لا يقاسون فى مهارتهم فى العزف على هـذه الآلة بأبناء ليس آباؤهم من المتخصصين فىهذا الفن، فهناك من الأطفال من هم موهوبون أكثر من غيرهم لهذا الفن أو ذاك (٣٢٧ب ٧ ـ ٨) • ويلاحظ القارىء أن بروتاجوراس يلجأ هنا الى مفهوم « الموهبة الطبيعية » ، بعد أن كان قد رفض فى البداية أن تكون الفضيلة هبة من الطبيعة • وهكذا فانه فى نفس الوقت الذى تعلم فيه الفضيلة للجميع (مبدأ أن الفضيلة تحصـل بالتعلم وليست من الطبيعة أو المصادفة) ، فان الفروق الشخصية يرجعهـا بروتاجوراس الى اختلافات فى الموهبة الطبيعية ، مع التأكيد على أنه يعتبر أن حدا أدنى من هذه الموهبة الطبيعية متوفر لدى الجميع • وهكذا لو فرضـنا أن الشرط الأساسى للحياة فى المجتمع هو القدرة على العزف على الناى فاننا

سنجد كل المواطنين قادرين على ذلك من حيث المبدأ ، ولكنهم سيتفاوتون في مدى مهاراتهم الشخصية ، وكذلك الحال مع الفضيلة (٣٢٧ جـ) • ويرى بروتاجوراس ، في اضافة جديدة ، أن سقراط يرى أن هناك من يعلم الفضيلة لاشىء ، في رأى الخطيب ، الا لأن كل الناس تعلم الفضيلة ، ويقيس ذلك على ما قد يبدو من أنه ليس هناك في بعض المجتمعات من يعلم اللغة ، وما ذلك الا لأن الجميع يعلمونها لمن حولهم (٣٢٧ هـ — ٣٢٨ أ) •

ولكن السفسطائى الحاذق ينتبه الى أن في قوله الأخير هذا ما قد يشكل تهديدا له هو نفسه : فما دام الجميع يعلمون الفضيلة ، فماذا يفعل هو اذن ؟ وعلام ينال أجره المرتفع ؟ لهذا فانه يضيف سريعا أنه سيكون من الصعب جداً أن تجد من يعلم فن الحدادة مثلا لأبناء الحدادين أفضل من آبائهم ، الا أن هذا ممكن • وهكذا الحال مع الفضيلة : صحيح أن الجميع يعلمونها ، وصحيح أنه من الصعب أن يوجد واحد يعلمها لأبناء المواطنين أفضل من آبائهم ، ومع ذلك فان هذا ممكن ، وبروتاجوراس ممن يتمتعون بهذه الميزة العظيمة (٣٢٨ أ) •

ويستطرد مشيدا بنفسه : فهو يعتبر أنه يتفوق على كل الآخرين في صنعة تعليم الفضيلة ، أى في جعل الشباب يسيرون على طريق ما هو جميل وطيب • وهو لهذا يستحق أجره ، بل هو يستحق أكثر مما ينال بالفعل باعتراف تلامذته أنفسهم ، كما يقول • وها هى الطريقة التى اختارها لتحديد أجره : عندما ينال أحدهم دروسا عنده فانه اما أن يدفع الأجر الذى يحدده بروتاجوراس نفسه ، أو يدفع الأجر الذى يراه مناسبا ، على أن يودعه أحد معابد الآلهة ، مقسما أنه الأجر الذى يستحقه بروتاجوراس •

ولكن الخطبة البروتاجورية تحوى قسما آخر أجلنا الاشارة اليه حتى الآن ، حتى يكون عرض رأى بروتاجوراس في مشكلة تعلم الفضيلة

مكتملا ومتصلا بجوانبه المختلفة ، ذلك هو القسم (٣٢٥ جـ — ٣٢٦ هـ) الذى يعرض فيه لنظام التربية التقليدى ، وهو قسم يهم المؤرخ للتربيـة والذى يريد أن يتفهم بعض أسس تكوين العقليـة اليونانية فى عصرها الذهبى .

وكانت تربية الطفـل تبدأ بالطبع فى المنزل ويقوم بها ، الى جانب الأم والأب ، المرضعة والعبد القائم على توجيه الصـغير ورعايته ، وهم جميعا يستخدمون الارشاد ، ويستخدمون الانذار والعقاب . وحين يحين السن يرسل الطفل الى المدرسـة ، وهناك ستستمر تربيته الأخلاقية الى جانب تعلمه اللغة والموسيقى . وما أن يعرف القراءة حتى توضـع بين يديه قصائد كبار الشعراء التى تمجد البطولة والأبطال المشهورين ، فيمتلأ الطفل رغبة فى الاقتداء بهم . وكذلك يفعل مدرسو الموسـيقى : فهم يحاولون غرس الانسجام والتوافق فى نفوس الأطفال ، حتى تصير وديعة بعيدة عن الجفاف . وبعد هؤلاء وأولئك يأتى دور مدرسى التـدريبات الرياضة : ومهمتهم أن يضعوا جسـدا قويا قادرا على تحمل الحرب فى خدمة مواطن المستقبل . هذه كانت جوانب التربية التقليدية الرئيسية ، ويؤكد بروتاجوراس على أن العناية بالطفل تزداد بازدياد ثراء عائلته : وهكذا فأطفال الأغنياء هم أول من يذهبون الى المدرسـة ، وآخر من يتركونها (والاشارة هنا الى عدد السنين التى يقضيها الأطفال فى المدرسة) .

هل يمكن تعليم الفضيلة ؟ (٣٢٨ د — ٣٣٤ جـ) :

هنا يبدأ الحوار الفلسفى على الحقيقة ، لأن سقراط بعد الاستماع الى خطبة بروتاجوراس الطويلة يضع المشكلة التى ستكون محور المحاورة ، وهى مشكلة وحدة الفضيلة أو تعددها . ولكن أفلاطون قبل هذا ينتقل بالقارىء فى رفق من بلاغة بروتاجوراس الى دقة سقراط ، بأن يجعل هذا الأخير يعبر أولا عن انبهاره الى درجة تقرب من فقد الوعى أمام سـحر كلمات بروتاجوراس . وليس فى هذا فى الواقع مديح ، بل هو أقرب

ما يكون الى الذم ، لأن هدف التفلسف السقراطى الأفلاطونى ليس أن يفقد المرء سيطرته على عقله بل أن يصل الى حالة من الوضوح العقلى الكامل يقوم على وعيه بذاته وعيا يطبق الحكمة المعروفة : « اعرف نفسك بنفسك » .

ويتظاهر سقراط بأنه قد اقتنع « ببرهنة » بروتاجوراس على أن الفضيلة يمكن أن تعلم وتتعلم (ونلاحظ هنا أن سقراط فى ٣٢٨ﻫ يتحدث بصفة عامة عن تكوين الرجل الفاضل ، وهكذا يرتفع الحوار من درجة « الفضيلة » بمعنى النجاح فى السلوك ، وفى السلوك السياسى بوجه خاص ، الى الفضيلة بمعنى القدرة الخاصة على أداء وظيفة معينة ، وها هى تستخدم الآن بالمعنى الأخلاقى الخاص الذى تشير اليه الكلمة العربية). ولكنه لا تستوقفه الا صعوبة « صغيرة » ، ما هى ؟ لا يذكرها سقراط على الفور ، وانما يمتدح بروتاجوراس أولا على نحو يجعله ينتفخ فخرا ، حين يقارن بينه وبين الساسة أو الخطباء بوجه عام : فقد يستمع المرء من أحد مشاهير الخطباء ، بيريكليز مثلا ، الى خطبة « جميلة » (ونلاحظ السخرية الرقيقة هنا) كخطبة بروتاجوراس تلك ، ولكنه ما أن يلقى عليهم سؤالا حول مسألة مما جاء فى حديثهم ، حتى يسقط فى أيديهم فلا هم يعرفون الاجابة ولا هم يعرفون كيف يسألون بدورهم . واذا حدث وطلب المرء منهم ايضاحا ، تجدهم يردون فى غزارة وكأنهم أوان نحاسية اذا هززتها ظلت تردد الصدى حتى تصمتها بوضع اليد .

هكذا الخطباء والساسة . أما بروتاجوراس فانه يختلف . انه يجيد فن الخطبة الطويلة (كما حدث وفعل الآن) ، وهو يجيد أيضا فن الرد على الأسئلة باجابات قصيرة ، كذلك فانه اذا ماسأل يعرف كيف يصبر حتى يتلقى من محادثه الاجابة . هنا نستطيع أن نتصور بروتاجوراس وقد انتفخ أوداجا ، وهو ينظر فيمن حوله منتصرا متباهيا ، غير منتبه الى أن سقراط انما يستدرجه ليقلع عن أسلوب الخطبة ، وليخضع لأسلوب الحوار السقراطى عن طريق الأسئلة والاجابات القصيرة ، والذى يقول عنه سقراط (٣٢٩ آ) ان القليلين القليلين هم القادرون عليه .

هناك اذن « صعوبة صغيرة » : تلك هى أن بروتاجوراس أشار فى خطبته الى العدل والى الاعتدال والى التقوى ، وكأنها كلها ليست الا شيئا واحدا ، هو الفضيلة . وسقراط يريد الآن من بروتاجوراس أن يوضح له فى جلاء ان كانت هذه الخصائص أجزاء من الفضيلة أم كانت أسماء مختلفة لشىء وشىء واحد . هذا هو وضع المشكلة ، ومن هنا ينطلق الحوار الفلسفى الذى يبدأ بعرض رأى بروتاجوراس فى طبيعة العلاقة بين الفضائل المختلفة . وهو يقول (٣٢٩ د) ان الفضيلة واحدة ، وان تلك الفضائل المشار اليها أجزاء منها . ولكن على أى نحو؟ هل على نحو ما أن الأنف والعينين والفم أجزاء من الوجه ، أم على نحو ما أن قطع الذهب أجزاء من الذهب ، ولا اختلاف بينها الا من حيث الكبر والصغر ؟

فيجيب بروتاجوراس بأن العلاقة بين أجزاء الفضيلة والفضيلة ككل هى على النحو الأول ، وأحيانا ما يحدث أن يكون للفرد هذا القسم من الفضيلة دون ذاك ، فهناك من يملكون الشجاعة ولكنهم ليسوا عدولا ، أو من يملكون العدل ولكنهم ليسوا فطناء أو « حكماء » (بمعنى امتلاك الذكاء والفطنة ، وهو قريب من المعنى الذى تستخدم من أجله العامة لفظا فصيحا هو « النصاحة ») ، وهكذا فان أجزاء الفضيلة ، وعلى رأسها « الحكمة » بمعنى « الفطنة » ، تختلف عن بعضها البعض ، ولكل منها خاصيتها التى تميزها ووظيفتها ، كمثل اختلاف وظيفة العين وخاصيتها عن الأذن والأنف وهكذا .

هذا هو موقف بروتاجوراس . ويبدأ قسم جديد من الحوار (٣٣٠ب ومابعدها) حين يأخذ سقراط فى فحصه فحصا تفصيليا ، بمحاولة ايضاح طبيعة العلاقات بين فضيلة وأخرى : العدالة والتقوى (٣٣٠ ب — ٣٣٢ أ) ، الحكمة والاعتدال (٣٣٢ أ — ٣٣٣ ب) ، الاعتدال والعدالة (٣٣٣ب — د) . فهل يمكن ألا تكون التقوى عادلة ، أو أن تكون العدالة ضلالا ؟ ويحاول بروتاجوراس ألا يطلق رأيه صريحا ، حتى لا يناقض ما كان بدأ بقوله ، ويشير الى أنه لا شك من وجود تشابه ما على وجه

من الوجوه بين أى شيء وأى شيء ، حتى بين الأبيض والأسود ، ولكنه لا يكفى لوجود تشابه طفيف بين شيئين لكى نقول انهما متشابهان •

ويدهش سقراط من هذه الاجابة : فهل لن يكون بين العداله والتقوى الا مجرد تشابه طفيف ؟ ويجيب بروتاجوراس : ليس الأمر هكذا تماما ، ولكنه أيضا ليس كما قد يبدو لسقراط • ويفهم سقراط أن المناقشة السابقة لم ترق لمحاوره ، فيحول الحديث الى العلاقة بين الحكمة والاعتدال (٣٣٢ أ وما بعدها) ، ليظهر له أن لهما نفس الضد ، وهو الجنون ، وليس للضد الا ضد واحد ، اذن فالحكمة والاعتدال هما واحد ونفس الشيء • ثم يسارع الى تناول العلاقة بين الاعتدال والعدل (٣٣٣ ب) ، ولكن بروتاجوراس يضيق بطريقة سقراط التى تؤدى به ، من حيث لا يدرى الى ما لا يود أن يصرح به (٣٣٣ د — هـ)•

وكانت المسألة التى سمحت له بالهرب من الدائرة التى يريد سقراط أن يحصره فيها هى مسألة العلاقة بين ما هو خير وما هو مفيد ، وحولها يلقى خطبة قصيرة لامعة ، ويتخذ فيها موقفا يذكرنا بمذهب النسبية الذى قال به بروتاجوراس الشخصية التاريخية بالفعل : فهناك من الأشياء ما هو مضر لهذا الحيوان ومفيد لذلك ، والزيت يفيد حين يستخدم هذا الاستخدام ، ويضر حين يستخدم استخداما آخر • وتثير هذه الخطبة (٣٣٤ أ — جـ) تصفيقا حادا عند الحضور ، فما من شك أنها مست عندهم أوتارا مناسبة ، ولكنها لا تمس سقراط ولا تروق له ، سقراط الذى كان قد طلب من بروتاجوراس (٣٢٩ ب) أن يستخدم معه الاجابات القصيرة ، والذى يكرر الآن أنه لا يحتمل الخطب الطويلة « لأن ذاكرته ضعيفة » (٣٤٤ جـ) ، ولكن بروتاجوراس لا يستجيب له (٣٣٥ أ) ، ونصل الى موقف يتهدد فيه استمرار الحوار ، ويتوقف بالفعل للحظات طوال •

فقد فهم سقراط أن بروتاجوراس لم يكن راضيا عن الاجابات التى كان هو نفسه قد أدلى بها وأنه لذلك لا يود الاستمرار فى الحوار ،

ونهذا يهم سقراط بالقيام (٣٣٥ جـ) ليغادر المجلس ، ولكن رب البيت ، كالياس ، يمسك به ويلح عليه من أجل أن تستمر المناقشـة بينه وبين بروتاجوراس ، لأنه ليس هناك أمتع عنده من مثل تلك المناقشة بين هذين الرجلين ، وبينمـا يعود سـقراط الى تأكيد موقفه ، وهو أنه لا يملك القدرة على متابعة الخطب الطويلة كما يدعى ، فان كالياس يأخذ جانب بروتاجوراس حين يقول ان من حق هذا الأخير أن ينـاقش على النحو الذي يحلو له (٣٣٦ب) • أما ألقبيادس فانه يأخذ جانب سقراط صراحة ، فى كلمة عنيفة تتحدى قدرة بروتاجوراس على الحوار بطريقة الأسـئلة والأجوبة القصيرة (٣٣٦ ب ـ د) •

وهنا يدعو كريتياس السفسطائيين الآخرين ، بروديقوس وهبياس ، الى أن يتدخلا فى الخلاف على الحياد ليدعوا المتناقشين الى العودة الى الحوار • فيلقى كل منهما خطبـة (٣٣٧ أ ـ ٣٣٨ ب) يستعرضان فيها قدرتهمـا الخطابية • ويدعو بروديقوس المستمعين الى الانصـات الى المتناقشين على الحياد ، وان لم يكن على السواء ، أما هيباس فإنه يدعو سقراط وبروتاجوراس الى موقف وسط ، ويقترح عليهما على الأخص أن يختارا رئيسـا للمناقشـة ، يحكم بينهما فى أمر طول الكلام وقصره (٣٣٨ أ ـ ب) • وقد لاقت هذه الفكرة استحسان الحاضرين ، لأنهـا كانت شيئا متبعا فى مناقشات العصر ، وخاصة بين السفسطائيين فيمـا يبدو • ولكن سقراط يرفضها ، متعللا فى الظاهر بأنهـا ستكون اهانة لبروتاجوراس شـيخ علمـاء الوقت ، ويقترح بدلا من ذلك أن يقوم بروتاجوراس أولا بسؤاله ما شاء له من أسئلة ثم يفعل هو معه بعد ذلك الشيء نفسـه ، وهـكذا فلن تكون بهمـا حاجة الى حـكم رئيس (٣٣٨ جـ ـ د) • وقـد وافق الجميع على هـذا الاقتراح ، ورغم أنه لم يكن يروق لبروتاجوراس ، الا أنه اضطر الى الموافقة عليه •

مناقشة حول قصيدة شعرية (٣٣٨ هـ ـ ٣٤٧ أ) :

ويختار بروتاجوراس أن يقوم بسؤال سقراط حول احدى قصائد الشاعر سيمونيديس ، وهو يفعل ذلك ، من جهة ، لأن القصـيدة التى

اختارها تعالج موضوع الفضيلة أيضا ، ومن جهة أخرى ، وهــذا هو الأهم ، لأنه يعتبر ، وأهــل العصر مع والسفسطائيون ، أن « مادة » التربية الرئيسية انما هي الشعر (ويجب أن تتذكر أن هوميروس سيظل لأمد طويل المحور الرئيسي للتربية اليونانية) • ولا يضع أفلاطون هذا القسم في المحاورة عبثا ، فربما يكون هدفه الترويح عن القارىء بعض الشيء ، وربما يكون تسجيل جانب من جوانب نشاط العصر الثقافية ، ولكن لعل هدفه الأول منه أن يكون بيان الفرق بين طريقة السفسطائيين وطريقة سقراط الذى سنراه فى النهاية (٣٤٧ ب وما بعدها) يرفض أن يكون الشعر مادة الفكر (أى مادة الفلســفة) ، ويطلب الرجوع الى الحوار العقلى • على أية حال ، فان بروتاجوراس يعرض على ســقراط (٣٣٨ أ ــ ب) أبياتا من شــعر سيمونيديس ، تقول انه من الصــعب أن يصــير المرء رجلا فاضلا ، ثم أبياتا أخرى له أيضا يبدو فيها وكأنه يتناقض مع نفســه ، حين يعلن أنه لا يوافق على كلمة للشــاعر بتاكوس (أحد الحكماء الســبعة) ، يقول فيهــا انه من الصعب أن يكون المرء فاضــلا •

والحق أن سقراط يدافع عن سيمونيديس ويأخــذ ثلاثة مواقف مختلفة بل ومتناقضة : فى الموقف الأول (٣٣٩ جـ ــ ٣٤٠ د) يعتمــد سقراط على بروديقوس للتمييز بين « يصير » و « يكون » ، وفى الثانى (٣٤٠ د ــ ٣٤١ د) يؤكد على معنيين لكلمة « صعب » باليونانية التى تعنى أيضا « سيء » ، أما فى الثالث (٣٤١ د ــ ٣٤٧ أ) فانه يعلن أن موقفه الســابق لم يكن سليما ويقــدم عرضا طويلا يفسر فيه قصــيدة سيمونيديس • ولا نريد أن نتوقف هنا عند تحليل هذا التفسير السقراطى لأن أهميته الفلسفية قليلة ، ونشير فقط الى بعض ما هو جدير بالملاحظة فى هذه « الخطبة » السقراطية •

١ ــ فهى بالفعل خطبة طويلة ، مما يبدو معه وكأن سقراط يتناقض مع كان قد قال حول عدم قدرته على الحــديث الطويل ، وربمــا كان الهدف هنا هو منافسة بروتاجوراس فى ميدانه هو ، أى ميدان الخطبة•

٢ — يبدأ حديث سقراط بعرض طويل حول مكانة الفلسفة فى اسبرطة وكريت ، ونعلم أن سقراط كان متهما بالميل الى النظم الاسبرطية فى الحكم ،وربما كان أفلاطون نفسه كذلك .

٣ — وهو يشير أيضا الى الحكماء السبعة والى أهم حِكَمهم : « اعرف نفسك بنفسك » و « تجنب الافراط » .

٤ — وبعد أن يفسر المعارضة بين سيمونيديس وبتاكوس يصل الى الاشارة الى الرأى المعروف عن سقراط وهو أنه « لا شرير بارادته » (٣٤٦ د — ٣٤٧ ب) .

وهناك من الاشارات الصريحة (٣٣٩ جـ ، هـ ، ٣٤٠ جـ — د ، ٣٤١ د) ، ما يدل على أن حديث سقراط هذا لا ينبغى أن يؤخذ على محمل الجد ، بل هو لعب بالكلمات والأفكار ، وربما كانت أهم هذه الاشارات رفض سقراط نفسه فى النهاية لهذا الحديث الشعرى ، لأنه قد يكون ممتعا ، ولكنه لا يؤدى الى العثور الى الحقيقة . فالفلسفة ومنهج الحوار العقلى شىء ، والشعر والخطب المطولة المنمقة شىء آخر .

عود الى مشكلة وحدة الفضيلة وتعددها :

ويضع سقراط المشكلة من جديد وضعا أدق مما سبق : فهل الحكمة والاعتدال والشجاعة والعدل والتقوى مجرد أسماء خمسة لموضوع واحد ، أم أن كل اسم منها يعكس هيئة أو تكوينا ، شيئا قائما بذاته له خواصه الذاتية (٣٤٩ ب) ؟ وكان موقف بروتاجوراس الأول أن لكل شىء من هذه الأشياء كيانه الخاص وأنها جميعا أجزاء من الفضيلة ، ليس على طريقة أجزاء قطعة الذهب ، بل على طريقة أعضاء الوجه ، ولكنه الآن يغير من موقفه بعض الشىء ، ويساعده سقراط نفسه على اعلان ذلك ،بأن يقول انه لن يدهش اذا غير بروتاجوراس من آرائه ، فما قال ما قال الا ليختبر سقراط .

وها هو موقف بروتاجوراس المعدل : ان هذه الأشياء أجزاء للفضيلة ، ولكن أربعة منها متشابهة فيما بينها ، وهى الحكمة والاعتدال والعدل والتقوى ، أما الشجاعة فانها تختلف كثيرا عن الأربعة الأخر ، والدليل على ذلك أن هناك من الأشخاص من هم ظالمون وفجرة جهلة لا يعرفون الاعتدال ، ولكنك تجدهم مع ذلك شجعان أعظم شجاعة (٣٤٩ د) . وهكذا تأخذ المناقشة وجهة جديدة محددة تدور حول الشجاعة وحول تشابهها أو اختلافها مع الفضائل الأخرى الأربعة ، وخاصة مع الحكمة أو العلم .

ويبدأ سقراط فى فحص هذا الموقف الجديد ويحاول أن يبين لبروتاجوراس أن الشجعان جسورون ، وأن الجسارة نجدها عند من يعرفون (من هو الجسور فى القتال على ظهور الخيل ؟ هو من يعرف ركوب الخيل وليس من لا يعرف ذلك) ، وأنهم يضبحون أكثر جسارة بعدما يعرفون عنهم قبل المعرفة (٣٥٠ أ) . ولكن الذى لا يقبله بروتاجوراس (٣٥٠ ب) هو ألا يكون الجسورون هم من يعلمون وحدهم ، فهناك أشخاص لا يعرفون فن القتال ولكنهم يحاربون بجسارة فائقة ، كما تدل على ذلك تجربتنا ، وأن هؤلاء جسورون ، ولكنهم ليسوا شجعانا ، لأن الشجاعة شىء جميل بينما هؤلاء مجانين فى الواقع . وعلى حين أن سقراط يحاول استخراج النتيجة التى تهمه من المناقشة ، وهى أنه مادام بروتاجوراس يعترف بأن من يعلم يصبح أكثر جسارة وشجاعة عما قبل ، فانه يجب أن يعترف اذن أن الشجاعة هى العلم ، فان بروتاجوراس يقلب الوضع ، ويحتج على استنتاجات سقراط التى تفترض وكأن بروتاجوراس يقول بأن كل الجسورين شجعان ، بينما هو يقبل فقط أن كل الشجعان جسورون (٣٥٠ جـ — د) . ومن جهة أخرى فان طريقة سقراط فى اثبات أن الشجاعة هى العلم يمكن أن تستخدم أيضا فى قول ان القوة هى العلم .

بعد هذا الهجوم المضاد القوى ، اذا أردنا استخدام لغة الحرب ، يوجه سقراط المناقشة وجهة جديدة من أجل أثبات أن الشجاعة علم ،

وهو يفعل ذلك بالقيام بدورة كبرى لا يرى القارىء لأول وهلة هدفها ولا مغزاها ، ولكنها تدور حول الحياة الانسانية بأكملها وتتناول أسس السلوك وتثير مسألة مكان العلم ، أى المعرفة العقلية بمعناها العام ، في تدبير شئون حياة الانسان . وها هى حلقات هذه « الدورة الكبرى » التى تمتد من ٣٥١ ب الى ٣٥٨ هـ .

يبدأ سقراط بعرض رأى مفاده أن الحياة الطيبة هى الحياة المتعة التى تخلو من الآلام والأحزان ، ثم يحاول أن يجعل من الحياة فى المتعة شيئا طيبا أو خيرا (agathon) ، ولكن بروتاجوراس يشترط أن يكون الاستمتاع استمتاعا بالأمور الحسنة والجميلة . وقد يخطر على القارىء هنا هذا التساؤل : هل الرأى الأول ، وهو أن الحياة الطيبة هى حياة المتعة ، هل هو رأى سقراط (ورأى أفلاطون) بالفعل ؟ وأليس الشرط الذى يشترطه بروتاجوراس كان جديرا بسقراط نفسه فى الواقع ؟ نكتفى هنا بالاشارة الى هذه المشكلة وسنعود اليها حين نعرض لمفهوم اللذة فى محاورتنا هذه . بعد اشتراط بروتاجوراس يتعجب سقراط ، أو يصطنع التعجب ، ويقول له : فهل أنت لا توافق اذن على رأى الجمهور الذى يرى الخير فى المتعة وتعتبر أن بعض الأشياء الممتعة سيئة وبعض الأشياء غير الممتعة حسنة وخيرة ؟ فيؤكد بروتاجوراس موقفه مع شىء من التفصيل (٣٥١ د) ، بينما يستخدم سقراط اصطلاح « اللذة » الى جانب اصطلاح « المتعة » ، ويصبح محور التساؤل : هل اللذة فى ذاتها هى الخير أم لا ؟ ويظهر بروتاجوراس سعة أفق واضحة حين يطلب من سقراط فحص الأمر لنرى ان كانت اللذة هى الخير أم كانا مختلفين (٣٥١ هـ) .

وكما احتار القارىء بعض الشىء حين أثار سقراط مشكلة طبيعة الحياة الطيبة وعلاقة اللذة بالخير ، فانه قد يحس بشىء من ذلك أيضا حين يرى سقراط يبدأ فحصه (٣٥٢ ب) بسؤال بروتاجوراس عن رأيه فى العلم ، أو المعرفة ، وقوته وعما اذا كان يرى فيه نفس رأى العامة

أو الجمهور . ذلك أن العامة لا ترى ان العلم قوة حقيقية فى توجيه السلوك وقيادته ، فهى مقتنعة أن العلم يمكن ان يوجد عند شخص ما ، ولكنه ليس هو الذى يحكم تصرفاته ، بل هى انفعالات وعواطف من قبل الغضب واللذة والألم ، والحب أحيانا والخوف كثيرا ، وأن العلم ، أو المعرفة ، الذى يوجد عند مثل هذا الشخص لا يفعل شيئا الا أن يكون تابعا وخادما لهذه الدوافع السلوكية . فهل يرى بروتاجوراس مثل هذا الرأى فى العلم ؟ أم هو يرى أن الشخص الذى يوجد عنده العلم ، أى علم الخير والشر ، لا يمكن لأى دافع آخر أن يغلبه على أمره وأن يجعله يسلك على خلاف ما يأمره العلم به ، وبعبارة واحدة . هل العقل فى الانسان يكفى لتوجيه السلوك ؟ يحاول بروتاجوراس التهرب من الاجابة الصريحة ، ويقول انه سيكون من العار عليه ألا يعلن قوة العلم ، ولكن هناك كثيرين ممن يعتقدون فى أن العلم ليس هو الموجه للسلوك ، وأن المرء قد يعلم ما هو الأفضل ولكنه لا يفعله ، والسبب فى ذلك فى رأى العامة أن اللذة أو الألم تغلب المرء على أمره .

وهكذا ننتقل فى هذه « الدورة الكبرى » الى موضوع ثالث هو : ما معنى أن تنتصر اللذة على المرء وأن تغلبه على أمره حتى أنه لا يفعل ما يعرف أنه الأفضل ؟ (٣٥٢ هـ — ٣٥٣ أ) . والحق أن بروتاجوراس يعترض على اهتمام سقراط بأقوال العامة الذين لا يفكرون ، ولكن سقراط يطلب منه أن يتبعه على هذا الطريق لأنه ذو أهمية من أجل اكتشاف طبيعة العلاقة بين الشجاعة وبقية الفضائل ، وهى المسألة التى أدت الى القيام بهذه الدورة الكبرى . وحتى لا يحمل بروتاجوراس صراحة مسئولية الرأى القائل بضعف العلم ، فانه يدير المناقشة مع متحدثين خياليين يمثلون العامة مكتفيا بأخذ موافقة السفسطائى على طول تلك المناقشة المتخيلة .

ويقول سقراط اذن للعامة ان اللذات التى يقصدونها حين يتحدثون عن وقوع المرء تحت تأثير اللذة هى لذات الطعام والشراب والحب ،.

وأنهم يعلمون أنها قد تكون سيئة ، الا أنهم يفعلونها رغم هذا . ولم يعرفون أنها سيئة ؟ ان السبب فى هذا ليس هو اللذة فى ذاتها ، بل هو نتائجها فى المستقبل ، من فقر وأمراض وغير ذلك (٣٥٣ د ـــ هـ). والفقر والمرض يولدان الآلام وتتبعها الأحزان ، وهكذا فان تلك اللذات ليست سيئة الا لأنها تؤدى الى الألم وتحرم من لذات أخرى . هذا من جهة . ومن جهة أخرى (٣٥٤ أ) فان العامة ترى أن بعض الأشياء الطيبة مؤلمة ، مثال ذلك التدريبات الرياضية والمعارك الحربية وبعض ألوان العلاج الطبى ، ولكنها لا ترى أنها طيبة بسبب الآلام التى تصاحبها مباشرة بل لأنها تنتج فى المستقبل نتائج طيبة (٣٥٤ ب) ، والمقصود بهذه النتائج الطيبة لذات (٣٥٤ ب) ، بحيث أن العامة ترغب فى اللذة على أنها هى الخير وتهرب من الألم على أنه الشر ، لأن المتعة فى ذاتها قد تكون شرا حين تحرمنا من لذات أو تأتى بالآلام ، وهكذا فان معيار الخير والشر ليس هو المتعة بل هو اللذة والألم (٣٥٤ جـ ـــ هـ) .

ولكن اذا كان ذلك كذلك ، أى كانت اللذة هى الخير والألم هو الشر ، فانه سيكون من المضحك ، أى من التناقض ، أن تقول العامة مع ذلك ان رجلا قد يعرف الشر على أنه شر ولكنه يفعله رغم هذا لأنه يقع فريسة للذات ، وكذلك الحال مع العلم بالخير وعدم فعله (٣٥٥أـــب). ويظهر هذا التناقض اذا انتهينا الى أن قولهم ان المرء لا يفعل الخير لأنه واقع فريسة للذات يعنى فى الواقع بحسب المبادىء التى اتفق عليها أنه لا يفعل الخير لأنه واقع تحت تأثير الخير . وكذلك الحال أيضا مع قولهم ان المرء يفعل الشر لأنه واقع تحت تأثير اللذات ، فهو يعنى أيضا أنه يفعل الشر لأنه واقع تحت تأثير الخير ، وفى هذا وذاك تناقض . والواقع أن الأمر كله لا يخرج عن موازنة بين اللذات ، الحاضرة والمستقبلة ، الضئيلة والعظيمة ، وأنهم حين يتحدثون عن الوقوع تحت تأثير اللذات ، فانما يقصدون لذات أعظم وآلام أقل ، ولكن اللذة فى ذاتها لا يستطيعون أن يرفضوا أنها الخير . وهكذا (٣٥٦ دوما بعدها) تصبح سعادتنا معلقة.

على اختيار الأعظم من اللذات وعلى تفادى الأقل ، ويصبح أساس انقاذ حياتنا فن القياس ، قياس اللذات والآلام • وأليس هذا علما ومعرفة ؟ (٣٥٧ أ) • ولا يفصل سقراط فى طبيعة هذا العلم (٣٥٧ ب) ، مكتفيا بهذه النتيجة الهامة فى مناقشته مع العامة : أن سعادتنا وانقاذ حياتنا يعتمد فى الأساس على علم • وينهى سقراط مناقشته مع العامة (٣٥٧ جـ ـ هـ) بتلخيص الخطوات السابقة مع ابراز أن ما كانوا يسمونه « خضوعا للذات » يمكن الآن أن نعطيه اسمه الحقيقى ، آلا وهو « الجهل » ، لأن الوقوع فى خطأ فى السلوك لا ينتج الا عن افتقار الى هذا العلم ، علم قياس اللذات والآلام •

ثم يعقب قسم جديد (٣٥٨ ا ـ هـ) يتناول فيه سقراط الحديث مع هبياس وبروديقوس ويعد تمهيدا للانتقال الى المناقشة الختامية مع بروتاجوراس حول صلة الشجاعة بالفضائل الأخرى ، وبهذا القسم الحالى تنتهى « الدورة الكبرى » التى بدأت فى ٣٥١ ب • وفيه يتلقى سقراط موافقة هبياس وبروديقوس على ما قيل وخاصة حول أن المتعة خير والعكس بالعكس ، وأنه ما دام الأمر كذلك فان كل من يعلم الأفضل سيفعله ، لأن الأفضل هو الذى يجلب متعة أكبر ، وهو قد يفعل هذا مقاوما ميلا الى فعل شىء آخر ، فهو بالعلم سيسيطر على نفسه ، وهذا ما يسمح لسقراط بأن يعرف الجهل بأنه أن يكون المرء أقل أو أضعف من نفسه ، والعلم أو الحكمة أن يكون أقوى من نفسه (٣٥٨ جـ) • وهنا يضيف مذهبا سقراطيا هاما ، وهو أنه ليس هناك من يذهب بارادته الى الشر ليفعله اذا ما كان يعلم أو حتى يعتقد أنه الشر ، واذا حدث واضطر المرء الى الخيار بين شرين فانه يختار الأهون • ثم يسأل السفسطائيين سؤالا يقربنا من موضوعنا الأصلى : أليس هناك شىء هو الخوف أو الخشية وأنه انتظار حدوث شر ما ؟ فاذا ووفق على هذا ، وهو ما يحدث ، فانه يصبح غريبا أن نرى أحدا يذهب الى ما هو موضع لخوفه ، حيث أنه اتفق على أن ما يكون موضوعا للخوف هو شر ما ، وعلى أن المرء لا يذهب الى الشر بارادته (٣٥٨ هـ) •

وهكذا نلمس من جديد أعتاب مشكلة الشجاعة التى يعود اليها سقراط بالفعل فى القسم الأخير من المناقشة الذى يمتد من ٣٥٩ أ حتى ٣٦٠ هـ . وهنا أيضا يبدأ سقراط بتلخيص ما سبق تلخيصا وافيا وخاصة ما سميناه بموقف بروتاجوراس المعدل (٣٤٩ د) ، الذى اعتبر فيه الشجاعة فضيلة مختلفة عن الفضائل الأربع الأخرى التى قبل وجود تشابه فيما بينها ، وقال على الأخص ان الدليل على ذلك أن هناك من هو جاهل عظيم الجهل ولكنه شجاع عظيم الشجاعة . وهو يستمر الآن معتمدا على كل النتائج التى انتهت اليها مراحل المناقشة المختلفة ، ويبدأ بسؤال بروتاجوراس : هل ما يجابهه الرجال الشجعان هو نفس ما يجابهه الجبناء ؟ فاذا قيل ان الشجاع يجابه ما هو محل للخوف والجبان ما ليس محلا للخوف ، لم يتسق هذا القول مع ما سبق أن اتفق عليه منذ قليل (٣٥٨ هـ) من أنه من المستحيل أن يقبل المرء على ما يخشاه لأنه ليس هناك من يقبل على الشر . وهكذا (٣٥٩ د — هـ) فان الشجاع والجبان يقدمان على نفس الأشياء . ولكن بروتاجوراس يعترض على ذلك بدليل أن الشجاع وحده هو الذى يقدم على الحرب بينما الجبان يهرب منها . ويرد سقراط : وهل ذلك الا لأن الجبان يعتبرها شيئا سيئا وبالتالى فانها تسبب الألم ؟ ويوافق بروتاجوراس ويوافق كذلك على أن الحرب فى الحق شىء جميل وحسن وأنها بالتالى تسبب الخير والمتعة (٣٦٠ أ) . وهكذا فان الشجاع يقبل على الحرب لأنه يعلم أنها شىء جميل وحسن بينما الجبان يفر منها لأنه يجهل ذلك (٣٦٠ ب) . وبالتالى فان جبن الجبان يأتى من الجهل وتأتى شجاعة الشجاعة من العلم (٣٦٠ جـ — د) . أمام هذه النتيجة التى يستخلصها سقراط لا يريد بروتاجوراس أن يجيب ولا حتى بهز رأسه ، ولكنه يعترف فى النهاية أنه من المستحيل ، بحسب ما سبق أن تم الاتفاق عليه ، أن يكون الشجاع

جاهلا • وهكذا فان الشجاعة علم هى الأخرى ، ولما كان بروتاجوراس قبل منذ البدء تشابه الفضائل الأربعة الأولى فيما بينها فانه يضطر الى أن يقبل أيضا أن الشجاعة تشبه الفضائل الأخرى •

وفى السطور الأخيرة من الحوار (٣٦٠ هـ — ٣٦٢ أ) يبرز سقراط علة اهتمامه بمناقشة هذا الموضوع مع بروتاجوراس : فما الحديث حول تعدد الفضيلة أو وحدتها الا مقدمة ضرورية لمجابهة مشكلة أهم ، تلك هى مشكلة طبيعة الفضيلة فى ذاتها وما اذا كان يمكن أن تكون موضوعا للتعلم أم لا ويؤكد سقراط على اضطراب فهم هذه المسائل كلها فى نفوس أهل العصر ، وليس من دليل أقوى على ذلك من أن سقراط الذى بدأ بقول انه لا يعتقد أن الفضيلة يمكن أن تعلم ، ينتهى الآن الى أنها علم وأنها يمكن بالتالى أن تكون موضوعا للتعليم • وتنتهى المحاورة كلها بمديح عال من بروتاجوراس لمواهب سقراط ويتنبأ له بأن يحتل مكانا مرموقا بين الحكماء •

افلاطـــون

محاورة « بروتاجوراس »

(أو : عن السفسطائيين)

شخصيات الحوار : سقراط ، أبقراط ، بروتاجوراس ، كالياس ، القبيـــادس ، كريتياس ، بروديقوس ، هبيـــاس

(٣٠٩) الصديق : من أين أنت آت يا سقراط ؟ لابد أنك آت من الصيد ، صيد شباب ألقبيادس النضر (١) • والحق انني وجدته جميـــلا عندما رأيتـــه منذ وقت غير طويل ، رجلا جميلا ، ولكنه رجل مع ذلك يا ســقراط (٢) ، فلنقل هـــذا فيما بيننـــا ، بلحيته التي أصبحت وفيرة من الآن •

سقراط : وماذا في هذا ؟ أفلن تمتدح هوميروس (ب) حينمـــا تقول ان أكثر فترات الحياة سحرا هي تلك التي تشهد بزوغ اللحيـــة ، كما هو الحال الآن مع القبيادس ؟

---

(١) كان يقـــال ان سقراط مغـــرم بالقبيادس الذى كان من أعظم بيـــوت أثينـــا وربيب بيريكليز ومن أجمـــــل وأذكى شـــباب عصره وأكثرهم طموحا ، وقـــد تقلد شابا مناصب حربيـــة هامة ولكنـــه كان لا يهتم الا بمجرد مجـــده وبمصلحته حتى ولو كان ذلك على حساب أثينـــا وطنـــه . ولا شـــك أن علاقته بسقراط كانت احد العوامل الهـــامة الخفيـــة وراء محاكمـــة هـــذا الأخير ، وكأنه كان مسئولا عن ســـلوك القبيادس مسئوليـــة جزئيـــة . وعلى هـــذا الضـــوء نفهم أن سقراط يتنصل هنـــا من وجود علاقة خاصـــة قوية تربطه بالقبيادس وتجعله يفضله على الحكمـــة ، فسحر الفلسفة كما سنقرأ بعد ســـطور أقوى من سحر القبيادس . راجع « المـــأدبة » ، ٢١٦ د ، و «السفسطائى» ، ٢٢٢ د .

(٢) وهكذا ربما كانت سن القبيادس وقت الحوار حوالى الثامنة عشرة . وهناك من المؤرخين من يميلون الى جعل عام ميلاده ٤٥٢ أو ٤٥١ ق٠م٠ وكان القانون الأثينى يدخل الشباب فى عداد الرجال عند هـــذا الســـن المذكور . حـــول زهـــرة الشباب ، راجـــع « القبيادس الكبرى » ، ١٣١ د .

الصديق : فكيف تسير أمورك (معه) الآن اذن ؟ هل أنت آت من عنده ؟ وما قدر ميل الفتى اليك ؟

سقراط : حسن ، بحسب ما أعتقد ، واليوم ذاته أكثر من أى يوم آخر ، لأنه تكلم طويلا فى صالحى مادا يد العون الى، وأنا قادم الآن بالفعل من صحبته • ولكن هناك شيئا غريبا أريد أن أحدثك بشأنه . ذلك أنه رغم أنه كان حاضرا ، الا أننى لم أوجه انتباهى (٣) اليه ، بل وكثيرا ما كنت أنساه •

(ج) الصديق : فأى أمر جلل حدث اذن بينكما ؟ هل حدث وقابلت من هو أجمل منه ، فى مدينتنا هذه على الأقل ؟

سقراط : نعم ، ومن هو أجمل منه بكثير •

الصديق : ماذا تقول ؟ أمواطن أم غريب ؟

سقراط : غريب(٤) •

الصديق : ومن أى مدينة هو ؟

سقراط : من أبديرا •

الصديق : وهل ظهر لك هذا الغريب شخصا جميلا حتى بدا لك أنه أجمل من كلينياس (٥) ؟

---

(٣) لأن عقل سقراط كان منتبها الى بروتاجوراس ، وعلى الأخص الى فحص مشكلة الفضيلة . قارن ما تقوله « المأدبة » ، ٢٢٠ جـ ، حول استغراق سقراط فى فحص بعض المشكلات التى تعن له ، فلا ينتبه معها الى شىء آخر .

(٤) اى من مدينة يونانية اخرى غير اثينا التى يدور فيها الحوار ، وكان بروتاجوراس من مدينة أبديرا فى شمال اليونان ، على ساحل تراقيا ، وكانت قد ظهرت فيها الفلسفة الذرية على يد لوقيبوس وديمقريطس •

(٥) وهو ألقبيادس •

سقراط : وكيف لا يمكن للأعلم والأحكم (٦) ، أيها العزيز(٧) ، أن يكون هو الأجمل ؟ (٧مكرر) .

الصديق : آه ! تأتى الينا اذن من صحبة عالم حكيم ؟

(د) سقراط : بل هو أعلم وأحكم أهل هـذا العصر بلا منازع ، هذا اذا كنت تعتقد أن بروتاجوراس هو أحكم الجميع وأعلمهم .

الصديق : ماذا تقول ؟ بروتاجوراس هنا (٨) ؟

سقراط : ومنذ ثلاثة أيام !

الصديق : فأنت اذن تأتى الآن بعد أن كنت بصحبته ؟

(٣١٠) سقراط : تماما ، وقد تحدثنا طويلا واستمعنا الى بعضنا البعض .

الصديق : فلماذا لا تروى لنا اذن حديث المجالسة ، اللهم الا اذا كان هناك ما يمنعك ، وتلجس هنا مكان هذا العبد (٩) بعد أن يقوم ؟

سقراط : بكل سرور ، بل وسأكون أنا شاكرا لكم فضل الانصات الى (١٠) .

---

(٦) تترجم بهاتين الكلمتين معا كلمة sophôtatos هنا .

(٧) كلمة مجاملة لا أكثر .

(٧مكرر) لاحظ ترابط المستوى الجمالى والمستوى الأخلاقى ، ليس عند أفلاطون وحده ، بل وفى الأخلاق اليونانية بعامة .

(٨) لأنه كان لا يأتى أثينا الا زائرا من وقت لآخر ، والمعروف أنه صار صديقا للحاكم الأثينى بيريكليز . سؤال المتحدث المجهول يدل على أن الخبر الذى يرويه سقراط جدير بالاهتمام الشديد .

(٩) كان بعض الخدم يصاحبون سادتهم عند خروجهم . قارن « مينون » ، ٨٢ أ .

(١٠) ويدل هـذا على مبلغ اهتمام سقراط بالحديث حول الفلسفة . قارن « فيدون » ، ٥٨ د . ولاحظ استخدام جمع المخاطب مما يدل على وجود جماعة فى الحلقة .

الصديق : ونحن أيضـا سنكون شـاكرين لك فضلك ، اذا أنت تكلمت .

سقراط : وهكذا يكون الفضل مزدوجا . فانصتوا اذن . فى هذه الليلة الأخيرة ، وقبيل بزوغ اليوم الجديد (١٠مكرر) ، قرع أبقراط ابن أبوللودوروس وشقيق فازون (ب) الباب عندى بالعصا بشدة ، ولمـا فتح له هرول داخلا وصـاح قائلا : « يا سـقراط هل استيقظت أم لا تزال نائما ؟ » وقـد تعرفت عليـه فى صـوته وقلت : « هـذا أبقراط . هـل هنـاك من جديد تخبرنى به ؟ » فقـال : « ليس لدى الا أطيب الأخبـار » . فرددت عليـه : « فما عليـك الا بالكلام . ولكن ماذا هنـاك ؟ وما الذى أتى بك فى سـاعة مثـل هـذه ؟ »، فقال : « بروتاجوراس فى المدينـة » ، قال ذلك وقد انتصب أمامى . فقلت : « منذ أول أمس (١١) » . « أو لم تعـلم ذلك الا مؤخرا ؟ » فقـال : « نعم بحق الآلهة ، أمس مساء » . (جـ) وفى نفس الوقت أخذ يتحسس سريرى وجلس عنـد قـدمى وقال : « نعم أمس فقط ، وفى المسـاء المتأخر عند عودتى من أونويس(١٢) . فقد هرب عبـدى(١٣) زاتوروس ، ورغم أنه كان فى نيتى أن أخبرك اننى سألاحقه ، الا ان شيئا ما أنسانى ذلك . وحينما رجعت ، وبعد العشاء ، وبينما كنا على وشك أن نستلقى للراحة أخبرنى أخى أن بروتاجوراس فى المدينـة . وقد أردت ان آتى

(١٠مكرر) حين تكون الظلمة اغلب ، أى قبيل ظهور نور الشروق . قارن « اقريطون » ، ٤٣ أ . وعن شخصية أبقـراط التى تظهر بعد هذه الكلمـات مباشرة ، فاننا لا نعلم عنها شـيئا ، ويمكن أن تكون من اختراع افلاطون . وراجع حولها مقدمتنا ، ص ١٦ — ١٧ .

(١١) سقراط عنده كل الأخبار ، هو العـالم بكل شىء فى عالم الثقافـة فى عصره .

(١٢) منطقة على حدود أثينا ، وربمـا كانت الى شمالها الغربى .

(١٣) كان الرق أحد أسس النظام الاقتصادى اليونانى ، وسيتفنن افلاطون وخاصة أرسطو فى تبريره « بأدلة عقلية » .

اليك عند ذلك على الفور (١٤) ، ولكننى رأيت أن الوقت كان متقدما فى الليل . وما أن أزال النوم عنى التعب حتى قمت على الفور (د) وجئت الى هنا كما ترى » . ولما كنت أعرف فيه اقداما وعزما (١٤مكرر) ، فقد قلت له : « ماذا بك ؟ هل أساء اليك بروتاجوراس ؟ » ، فضحك وقال : « نعم وحق الآلهة يا سقراط ، لأنه وحده العالم ولا يجعلنى (أصير مثله) » فقلت : « ولكنك اذا أعطيته نقودا وأقنعته فانه سيجعل منك أنت أيضا عالما وحق الآلهة » . فرد قائلا : « لو أن الأمر يتوقف (هـ) على هذا أيازيوس وكل الآلهة ! فاننى لن أترك شيئا عندى ولا عند أصدقائى(١٥) . واننى لأجل هذا نفسه عندك الآن : من أجل أن تحدثه فى شأنى . فأنا صغير السن جدا كما أننى من جهة أخرى لم أقابل بروتاجوراس من قبل مطلقا ولا سمعته أبدا ، لأننى كنت طفلا عند زيارته الأولى هنا (١٦) . ولكن الجميع يمتدحون الرجل ، يا سقراط ، ويقولون انه أعلم الناس بفن الكلام (١٧) . فلماذا لا تذهب اليه حتى

---

(١٤) يدل هذا على وثاقة العلاقة بين أبقراط وسقراط ، وعلى أن هذا الأخير كان « مستشاره » فى شئون التعليم . لاحظ أن الصلة مباشرة بين الصبى وسقراط ولا تمر بالآباء . وقد كان البعض فى أثينا يضع سقراط فى زمرة السفسطائيين ، ويتهم هؤلاء بنزع الأبناء من سلطة الآباء . قارن « الدفاع » ، ١٩ جـ ، « مينون » ، ٩١ جـ ، ٩٢ أ ، وهنا ٣١٣ أ — ب .

(١٤مكرر) andreia ، وهى الشجاعة ، والمقصود هنا الشجاعة المعنوية ، انظر أيضا ٣١١ أ — ب .

(١٥) كانت الصداقة من اهم مكونات الحياة الاجتماعية اليونانية ، ومن يرد معرفة مصداق ذلك فليرجع الى « الأخلاق الى نيقوماخوس » .

(١٦) ويدل هذا على أن « دورة » السفسطائى بين مختلف مدن اليونان كان يمكن أن تمتد لسنوات طويلة قبل أن يعود الى احدى المدن التى كان قد مر عليها .

(١٧) هنا يبدأ التعريف ، عن طريق غير مباشر ، بمهنة السفسطائى . لاحظ أن الجميع يعرفون من هو بروتاجوراس ويعرفون مكانته . فالمدينة اليونانية مجتمع صغير وفيه يعرف الكل كل شىء عن أمور السياسة والفكر وغير ذلك .

نمسك به (٣١١) حيث ينزل ؟ انه يقيم ، بحسب ما سمعت ، عند كالياس [١٨] ابن هيبونيقوس . فلنذهب » . ولكنى قلت له : « لن نذهب الآن [١٩] الى هناك يا عزيزى ، لأن الوقت لا يزال مبكرا ، ولكن فلننهض من هنا الى الى الفناء [٢٠] ولنتمشى حوله متحدثين حتى يظهر نور الصباح ، ثم فلنذهب بعد ذلك : فبروتاجوراس يقضى جل وقته حيث يقيم ، فاطمئن ، وسنمسك به هناك على كل احتمال » .

وقمنا بعد ذلك نحو الفناء وأخذنا نتمشى حوله . (ب) وسألت أبقراط بقصد اختبار قوة عزمه وفحصه فحصا عميقا قائلا [٢١] : « قل لى يا أبقراط : انك تريد الآن الذهاب الى بروتاجوراس ، وذلك بقصد أن تدفع له المال أجرا فى شأن يخصك ، ولكن الى من أنت ذاهب ؟ وأى انسان تريد أن تصير ؟ والحال كما لو فرضنا وكنت تريد الذهاب الى سميك أبقراط [٢٢] من قوص ، من جماعة اسكليبيوس[٢٣] وذلك بغرض اعطائه المال أجرا فى شأن يخصك ، وسألك سائل [٢٤] : « قل لى يا أبقراط : أنت ترغب فى اعطاء أبقراط (ج) أجرا باعتباره من ؟

---

(١٨) انظر حوله مقدمتنا . وحول صلته بالسفسطائيين ، راجع « أقراطيلوس » ، ٣٩١ ب ، و « ثياتيتوس » ، ١٦٤ هـ .

(١٩) حيث لم يبدأ النهار بعد .

(٢٠) يدلنا هذا على بعض تفاصيل العمارة اليونانية ، فيبدو أن الفناء كان جزءا رئيسا من عمارة المنازل حتى فى منزل لا شك كان متواضع الأركان مثل مسكن سقراط الذى لم يكن غنيا .

(٢١) هذا هو ما يشغل سقراط أولا ودائما : **الفحص والاختبار** . كذلك فان العمل يجب أن يسبقه الفكر الواضح ، فعليه يرتكن نجاح السلوك .

(٢٢) وهو طبيب اليونان الأشهر ، وعاش فى القرن الخامس قبل الميلاد على الأغلب .

(٢٣) اله الطب (وهو ابن الاله ابوللون الذى كان الشفاء بين مخصصاته) .

(٢٤) كثيرا ما يظهر فى محاورات افلاطون سائل يخترعه سقراط اختراعا ، ولكنه غالبا ما يمثل رأى سقراط نفسه ، انظر مثلا هنا فى «بروتاجوراس » ، ٣٣٠ ج وما بعدها ، ومحاورة «اقريطون» ، ٥٠ أ ، وخاصة محاورة « هبياس الكبرى » ٢٨٦ ج وما بعدها وعلى الأخص ٢٩٢ أ — ب .

فبماذا انت مجيب ؟ قال : « باعتباره طبيبا » . « ومن أجل أن تصير من؟ » فقال : « طبيبا » (٢٥) . واذا كنت تريد الذهاب الى بوليكليتيس من أرجوس أو الى فيدياس الأثينى (٢٥مكرر) بغرض اعطائهما أجرا فى شأن يخصك ، وسألك أحدهم : « بأى اعتبار فى فكرك تقصد اعطاء المال لبوليكليتيس ولفيدياس ؟ » فبماذا أنت مجيب ؟ — سأقول باعتبارهما نحاتين . — « ومن ستصير أنت نفسك ؟ » — نحاتا كما هو واضح . وقلت له : « حسن . (د) والآن فاننا متجهون أنا وأنت الى بروتاجوراس ومستعدون لندفع له المال أجرا فى شأن يخصك ، اذا كانت ثروتنا كافية واستطعنا بذلك اقناعه(٢٦) ، والا فاننا سننفق من ثروة الأصدقاء . والآن اذا حدث ورأى أحدهم اهتمامنا الشديد بهذا وسألنا : « قولا لى ، يا سقراط وأنت يا أبقراط ، فى فكركما قصد اعطاء بروتاجوراس هذه الأموال باعتباره من ؟ » فبماذا (هـ) سنجيبه ؟ ما هو الاسم الآخر الذى نسمعه عن بروتاجوراس ؟ فكما أننا نسمع عن فيدياس أنه نحات وعن هوميروس أنه شاعر ، فماذا نسمع من هذا القبيل عن بروتاجوراس ؟ فقال : « الحق أن الناس تسمى الرجل « سفسطائيا » يا سقراط » . — « وهكذا فاننا ذاهبون الى سفسطائى بقصد اعطائه الأموال ؟ » — « تماما » . — « واذا سألك الآن أحدهم هذا السؤال (٣١٢) : « وأنت نفسك ماذا تريد أن تصير بذهابك للقاء بروتاجوراس ؟ » وهنا أجاب

(٢٥) يختار سقراط ، المتحدث باسم افلاطون ، نماذج من المتخصصين فى فنون محددة ، ليسأل ابقراط بعد ذلك : وما هو تخصص بروتاجوراس ؟

(٢٥مكرر) فيدياس هو اشهر النحاتين اليونان (٥٠٠ — ٤٣٢ ق.م.) ، وقد اسند اليه بيريكليز الاشراف على تجميل اثينا ومعابدها . أما بوليكليتيس ، فكان انتاجه قليلا ، ولكن تأثيره كان عظيما . عاش فى نفس عصر فيدياس ، وكان مركزه مدينة أرجوس . وافلاطون يذكر فيدياس عدة مرات (« هبياس الكبرى » ، ٢٩٠ أ — د ، « مينون » ، ٩١ د) ، ولكنه لا يذكر بوليكليتيس الا فى محاورتنا هذه (انظر ايضا ٣٢٨ هـ) .

(٢٦) لأن وقت السفسطائى ربما كان لا يسمح بتلامذة جدد من كثرة طالبى العلم على يديه .

أبقراط ووجهه يحمر (٢٧) ، لأن النهار بدأ يظهر وأصبح ممكنا أن اراه : « اذا كان هذا متشابها مع ما سبق ، فانه من الواضح أن ذلك لأصير سفسطائيا » . فقلت له : « وأنت ألا تخجل وحق الآلهة من أن نظهر أمام اليونان بصفتك سفسطائيا ؟ » — « نعم وحياة زيوس يا سقراط ، هذا اذا كان ينبغي أن أقول ما بفكري » (٢٨) — « أم لعلك لا تعتبر يا أبقراط آن هذا (٢٩) هو بالأحرى ما سيكون عليه (ب) تعليمك عند بروتاجوراس ، بل أنه سيكون قريبا من هذا الذى عند مدرس اللغة (٣٠) وعند مدرس الموسيقى (٣١) وعند مدرس التربية البدنية ؟ (٣٢) ذلك أنك لم تتعلم كلا من هذه المواد من أجل التخصص الفنى (٣٣) فيها ومن أجل أن تكون مشتغلا (٣٤) بها ، بل من أجل تكوينك الثقافى (٣٥) ، كما يليق بغير المتخصص فى فن من الفنون وكما يليق بالرجل الحر (٣٦) » ، — « تماما تماما : هذا هو بالأحرى ما أرى أنه نوع التعليم الذى يأخذ عند بروتاجوراس » .

---

(٢٧) اذا افترضنا أن وقت المحاورة كان حوالى عام ٤٣٠ ق.م. ، فان لنا أن نتشكك فى أن تكون سمعة السفسطائيين قد أخذت بالفعل تسوء الى هذه الدرجة منذ ذلك التاريخ . انما يعبر هذا على الأغلب عن رأى افلاطون مؤلف الحوار أكثر من أن يعبر عن حقيقة تاريخية تنسب الى ذلك الوقت .

(٢٨) يجب دائما على المتحاور مع سقراط أن يقول ما يعتقده بالفعل وألا يخفى شيئا ، وهذا شرط لازم للوصول الى الحقيقة ، قارن هنا مثلا ٣٣١ ب — ٣٣٢ أ ، ٣٥٢ أ — ب ، و «جورجياس» ، ٥٢١ أ .

(٢٩) المقصود هو أن يكون هدف أبقراط من مخالطته السفسطائيين هو أن يصير سفسطائيا .

(٣٠) أى معلم القراءة والكتابة .

(٣١) حرفيا « معلم العزف على القيثارة » .

(٣٢) كان هؤلاء الثلاثة هم المدرسون الذين يتناوبون على العناية بالطفل ، وربما لم يكن مدرس الرياضة البدنية اقلهم أهمية .

(٣٣) tekhnê ، حرفيا « الفن » .

(٣٤) dêmiourgos ، أى صاحب احتراف متخصص .

(٣٥) هنا يستخدم أفلاطون اصطلاح paideia .

(٣٦) سيكون الفراغ دائما هو الحد وحده [illegible]

فسألته : « ولكن هل تعى ما أنت بسبيل القيام به ؟ أم أنه خاف عليك ؟ » — « عم تتكلم ؟ » — « عن أنك تعتزم تقديم روحك (جـ) لكى يعتنى (٣٧) بها رجل تقول أنت انه سفسطائى ، هذا على حين أننى سأدهش اذا كنت تعرف ما عساه أن يكون السفسطائى (٣٨) . واذا كنت تجهل هذا ، فانك لا تعرف أيضا الى من أنت تقدم روحك ، ولا ان كان ذلك من أجل أمر فيه خير أم شر » فرد قائلا : « ولكننى أعتقد أننى أعرف (٣٩) » . « — اذن فقل لى من تعتبر السفسطائى ؟ » فقال : « أنا أعتبره من جانبى كما يدل الاسم : ألا وهو أنه رجل عالم بالمعارف » (٤٠) . فقلت : « ولكن هذا هو ما يمكن أن يقال كذلك سواء عن المصورين أو عن المعماريين ، ألا وهو أنهم أناس عالمون بالمعارف» فاذا (د) سألنا سائل : « ما هى المعارف التى يكون المصورون علماء بها ؟ » فاننا سنجيب انها المعارف الخاصة بانتاج الصور ، وهكذا مع الآخرين . واذا سألنا الآن أحدهم هذا السؤال : « والسفسطائى ، ما هى الموضوعات التى هو عالم فى أمرها ؟ » فبماذا سنجيبه ؟ فى انتاج ماذا هو عالم (٤١) ؟ « — ماذا يمكن أن نقول عنه يا سقراط الا أنه عالم

---

(٣٧) حول مفهوم « العناية بالنفس » ، انظر « الدفاع » ، ٢٩ د — ٣٠ أ . ولكن ربما كان المقصود هنا ليس مفهوم « النفس » الاصطلاحى ، بل « أنت نفسك » . ومع ذلك فان المفهوم الاصطلاحى يظهر بعد قليل فى ٣١٣ أ . ويقول Adam عن كلمة « تقديم » ان اليونانى paraskein كان يستخدم فى الاطار الطبى ، وهو يرجع الى « جورجياس » ، ٤٥٦ هـ (ص ٩٠) .

(٣٨) المقصود هنا ليس بروتاجوراس بشخصه بل أى سفسطائى من حيث هو كذلك .

(٣٩) المتحاور مع سقراط يظن دائما فى بداية الحوار انه « يعرف » .

(٤٠) هذا هو المعنى الذى سيظل سائدا حتى يحمل سقراط وافلاطون على السفسطائيين حملتهما التى ستؤدى ، مع عوامل اخرى ، الى التنفير حتى من مجرد الاسم . حول خطأ أبقراط فى ربط «سفسطائى» بكلمة sophos راجع Adam (ص ٩٠) و Taylor (ص ٦٧) .

(٤١) تعريف المتخصص يكون عند افلاطون بابراز مضمون علمه وما هو قادر على فعله .

فى جعل الشخص ماهرا فى الكلام ؟ (٤٢) » •

فقلت : « ربما كنا ستجيب هكذا اجابة صحيحة ، ولكنها مع ذلك غير كافية • فاجابتنا هــذه ستوجب سؤالا آخر : السفسطائى يجعل الشخص ماهرا فى الكلام حول ماذا (٤٣) ؟ خذ مثلا هذه الحالة (٤٤) : ان المتخصص فى القيثارة (هـ) يجعــل الشخص ماهرا فى الكلام حــوله هــذا الذى هو عالم فيــه . أى حــول فن العزف على القيثارة • أليس كذلك ؟ » « ـــ بالطبع » • « حسنا • فما هو هــذا الشىء الذى يجعل السفسطائى الشخص ماهرا فى الكلام بشأنه ؟ واضح (٤٥) أن هذا يكون فيما هو عالم فيه (٤٦) ؟ » ـــ « هذا محتمل » • « ـــ فما هو اذن هذا الشىء الذى يكون السفسطائى ذاته عالمــا فيــه والذى يجعل تلميــذه عالمــا فيه هو الآخر ؟ » فقال : « انى لا أدرك وحق زيوس ما أجيبك » (٤٧) •

(٣١٣) فقلت له بعد ذلك : « ماذا اذن ؟ هــل تعى أى خطر أنت مقدم على تعريض روحك له ؟ فانك اذا كنت ستضع جسدك (٤٨) بين يدى شخص ما مخاطرا بأن يصير أحسن أو أسوأ ، أو لن تفحص الأمر فحصا عميقا طويلا عما ان كنت ستضع جسدك بين يديه أم لا ، وتدعو الأصدقاء

---

(٤٢) وكان هــذا فى الحق ما يطالبه التــلامذة من السفسطائى • أنظــر : ٣١٠ هـ ، وراجع حول موضوع مهنة السفسطائى محاورة «جورجياس» ، ٤٤٩ أ وما بعــدها ، ومحاورة « السفسطائى » ، ٢٢١ أ وما بعدها •

(٤٣) من كل ما سبق يظهر أن التعريف يجب أن يشير الى المضمون •

(٤٤) اعطاء الأمثلة أو « النماذج » وسيلة سقراطية أساسية لمســاعدة المحــاور على الاجابة . حول « الاستقراء » السقراطى ، أنظــر أرســطو ، « الميتافيزيقا » ، ١٠٧٨ ب ٢٧ وما بعدها •

(٤٥) نحن نتبع طبعة بيرنت التى تجعل هــذا الجزء ضمن كلام سقراط •

(٤٦) فاقــد الشىء لا يعطيه •

(٤٧) هنا نصل الى مرحلة العجز (aporia) ، قارن « أوطيفــرون » ، ١١ ب ، « مينــون » ، ٨٠ أ ـــ ب •

(٤٨) لاحظ الموازاة التى ستقوم بين النفس والجسد فى الفقرة التى ستلى •

والأقارب للتذاكر فى الأمر وتظل فى فحصه أياما طويلة ؟ أما ما تعتبره ذا قيمة أعظم من قيمة الجسد ، ألا وهى النفس ، وهى التى يتوقف عليها سعادتك أو شقاؤك بحسب أن تصبح طيبة أو فاسدة ، هل فيما يخص هذا لا تتشاور لا مع أبيك ولا مع أخيك (ب) ولا مع أحد منا نحن صحابك ، حول ما اذا كان ينبغى أن تضع نفسك أم لا بين يدى هذا العريب (٤٩)، الذى وصل الى المدينة ، بل تجرى ، وأنت لم تعلم بوصوله الا أمس كما نقول ، وبدون أن تتفكر فى الأمر ولا أن تجرى مشاورة حول ما اذا كان ينبغى أن تضع نفسك بين يديه أم لا ، ومستعدا أن تنفق أموالك وأموال الصدقات كما لو كنت بالفعل قد قررت أنه لابد لك مطلقا أن تكون فى معية بروتاجوراس ، وهو الذى لم تعرف ، كما تقول، والذى لم (جـ) تحادث على الاطلاق ، والذى تسميه سفسطائيا ، هذا على حين أنه ظاهر أنك تجهل من هو السفسطائى الذى تستعد لتضع نفسك بين يديه ؟ » (٥٠) .

عندما استمع الى هذا قال : « هذا هو مايبدو ياسقراط بحسب ما تقول » (٥١) . — « ولكن يا أبقراط : أليس السفسطائى فى الحق بائعا بالجملة أو بالقطعة لبضائع عليها تتغذى النفس (٥٢) ؟ أنا فيما يخصنى أتصور أنه واحد كهذا » . « وعلام تتغذى النفس يا سقراط ؟ » فأجبته :

---

(٤٩) وهو بروتاجوراس . انظر هنا ، ٣١٦ جـ — د ، و « الدفاع » ، ١٩ هـ — ٢٠ ب . والأمر ذو أهمية اخلاقية (بالنظر الى الفرد نفسه) وسياسية كذلك (بالنظر الى دور المدينة فى التربية ، قارن « مينون » ، ٩٢ أ — ب) .

(٥٠) كما اشرنا من قبل ، فان المعرفة اساس العمل فى راى سقراط وافلاطون . ولاحظ فكرة « الفحص » فى حديث سقراط هذا منذ ٣١٢ ب .

(٥١) بهذا الاعتراف يبدا المحاور فى الخضوع لسقراط وينبهه على الطريق الذى يقوده عليه . قارن « اقريطون » ، ٤٦ أ وما بعدها .

(٥٢) سيرجع افلاطون الى نفس الفكرة فى محاورة تلت محاورتنا هذه بسنين طويلة ، وهى محاورة « السفسطائى » ، ٢٢٣ جـ وما بعدها .

« على المعارف ، من غير شك (٥٣) • ولا يجب ، يا عزيزى ، أن يخــدعنا السفسطائى وهو يمدح ما يبيع (٥٤) ، كما يفعل من يبيعون غذاء الجسد، (د) أى تجار الجملة أو تجار التجزئة • فهؤلاء لا شك لا يعرفون ان كانت البضائع التى يتجولون بها مفيــدة للجسد أم مضرة به ، ولكنهم مع ذلك يمتدحون كل ما يبيعون ، كذلك فان هؤلاء الذين يشترون منهم يجهلونه ، اللهم الا اذا حدث بالصدفة وكان الواحد منهم متخصصا فى التربية البدنية أو كان طبيبا ، وهكذا الأمر أيضا مع هؤلاء الذين يتجولون بالمعارف من مدينة الى أخرى ويبيعونها ويتسوقون بقطعها ويمتدحون لمن يرغب كل ما يبيعون ، ولكن ربما يكون من بينهم ، يا أفضل الناس ، من يجهل ان كان ما يبيع مفيدا للنفس أم ضارا (هـ) بهــا ، وكذلك الأمر أيضا مع من يشترون منهم ، اللهم الا اذا حدث بالصدفة وكان من بينهم طبيب فى أمور النفس (٥٥) • والآن فاذا حدث وكنت عالمــا بما هو طيب وخبيث فى هذه الأشياء فانك تستطيع بلا تردد أن تشترى تلك المعارف ســواء عند بروتاجوراس أو عند آخر غيره أيا من كان • أما اذا لم يكن هــذا هو حالك ، فانتبه ، أيها العزيـز، (٣١٤) الى انك تخاطر بأعز ما لديك (٥٦) فى لعب بالنرد (٥٧) • ذلك أن المخــاطرة أعظم بكثير فى شراء المعــارف عنها فيما يخص الأطعمة • فالأطعمة والمشــارب التى تشتريها عند تاجر التجزئة وتاجر الجملة يمكن أن تحملها فى أوعية أخرى (غير الجسد) ،

---

(٥٣) هذا فرض خطير ، وهو سيؤدى بأفلاطون فى محاورة « فيــدون » الى اعتبار أن جوهر النفس هو العقل وان نشاطها الحقيقى انمــا هو المعرفة (اى الفلسفة) . وهــذا الفرض ، الذى يمكن ان نتصــور فرضا غيره بشأن ما يقيم النفس ، ذو أصل سقراطى وهو ينســجم مع النظرية العقلية فى الأخــلاق التى بداها ســقراط (« الفضــيلة معرفة ») وسار على نهجها افلاطون وارسطو .

(٥٤) راجع هنا مثلا ٣١٨ أ ، د ــ هـ ...

(٥٥) أشرنا الى الموازنة القائمة فى كل هــذه الفقرة بين النفس والجسد ، وبعد الحديث عن طبيب البدن تأتى هــذه الاشارة الى طبيب النفس ، وهو سقراط بحسب ما توحى به معالجة الموضوع ، اى الفيلسوف .

(٥٦) وهو النفس .

(٥٧) المقصود « بالمصادفة » وعلى غير فحص وترو .

وقبل أن ندخلها الى الجسد بشربها أو أكلها فانه يمكن أن نضعها فى المنزل وأن نستشير الخبير الذى ندعوه لمعرفة اذا ما كان يمكن أن نأكلها أو أن نشربها أم لا وبأى مقدار وفى أى وقت . وهكذا فان الخطر ليس كبيرا بشرائنا لها . (ب) أما المعارف فانه ليس ممكنا أن نحملها فى وعاء مختلف غير النفس ، بل نحن نحمل المعرفة بالضرورة ، فور أن ندفع الثمن ، فى النفس ذاتها ونذهب بمعرفتنا سواء أكان فى ذلك ضرر لنا أم نفع . اذن فلنتدبر هذه الأمور ومع من هم أكبر منا سنا . لأننا لا نزال صغارا حتى نقرر فى مثل هذا الأمر (٥٨) .

ولكن الآن ، ما دمنا قد انطلقنا (٥٩) ، فلنذهب ولنستمع الى ذلك الرجل ، وحينما نكون قد استمعنا اليه فلنتصل بآخرين غيره (٦٠) ، لأن بروتاجوراس ليس هنا وحده ، (جـ) بل هناك أيضا هبياس من اليس ، وكذلك فيما أعتقد بروديقوس من كيوس والكثير غيرهم من العلماء(٦١) .

وما أن رأينا هذا حتى مضينا . وحنيما وصلنا الى المدخل توقفنا نتبادل الرأى فى موضوع عرض لنا أثناء الطريق ، وحتى لا نتركه غير كامل ، بل نكمل بحثه قبل أن ندخل (٦٢) ، فاننا توقفنا فى المدخل نتحاور حتى اتفقنا سويا كل مع الآخر (٦٣) . ولكن حارس الباب ، وكان

---

(٥٨) سقراط هنا يتحدث باسم ابقراط . ونشير الى أن عمر سقراط وقت الحوار (حوالى عام ٤٣٠ ق.م.) كان حوالى الأربعين .

(٥٩) فى فحص ذلك الأمر .

(٦٠) لأن الأمر (تطبيقا لكلام سقراط) هو أقرب ما يكون الى أمر بضاعة تباع وتشترى ويجب على المرء أن يفاضل وأن يقارن .

(٦١) sophoi ، جمع sophos ، وقد يبدو للقارىء أن فى هذا بعض السخرية ، ولكن السفسطائيين كانوا بالفعل علماء ذلك العصر .

(٦٢) وفى هذا درس منهجى : لابد لكل بحث من راس حتى يكتمل ، ولا يجب أن نترك بحثا ناقصا ، قارن ٣٦١ د .

(٦٣) وهذه تكملة الدرس المنهجى : الاتفاق هو ما يجب أن يتوج كل بحث ، وهو دليل الحقيقة .

خصيا (٦٤) ، استمع فيما أعتقد الى حديثنا ، ولا شك أنه من الممكن (د) أن تكون وفرة السفسطائيين الذين يزورون البيت قد عكرت عليه مزاجه • وعلى آية حال فحينما قرعنا الباب وما أن فتح ورآنا حتى صاح : « آه ، سفسطائيون ! انه (٦٥) ليس على فراغ » ، وعلى الفور أغلق الباب بكلتا يديه بكل القوة التى كان قادرا عليها (٦٦) • فرجعنا من جديد الى قرع الباب ، وها هو يجيبنا خلال الباب المغلق بقوله : « يا ناس ، ألم تسمعوا أنه ليس على فراغ ؟ » فأجبته : « ولكننا لم نأت من أجل كالياس أيها الرجل الطيب ، ولا نحن أيضا بسفسطائيين ، فاطمئن (هـ) ، فنحن لم نأت الا لرؤية بروتاجوراس • فاذهب وأخبر بوجودنا » • وهكذا حتى فتح لنا الرجل الباب بصعوبة •

وحينما دخلنا وجدنا بروتاجوراس يتمشى فى أروقة البهو ويصاحبه فى تمشيته كالياس ابن هيبونيقوس وآخوه من (٣١٥) أمه وبارالوس ابن بيريكليز وخارميديس ابن جلوكون على جهة وعلى الجهة الأخرى اكزانثيبوس ، وهو الابن الآخر لبيريكليز (٦٧) ، وفيليبيديس ابن فيلوميلوس وأنتيموريوس من مندا ، وهو أشهر تلامذة بروتاجوراس ويدرس معه من أجل التخصص (٦٨) وبهدف أن يصير سفسطائيا •وخلف هؤلاء كان يتبع آخرون يحاولون التقاط ما يتفوه به ، وجلهم كانوا من الغرباء كما يبدو : هؤلاء الذين يقودهم بروتاجوراس فى كل مدينة يمر بها ، يسحرهم بصورته وكأنه(ب) أورفيوس(٦٩) ، وهم به مسحورون ولصوته

---

(٦٤) الباب هو باب بيت كالياس الثرى ، والحارس من عبيده الكثيرين • ويبدو أن كون الحارس خصيا دلالة على الثراء ، حيث كان ذلك نادرا (Adam ، ص ٩٨) •

(٦٥) يقصد سيده ، كالياس ، ويمكن أيضا أن نترجم : « السيد ليس.. » •

(٦٦) يستطيع القارىء من هذا المشهد أن يستنتج مدى اقبال اليونان على الاستماع الى السفسطائيين •

(٦٧) حول هؤلاء ، أنظر المقدمة •

(٦٨) قارن ٣١٢ ب •

(٦٩) شخصية أسطورية ، شاعر بارع وموسيقى ساحر •

تابعين ، ولكن كان هنــاك كذلك فى الكورس (٧٠) بعــض مواطنى مدينتنا (٧١) • وقد أمتعتنى أعظم المتعة رؤية هــذا الكورس : كيف أنهم يحــاذرون أعظم الحــذر أن يكونوا آمام بروتاجوراس فى طريقــه ، بل انهم ، حينما كان يستدير هو ليرجع ومن معه ،كان هؤلاء المستمعون المطيعون يبتعدون فى نظام كامل من كلتا الجهتين ليعودوا لينتظموا دائما فى دائرة من ورائه على أبدع صورة •

« وبعــده لمحت » ، كما يقول هوميروس ، هبياس (جـ) من اليس وكان جالسا على مقعد مرتفع فى البهو المقابل للباب ، وكان جالسا حوله على دكاك اركسيماخوس ابن اندروتيون وفايدروس من موريتوسيدس وأندرون ابن اندروتيون وغرباء مواطنون لهبياس (٧٢) وغيرهم•وبدا أنهم كانوا يسألون هبياس حول (مبحث) الطبيعة وحول بعض المسائل الفلكية الخاصة بالفوقيات (٧٣) • أما هو فكان يقضى ، جالسا على كرسيه العالى، فيما يعن لكل منهم ويفصل فى شرح موضوعات مسائلهم •

« ثم لمحت أيضــا طانطال » (٧٤) : (د) ذلك هو بروديقوس من

---

(٧٠) لا زلنــا فى اطار تشــبيه بروتاجوراس بالمغنى الساحر ، والكورس هى المجموعة المصاحبة للمنشد ، وكانت تتكون من ثلاثة صــفوف ، وفى وسطها يقف رئيس المنشدين •

(٧١) أى من مواطنى اثينــا •

(٧٢) حول هبياس وبروديقوس ، انظر المقدمة .

(٧٣) peri phuseôs te kai tôn meteôrôn astronomika • وقارن « الدفاع » ١٩ ب ـــ جـ ، و « هبياس الصغرى » ، ٣٦٧ هـ •

(٧٤) شخصية أسطورية ، والبيت مأخوذ من هوميروس مثلمــا حدث حين تحدث سقراط عن هبياس • ومن غير الواضح ما يقصده أفلاطــون من تشــبيه بروديقوس بطانــطال • ولا نميــل الى راى Adam (ص ١٠١) الذى يرى أن الجــامع بينهما هو بؤس المظهر ، وقــد يكون اقرب الى القبول الرأى القائل بأن المقصود هو انه دائم الجوع والعطش •
(The Oxford Classical Dictionary, 1970 ed., p. 1037)
ولكن هــذا الراى لا يقوم على دليل بخصوص بروديقوس •

كيوس ، الذى كان حاضرا أيضا . وقد كان جالسا فى احدى الحجرات التى كان هيبونيقوس يخصصها للخزين،أما الآن ومع وفرة الضيوف فقد حولها كالياس الى حجرة لاستقبال الضيوف الغرباء . وقدكان بروديقوس لايزال مستلقيا مغطى بالفراء وبقدر كبير من الأغطية كما كان ظاهرا . وقد كان جالسا الى جواره على بعض الأسرة (٧٥) قريبه باوسانياس ، وهو باوسانياس الذى من قبيلة كيراميس ، وكان معه فتى لا يزال صغير السن . وقد بدا لى أن (هـ) طبيعته جميلة رائعة وكان مظهره الخارجى جميلا كل الجمال على أية حال ، وقد سمعت فيما بدا لى أن اسمه أجاثون (٧٦) ، ولن أدهش اذا كان صاحب باوسانياس الصغير . كان هناك اذن هذا الشاب الصغير وكل من المسمين أديمانتوس ، أى أديمانتوس ابن كيبيدوس وأديمانتوس ابن لوكولوفيدس ، وكان المرء يرى غيرهم أيضا . ولم يكن باستطاعتى أن أعلم وأنا فى الخارج عم كانوا يتناقشون ، ولو أنى كنت أتحرق شوقا لأن أنصت الى بروديقوس ، وهو فى رأيى رجل موهوب (٧٧) (٣١٦) وعالم كامل العلم ، ولكن صوته الأجش كان يحدث فى الحجرة رنينا أصم يجعل حديثه غير واضح .

وما أن دخلنا حتى دخل ورائنا ألقبيادس ، ألقبيادس الجميل كما تقول أنت وهو ما أوافقك عليه ، وكريتياس (٧٨) ابن كالايسخروس .

---

(٧٥) كان الضيوف يجلسون كل على سرير .

(٧٦) وهو سيظهر فى محاورة « المأدبة » . لاحظ المقابلة الضمنية بين المظهر الجميل والباطن الذى قد يكون غير جميل ، والعكس كذلك .

(٧٧) theios ، حرفيا « الهى » . وسيأتى « عالم كامل العلم » (passophos) ، وربما كان فى ذلك شىء من السخرية .

(٧٨) أنظر المقدمة ، وفى النص ٣٣٦ ب — هـ .

أما نحن فتقدمنا ، وبعد لحظة قضيناها فى مشاهدة كل هذا المنظر بالتفصيل ، توجهنا نحو بروتاجوراس (ب) وقلت أنا له : لقد أتينا يا بروتاجوراس من أجلك أنا وأبقراط هذا .

فقال : هل تريدان محادثتى على انفراد أم أمام بقية الآخرين ؟ (٧٩) فرددت : الأمران عندنا سواء ، ولكن استمع الى ما أتينا من أجله وانظر فى الأمر أنت نفسك .

فقال : فما الغرض الذى من أجله قدمتما اذن ؟

— أبقراط هذا هو من مواطنى هذه المدينة ، وهو ابن أبوللودوروس ، ومن بيت عظيم ثرى ، وهو نفسه ذو استعداد (٨٠) لا يقل فى رأيى عن استعداد أقرانه . وهو يطمح على ما أعتقد (جـ) الى أن يصير مشهورا فى المدينة ، ويعتقد أن أفضل وسيلة الى ذلك هى أن يأخذ دروسك (٨١) . فانظر أنت الآن اذن اذا كنت تعتقد أنه ينبغى أن نحادثك على انفراد أم أمام الآخرين .

فقال بروتاجوراس : لقد أحسنت فعلا ياسقراط بحيطتك فيما يخص أمورى : ذلك أن الرجل الغريب الذى يأتى الى المدن الكبرى وفيها يعمل على اقناع أفضل عناصر الشباب بأن يهجروا صحبة الآخرين ، من أقرباء وغرباء ، شيوخا كانوا أم شبابا ، لكى يصاحبوه هو ، بغرض أن يصيروا أفضل من خلال (د) هذه المصاحبة (٨٢) ، هذا الرجل يجب

---

(٧٩) لاحظ أن افلاطون يصور بروتاجوراس وكأنه تاجر يسلك على هذا الأساس ، وهو هنا ، كأنه أمام عميل .

(٨٠) phusis ، حرفيا « طبيعة » أو « طبع » .

(٨١) وهذا يمثل مطمح كل شباب ذلك العصر .

(٨٢) sunousis .

عليه أن يكون حذرا وهو يفعل ذلك . فهذا أمر ليست قليلة الشأن ألوان الحسد التى يثيرها ولا العداوات ولا المخططات العدائية (٨٣) .

وانى أعتبر أن الفن (٨٤) السفسطائى فن قديم ، ولكن القدماء الذين اشتغلوا به ، خشية منهم لما يصاحبه من حقد ، غطوه بغطاء تخفوا تحته ، بعضهم تحت ستار الشعر ، كهوميروس وهزيود وسيمونيديس(٨٥)، وبعضهم الآخر تحت ستار الأسرار الدينية والنبوءات ، مثل أورفيوس وموسيوس وأتباعهما (٨٥مكرر) . وقد لاحظت أن بعضهم اختار الرياضة البدنية ، وهو حال ايموس من تارنتوس وهو أيضا حال (هـ) هيروديكوس من سلمبريانوس ، والمولود فى ميجارا ، وهو الذى يعيش الى اليوم

---

(٨٣) قارن « الدفاع » ، ١٩ هـ — ٢٠ أ ، و « مينون » ٩١ ج ، ٩٢ أ — ب . ولنتذكر انه يقال أن السلطات الأثينية أرادت محاكمة بروتاجوراس بتهمة الالحاد ، ولكنه نجح فى الهرب (حوالى عام ٤١٦ ق.م) .

(٨٤) tekhnê .

(٨٥) هوميروس هو شاعر اليونان الأكبر ، وهو صاحب « الالياذة » و « الأوديسة » ، وهزيود يحتل بعده المرتبة الثانية ومن مؤلفاته : « اصل الآلهة » و « الأعمال والأيام » ، أما سيمونيديس ، الذى سيأتى الحديث عنه فى قسم المناقشة الشعرية ، فهو من اعظم الشعراء الغنائيين اليونان ، وقد مجد بشعره الانتصارات اليونانية على الفرس وخاصة بعد معركة ماراثون (٤٩٠ ق.م) ، وكان شاعرا موهوبا خصب الانتاج متعدد المعارف .

(٨٥ مكرر) أورفيوس شاعر اسطورى ، كان قادرا على تحريك الصخر والنبات بغنائه ، وقد نزل الى العالم التحتى (هاديس) لانقاذ زوجته من الموت ، ولكنه فشل . وقد ظهرت تحت اسمه ، فى أواخر القرن السادس ق.م. ، فرقة دينية هامة هى النحلة الأورفية ، وتهتم بالنفس ومصيرها وبالتطهير . أما موسيوس ، فانه شخصية أسطورية هو الآخر ، وكان مغنيا وكاهنا ومتنبئا ، ويقال انه كان ابنا لأورفيوس (« الجمهورية » ، ٣٦٤ هـ) .

وليس سفسطائيا أقل من غيره • أما أجاثوكليز مواطنكم (٨٦) فانه اتخذ الموسيقى غطاء له ، وهو سفسطائي كبير وكذلك بوتكليديز من كيوس وغيرهم وغيرهم • هؤلاء جميعا ، كما كنت أقول ، اصطنعوا من هـذه الفنون ستارا لهم خشية الحسد والغيرة • أما أنا (٣١٧) فلا أوافق هؤلاء جميعا على ذلك : فأنا أعتقد أنهم لم يصيبوا ما كانوا يهدفون اليه ، حيث أنهم لم يستطيعوا أن يخفوا أنفسـهم عن أعين الرجال الأقوياء في كل مدينة ، وهم الذين من أجلهم اتخذوا هذه الستر • ذلك أن الجماهير(٨٧)، لا تفقه شيئا في شيء ، ان أمكن استخدام هذا التعبير(٨٨) ، وهي لا تتغنى الا بما يأمرها هؤلاء • وهكذا فان الرغبة في الهرب مع عدم القـدرة عليه ، بل والتعرض لاكتشاف الأمر ، لهو بؤس عظيم (ب) بل ان مجرد محـاولة ذلك لبؤس عظيم (٨٨ مكرر) ، هـذا فوق أن ذلك يثير مزيدا ومزيدا من الضـغينة عند الناس: لأنهم يعتبرونه اضـافة للخديعة الى « المثالب » (٨٩) الأخرى •

---

(٨٦) اى مواطن سقراط . وهذا الموسيقى تذكره أيضا محاورة « لاخيس » ، ١٨٠ د . انظر حول هذه الأسماء كلها ، بصفة عامة ، تعليقات Adam •

(٨٧) كثيرا ما هاجم المفكرون اليونان « الجمهـور » اى العامة ، حدث هـذا مع هيراقليطس وبارمنيدس وسيحدث مع سقراط وافلاطون ، وانظر هنـا ٣٥٣ أ •

(٨٨) بروتاجوراس يدرى جيدا ان الجمهور مع هـذا هو صاحب السلطة في المدن اليونانية ذات النظام الديمقراطى •

(٨٨ مكرر) يشير Adam (ص ١٠٦) الى ان هـذا قـد يذكر بعادة في التربية الاسبرطية ، وهى أن يعاقب ، ليس من سرق ، بل ذلك الذى لا يستطيع الهرب بما سرق •

(٨٩) من الواضح ان ما يوضع بين قوسين هكذا هو اضـافة من المترجم لتوضيح النص •

لهذا فانى قد أخذت لنفسى طريقا مخالفا تماما لطريق هؤلاء : فأنا أوافق أننى سفسطائى وأننى أعلّم الناس وأربيهم (٩٠) ، واعتبر ان هذه تحوط أفضل من ذلك الآخر : فالاعتراف أفضل من النفى (٩١) . وقد انتهيت الى تحوطات أخرى غير هذه بحيث أننى ، ولأقل أن ذلك بفضل الألوهيــة ، لا أخشى التعــرض لمكروه من جراء (جـ) الاعتراف بأنى سفسطائى . وعلى أية حال فقد مر وقت طويل بالفعل وأنا أزاول هــذا الفن ، فسنى عمرى عديدة فى الواقع حتى أنه ليس هناك من بينكم من لا يمكن أن أكون له أبا من حيث العمر (٩٢) . وهكذا فانه ليس هنــاك ما يمتعنى أعظم من أن تعرضوا مقالتكم (٩٢مكرر) ، ان شئتم هذا ، أمام هؤلاء الموجودين هنا جميعا .

ولمــا كنت قــد لمحت أنه يرغب فى أن يبين لبروديقوس ولهيباس أننا انما (د) أتينا محبة فيه هو وليتفاخر بذلك ، فقــد قلت له : فلماذا اذن لا ننادى بروديقوس وهبياس ومن معهما حتى يستمعوا الينا ؟

فرد بروتاجوراس : بالطبع ، بكل سرور (٩٤) .

وقال كالياس : فهــل ترغبون اذن أن نرتب مجلســا مشتركا حتى تتحادثوا وأنتم جلوس ؟

---

(٩٠) بكلمنى « التعليم والتربية » معا نترجم هنا كلمة paideuein .

(٩١) أى أن نتائجه أو مكاسبه احسن .

(٩٢) ربمــا يكون ميلاد بروتاجوراس حوالى عام ٤٩٠ ق.م. ، وبهــذا يكون عمــره وقت المحاورة حوالى الستين ، ويقال انه عاش حتى الثمانين ، بل انه بلغ فوق التسعين . وتقول محاورة « مينون » انه مارس مهنته اربعين عاما (٩١ هـ) .

(٩٢ مكرر) logon ، أو « طلبكم » .

(٩٣) لاحظ هنا التنافس بين السفسطائيين .

وكان الرأى أن هذا هو اللازم وكنا جميعا سعداء بأننا سنستمع الى كلام العلماء (٩٤)، وقد أخذنا بأنفسنا الدكاك(٩٥) والأسرّة ووضعناها فى الجهة التى كان فيها هبياس ، لأنه كانت هناك بالفعل بعض الدكاك . ثم جاء ألقبيادس وكاليــاس يقودان بروديقوس الذى جعلاه ينهض من سريره وكذلك من كانوا معه .

وبعد أن جلسنا جميعا قال بروتاجوراس : والآن يا سقراط جاء وقت أن تتحدث ، بعد أن حضر كذلك هؤلاء ، حول الموضــوع الذى ذكرته لى منذ لحظات بخصوص هذا الشاب .

(٣١٨) فأجبته : سأبدأ من نفس البداية كما فعلت منذ لحظات : بالهدف الذى أتينا من أجله . ذلك أن أبقراط هذا له رغبة شــديدة فى أن يتتلمذ عليك(٩٦) ، ولهذا فانه يود كما يقول أن يتعرف على ما سينتج له ان هو صاحبك متتلمذا عليك . هذا هو ما نريد أن نقول .

عند ذلك قال بروتاجوراس : اذن فانك ، اذا ما أنت تتلمذت علىّ ، أيها الشاب فانك ، بعد اليوم الذى تقضيه معى ، ستعود الى دارك وقد أصبحت أفضل ، ونفس الأمر أيضا فى اليوم الذى سيليه وهكذا ، بحيث تتقدم دائما بعد كل يوم نحو الأفضل(٩٦أ) .

---

(٩٤) انظر فوق ، هامش ٩١ .

(٩٥) الدكاك ، بالكسر ، جمع دكة ، مقعد يجلس عليه .

(٩٦) يستخدم افلاطون هنا كلمة sunousia ، وهى كلمة نترجمها احيانا « بالمصاحبة » ، اى اخذ العلم على يد فلان ، ومن هنا فهى تعنى التتلمــذ .

(٩٦أ) to beltion .

(ب) وعندما قال هذا قلت : يا بروتاجوراس ان ما تقوله هذا ليس بالشيء المدهش ، بل هو أمر طبيعي ، لأنه حتى أنت ، مع سنك ومع ما أنت عليه من علم ، اذا ما علمك أحد ما قد يحدث بالفعل وتكون غير عالم به ، فانك ستصير بهذا أفضل • ولكن ليست هذه هي الاجابة التي نطلب ، بل ما نطلبه هو كما قد يحدث اذا غير هذا الشاب أبقراط حينما يأتي الى لن يخضع لما قد يخضع له عند مصاحبته لهذا أو الذي حل بمدينتنا حديثا ، وهو زيوكسيبوس من هيراقليوطس(٩٧) ، ويذهب اليه كما يأتي اليك (جـ) الآن ، وسمع منه نفس ما يسمعه منك ، من أنه سيصير أفضل بعد كل يوم يقضيه في صحبته وسيحرز تقدما ، فيسأله : « ولكنى سأصير أفضل في أي شيء ؟ وسأحرز تقدما نحو ماذا ؟ » ، ويجيبه زيوكسيبوس بأن ذلك سيكون في فن التصوير ، وكذلك أنه اذا صاحب أرثاجوراس من طيبه ، وسمع منه نفس ما يسمعه منك ، فيسأله في أي شيء سيصير أفضل كل يوم عندما يصبح في صحبته ، ويجيبه هذا بأن ذلك سيكون في فن العزف على الناي ، هكذا اذن ما ينبغي أن تجيبنا أنت به ، (د) عندما نسألك ، هذا الشاب وأنا : عندما يصاحب أبقراط هذا بروتاجوراس ، في اليوم الذي قد يحدث ويصاحبه فيه ، فانه سيرجع منه وقد صار أفضل وسيحرز تقدما بعد كل يوم من الأيام التالية ، ولكن نحو ماذا يا بروتاجوراس وفي أي شيء ؟(٩٨) •

---

(٩٧) كما كانت اثينا محل زيارة السفسطائيين ، فقد كانت كذلك محل زيارات كل أهل الصنائع (« الفنون ») الأخرى • وحول هذه الشخصية ، راجع Adam (ص ١٠٩) •

(٩٨) كما أشرنا من قبل ، فان التعريف يجب أن يبرز مضمون التعليم • ونضيف أن سقراط يهدف في النهاية الى رفض او قبول هذا الشخص أو ذاك لتعليم هذا الفن أو ذاك بحسب معيار **التخصص** ، ولهذا فان أمثلته أمثلة مستمدة من عالم التخصصات المحددة المعترف بها ، ويبقى الآن ان يرى سقراط اذا كان نشاط السفسطائيين « فنا » =

عندما سمع بروتاجوراس هـذا منى قال : انك تعرف كيف تسأل يا سقراط ، وأنا من جانبى يسرنى أن أجيب على الأسـئلة الجميلة • ان أبقراط حينما يأتى الى لن يخضع لمـا قد يخضع له عند مصاحبته لهذا أو ذاك من السفسطائيين الآخرين • فهؤلاء يسيئون معاملة الشبان : (هـ) فهم يهربون من دراسـة الفنون المتخصصة فيأبى السفسطائيون الآخرون ليدفعوا بهم من جديد الى دراسة الفنون بتعليم فنون الحساب والفلك والهندسة والموسيقى(٩٩) (وهنا رنا بنظره ناحية هبياس (١٠٠)) ، أما ان جاء الشاب عندى فانه لن يدرس الا ما جاء من أجله : أى معرفة النصيحة الصـائبة(١٠١) فيمـا يخص الأمور الخاصـة به ، أى كيف يدبر أموره المنزلية ، (٣١٩) وفيمـا يخص الأمور المدنية ، أى كيف يصـير أعظم ما يكون قـدرة على العمـل والكلام فى معـالجة أمور المدينـة والدولة(١٠٢) •

ورددت : انى لأتساءل ان كنت أتابع ما تقول ، لأنه يبدو لى أنك تقول انك تعلم فن السياسة وانك تصنع من الرجال مواطنين صالحين •

= متخصصا ام لا • ونلاحظ من الآن أن بروتاجوراس سيظهر فى نهاية الحوار وهو لا يعرف ما هى الفضيلة بينما هو يدعى ، كما سنرى بعد سطور فى النص ، انه معلم الفضيلة ، وهكذا تنتفى عنه سمة العلم ، لأن شرط العلم عدم التناقض •

(٩٩) يجب أن ننتبه الى أن معنى mousikê يتسع احيانا ليعنى « الثقافة الأدبيـة » ، وان كان يبـدو من السياق هنا ان المقصود هو معناها الأدق • ٦١

(١٠٠) هبياس كان اكثر السفسطائيين علما موسـوعيا ، انظـر محاورة « هبياس الكبرى » ، ٢٨٥ جـ ــ د •

(١٠١) euboulia ، اى المشورة الحسنة ، أو الراى السديد ، ونشير الى أن لكلمة boulê واسرتها استخدامات سياسية هامة •

(١٠٢) لليونانى دائما عين على اموره الخاصة واخرى على أمور المدينـة العامة ، وهو « فاضل » حينما يدير هـذه وتلك بنجاح • لاحظ هنا اهمية « الكلام » من اجل المدينة •

فقال : هو ذلك نفسه ، يا سقراط ، ما أعان أننى أعد به(١٠٣) .

فقلت : اذن فما أجمل هذا الفن(١٠٤) الذى تحوز علمه ، هـذا ان كنت تحوز هذا العلم حقا(١٠٥) ، لأننى لن أقول لك شيئا الا ما يكون دائرا فى بالى بالفعل(١٠٦) ، ذلك أننى لم آكن أعتقد أن هذا الفن يمكن أن يعلم ، (ب) ولكننى من جهة أخرى لا أملك الا أن أصدقك مادمت أنت الذى تقول هـذا(١٠٧) . ولكنه سيكون من المناسب أن أذكر السبب الذى من أجله أعتقد أن هذا الفن لا يمكن أن يعلم ولا يمكن أن ينقله شخص الى شخص آخر . ذلك أننى أقول ، وحالى كحال باقى اليونان ، ان الأثينيين رجال على معرفة (١٠٨) . ولكننى أراهم ، حينما يجتمع فى الجمعية الشعبية(١٠٩) ، وقت أن تحتاج الدولة الى القيام بشىء فى ميدان العمارة ، أراهم يدعون مهندسى العمارة ليدلوا بمشورتهم فى مسائل العمارة ، ويدعون بناة السفن حينما يتعلق الأمر ببناء

---

(١٠٣) قارن « مينون » ، ٩٥ ج . ولاحظ أن سقراط يترجم كلام بروتاجوراس فى عبارة أكثر اصطلاحا .

(١٠٤) tekhnê .

(١٠٥) ما بين اقواس مربعة اضافة منا ، وحول تحفظ سقراط ، قارن « الدفاع » ، ٢٠ ب — ج ، وراجع فوق ، هامش ٩٨ .

(١٠٦) راجع فوق ، ٣١٢ أ وتعليقنا .

(١٠٧) لاحظ أن سقراط ، كما سيقول فى ٣٦١ د ، قد قضى حياته فى الاهتمام بهذا الأمر وبحثه . الجزء الأخير من كلام سقراط هدفه النفخ فى غرور بروتاجوراس ، قارن « أوطيفرون » ، ٥ جـ ، « مينون » ، ٧٠ ب ، ٧١ د ، « الدفاع » ، ٢٠ ب — ج .

(١٠٨) sophoi ، وهى كلمة لا تعنى هنا « حكماء » ، بل « مهرة » ، « خبراء » ، « فاهمون » .

(١٠٩) كان لكل مواطن اثينى حر بالغ الحق فى الاشتراك فى هذه الجمعية ، وكانت هى السلطة العليا فى الدولة .

السفن[110] ، وهكذا أيضا فى كل الأمور المماثلة ، (جـ) التى يعتبرون أنها موضع للتعلم وللتعليم • وحينما يحاول شخص آخر أن يشير عليهم بمشورة حول هـــذه الأمور ، بينما هم لا يعتبرونه متخصصا[111] ، فانهم ، مهما كان من جماله أو ثروته أو عراقة أصـــله ، لا يقبلون منـــه رأيا ، بل يتضاحكون عليه ويتصايحون فى وجهـــه ، وذلك حتى ينسحب من تلقاء نفسه ذلك الذى يتجرأ على الكلام ، أو أن يأمر رؤساء الاجتماع الحراس بأخذه بعيدا أو جره جرا • هـــذا هو سلوكهم حينما يكونون بازاء أمر يعتقدون أنه يدخل ميدان فن متخصص • أما حينما يحتاجون الى التشاور حول أمر يخص (د) سياسة المدينة فانه يقوم لمشـــورتهم اما نجار أو حداد أو تاجر أو صاحب ســـفينة ، غنيا كان أم فقيرا ، نبيلا كان أم من غير أصل سواء بسواء ، ولا من أحد يتحرك للومهم كما كان الحال مع الآخرين ، بينما هم لم يتعلموا هذا فى أى مكان كان ولا كان لهم معلم على الاطلاق حتى يأتوا ليتجرأوا على اعطاء المشـــورة وابداء الرأى[112] • فمن الواضح أن الجميع لا يعتقدون أن هذا الأمر يمكن أن يعلم • وليس هو الحـــال مع شئون (هـ) المدينة العـــامة وحسب ، بل ان أحكم وأعلم المواطنين عنـــدنا وأفضـــلهم[113] ليسوا قادرين فى الحياة الخاصـــة أن ينقلوا هـــذه الفضيلة[114] الى غـــيرهم • ذلك أن

---

(١١٠) كانت اثينا قوة بحرية على الخصوص ، ومن هنا كان اهتمامها ببناء السفن •

(١١١) dêmiourgos ، وتعنى هذه الكلمة « صاحب مهنة » وعادة ما تكون مهنـــة يدوية ، ولكن ليس دائما •

(١١٢) هـــذا هو النقد الأساسى الذى كان ســـقراط يوجهه الى النظـــام الديمقراطى ، وهو مبنى كما نرى على تطبيق مفهوم « التخصص الفنى » حتى على السياسة ، وهو هو الأساس الكبير الذى ستقوم عليه « جمهورية » افلاطون •

(١١٣) المقصود الساسة ، والكلمة المستخدمة هنا aristoi •

(١١٤) هنا تظهر لأول مرة فى «بروتاجوراس » كلمة aretê ، «الفضيلة» والمقصود هنا القدرة السياسية •

بيريكليز مثلا ، والد هذين الشابين[١١٥] ، قد رباهما أحسن تربية فيما يتعلق بالتعليم الذى يقوم به معلمون ، (٣٢٠) أما فيما هو فيه هو نفسه عالم متمكن[١١٦] فلا هو علمهما بنفسه ولا هو جعل آخرين يعلمانهما ، بل هو يتركهما على حريتهما يذهبان يمنة ويسرة ، وكأنهما قد يقعان بالمصادفة من تلقاء أنفسهما على هذه الفضيلة[١١٧] . واذا أردت فهناك كذلك حالة كلينياس ، الشقيق الأصغر لألقبيادس هذا : فخشية من الوصى عليه ، وهو بيريكليز ذلك نفسه ، أن يفسده ألقبيادس ، فانه أبعده عنه ووضعه عند أريفرون[١١٨] ليقوم على تربيته . ولكن قبل مضى ست شهور (ب) أرجعه أريفرون لأنه لم يعد يدرى ماذا يفعل معه . وأستطيع أن أسرد عليك غير ذلك الكثير من الحالات التى لا يقدر فيها أناس ، هم أنفسهم فضلاء ، لا يقدرون مطلقا على جعل أحد يصير أفضل[١١٩] ، لا من ذويهم ولا من غيرهم .

---

(١١٥) الاشارة الى بارالوس واكزانثيبوس الحاضرين ، انظر ٣١٤ هـ — ٣١٥ أ .

(١١٦) sophos ، بالمعنى الحرفى ، من علم يعلم علما ، والمقصود المعرفة والخبرة بالسياسة .

(١١٧) وسقراط لا يعتقد أن المصادفة تؤدى الى الفضيلة ، قارن «مينون» ، ٧٠ أ ، ٩٩ أ . وحول معنى « الفضيلة » اليونانية ، راجع تعليق Taylor على هذا النص (ص ٧٤) .

(١١٨) وهو شقيق بيريكليز . وراجع « القبيادس » ، ١١٨ د — هـ ، و « مينون » ، ٩٤ ب .

(١١٩) beltistos ، ولا يجب على القارىء أن ينسى الصلة بين « الفضيلة » و « يصير افضل » ، راجع هنا ٣١٨ أ ، وفى «جورجياس» ، ٥١٥ ب — هـ ، وفى «مينون» ، ٩٣ أ وما بعدها .

(١٢٠) هنا يعمم سقراط : فهو ينتقل من حالة تعليم الفضيلة السياسية الى تعلم الفضيلة بصفة عامة .

وهكذا يا بروتاجوراس فانى حين ألقى بنظرى الى هذه الحالات أجد أنه ليس من الممكن أن تعلم الفضيلة(١٢٠) . ولكنى ، من جهة أخرى ، حين أسمعك تقول أن هذا ممكن ، أجد رأيى يتأرجح وأرى أن ما تقول فبه قوة(١٢١) لاعتقادى فى اتساع خبرتك المكتسبة وأنك تعلمت الكثير كذلك ، هذا فوق الكثير الذى اكتشفته آنت نفسك(١٢٢) . فاذا كنت تستطيع اذن أن تبرهن لنا على نحو أوضح(١٢٣) أن (جـ) الفضيلة أمر يمكن أن يعلم ، فلا ترفض مطلبنا هذا وقم ببرهنتك(١٢٤) .

فقال : وانى لموافق يا سقراط . ولكن هل تريدون أن أعرضها عليكم على شكل حكاية(١٢٥) أقولها ، كما يفعل شيخ مع من هم أصغر منه سنا ، أم على شكل تناول تفصيلى(١٢٥ مكرر) للمسألة ؟

فقال كثير من الحاضرين بأن يقوم بعرضه على أى من النحوين الذى يروق له . فقال : اذن فانى أجد أنه من الأمتع أن أروى لكم

---

(١٢٠) هنا يعمم سقراط : فهو ينتقل من حالة تعليم الفضيلة السياسية الى تعليم الفضيلة بصفة عامة .

(١٢١) حرفيا « ان ما تقوله شىء » اى انك على صواب . ولاحظ أن تردد سقراط بين النفى والاثبات هو انعكاس لاضطراب أفكار أهل العصر حول هذه الأمور . انظر ٣٦١ أ وما بعدها .

(١٢٢) فى هذا مديح لبروتاجوراس . وكثيرا ما يذكر سقراط فى المحاورات ان العلم يصل اما بالأخذ عن الآخرين او بأن يكتشفه المرء بنفسه .

(١٢٣) مطلب الوضوح من اهم مطالب التفلسف السقراطى .

(١٢٤) ربما كانت فكرة البرهان العقلى هى أهم ما جاء به الفكر اليونانى على الاطلاق .

(١٢٥) mutlios ، وهى تعنى أيضا « أسطورة » ولها معانى اخرى .

(١٢٥ مكرر) هكذا نترجم logos هنا .

حكاية(١٢٦) .

كان هنـــاك زمن كانت فيه الآلهة كائنة ، ولكن أجنـــاس الكائنات الفانية (د) لم تكن موجودة . ثم جاء بعد ذلك الزمن الذى قدر فيـه أن تظهر هذه الأجناس الى الوجود ، وقد شكلتها الآلهة فى داخل الأرض من مزيج من تراب ونار ومما يمتزج بالنار والتراب . وحينما حل وقت دفعها الى النور عهدت الى بروميثيوس وابيميثيوس(١٢٧) أن يهبـا كـل جنس منها خصائصه(١٢٨) وأن يوزعا هـذه الخصائص على ما ينبغى ، ولكن ابيميثيوس طلب من بروميثيوس أن يوزع هو وقال : « وبعد أن أقوم بالتوزيع ، تأتى أنت لتراجـع » . ووافق الآخر وأخــذ هو فى التوزيع . وفى توزيعه أعطى بعض الأجناس القوة دون السرعة ، (هـ) بينما وهب السرعة أجناسا أخرى أضعف ، كما أنه سلح بعضها أما البعض الآخر منها التى أعطاها طبيعة بغير سلاح فانه قـد هيأ لهـا قدرة أخرى على انقاذ نفسها : وهكذا فانه وزع على الأجناس التى دثرها بقامة قصيرة قدرة على الهرب بالطيران أو مســكنا تحت الأرض ، أما التى أطال من قامتها (٣٢١) فانه جعل هذا ذاته وسيلة لانقاذها . وهكذا أيضا كانت طريقته فى التوزيع مع باقى الأجنـــاس : أن يساوى بينهـا بالتعويض ،

(١٢٦) ربما تكون دلالة هذا الاختيار ان السفسطائى لا يهدف الى الحقيقة ، بل الى الامتاع والفائدة أولا . ونشير الى اننا لن نعلق بالتفصيل على كافة اجزاء خطبة بروتاجوراس . ويحتوى تعليق Taylor (ص٧٨ وما بعدها) على كثير من التفاصيل .

(١٢٧) الاثنان شخصيتان أسطوريتان ، والأول يحتل اسمه مكانا فى المقدمة بين الأسماء الأسطورية ، ويأتى الحديث عنه عند معظم الشعراء وكتاب المسرح ، ويختلفون فى تصويره ، ولكن اسمه يرتبط فى المحل الأول بسرقة النار من الآلهة واعطائها للانسان ، وبعقاب زيوس له عقابا خالدا . وما يلى هــو صياغة جديدة لأسطورته ، وقــد تعود الى بروتاجوراس أو الى أفلاطون نفسه .

(١٢٨) جمع dunamis ، وتعنى أيضا « القدرة » .

وهو فى كل هذا الذى دبر كان صادرا عن تحوط منـه ألا يصـير أى جنس الى العـدم .

وبعد أن أعطى للكائنات ما يجعلها تفلت به من قضـاء بعضها على بعض ، تخيل ما يساعدها فى يسر على تحمل تغيرات فصـول زيوس : وذلك بأن يغطيها بشعر كثيف أو بجلد شديد يجعلها قادرة على مقاومة البرد ، وقادرة أيضا فى نفس الوقت على الدفاع ضد الحر ، ويكون لها كذلك ، عند ذهابها الى النوم ، غطاء يخص كل واحد بمفرده وينمو فيه من تلقاء نفسه . أما (ب) عن النعال فقد تخيل للبعض حوافر وللبعض الآخر جلدا خشنا لا يجرى الدم فيه . ثم كانت بعد ذلك ألوان الأغذية التى أعطاها مختلفة بحسب اختلاف الأجنـاس : فأعطى البعض عشب الأرض ، وثمار الأشجار للبعض الآخر ، وللبعض جذورها . وهنـاك بعض الأجناس التى أعطى لها غـذاء لحوم الحيوانات الأخرى ، وقـد جعلها قليلة العدد ، أما الحيوانات التى تلتهمها فقد جعلها كثيرة الانجاب وذلك من أجل أن يهبها وسيلة لحفظ نوعها .

ولكن ابيميثيوس ، الذى لم يكن حكيما كل الحكمة ، كان قـد وزع ، بدون أن يدرى ، (جـ) كل القـدرات على الحيوانات غـير النـاطقة(١٢٩) ، وبقى أمامه الجنس البشرى لم يوهب شـيئا ، وتملكته الحيرة حول ما سيفعله معه . وبينما هو على هذه الحيرة وصل بروميثيوس ليفحص كيف تم التوزيع ، فوجـد أن كل أجناس الحيوان قـد حازت قدرات من كل نوع على نحو مناسب ، بينما لايزال الانسان عاريا بغير ما يقى قدميه وبغير غطاء وبلا سلاح ، وقد اقترب اليوم الذى كان قدر للانسان أن يخرج فيه من الأرض الى النور(١٣٠) .ولمـا احتار بروميثيوس

---

(١٢٩) ta aloga ، وربما يكون استخدام هذا الاصطلاح هنا من أوائل مرات استخدامه للدلالة على الجنس البشرى .

(١٣٠) أنظر موق ، ٣٢٠ د .

في العثور على الوسيلة التى تضمن للانسان حفظ بقائه ، قام (د) وسرق من هيفايستوس وأثينا[١٣١] معرفة الفنون الى جانب النار (لأنه لم يكن ممكنا بغير النار الوصول الى اكتساب هذه المعرفة الفنية ولا استخدامها) ، وهكذا كان هذا ما قدمه هدية[١٣٢] الى الانسان •

بهـذه الطريقة اذن حصـل الانسان على المعرفة [١٣٣] الضرورية لحياته ، أما علم السياسة المدنية [١٣٤] فانه لم يحصل عليه : ذلك أنه كان في حوزة زيوس ، ولم يكن في امكان بروميثيوس بعـد أن يدخل الى الأكروبوليس[١٣٥] حيث مقام زيوس ، هـذا بالاضافة الى وجود حراس زيوس الأشـداء • أما منزل أثينا وهيفايستوس المشـترك ، الذى (هـ) يمارسان فيه فنونهما ، فانه دخل اليه خفية وسرق منه فن النـار ، وهو فن هيفايستوس ، والفن الآخر [١٣٦] ، وهو فن أثينا ، ووهبهما هدية الى الانسـان ، ومن هذا كانت قدرة الانسـان على التمتع (٣٢٢) بحياة رغـدة • أما بروميثيوس فيقال انه عوقب بعـد ذلك على سرقته بسبب ايميثيوس[١٣٧] •

---

(١٣١) هيفايستوس اله النـار والفنون والصنائع ، وأثينا الهة السمـاء والرعد ، والحرب أيضا احيانا ، والهـة الفطنة والذكاء والمعارفة كذلك . وهى تعتبر ، بعد زيوس ، من أهم آلهة الأولمبوس ، مجمع الآلهة اليونانية التقليدية .

(١٣٢) يظهر هـذا المعنى هنا لأول مرة منذ ٣٢٠ جـ .

(١٣٣) sophia .

(١٣٤) politêkê ، من polis ، أى المدينـة .

(١٣٥) وهو أعلى قمم جبل الأولمبوس ، والمعنى الحرفى هو «أعلى المدينة» .

(١٣٦) وهو المعرفة التكنيكية (من tekhnê) .

(١٣٧) الى هنا ينتهى الجزء الأول من اسطورة سرقة النار . وبعدها يبـدأ جزء جديد ، بطله زيوس كبير الآلهة والاله هرمس .

ولما أصبح للانسان نصيبه الالهى فانه أولا صار الوحيد بين الحيوانات الذى يعتقد فى الآلهة ، وذلك بسبب قرابته مع الآلهة ، وأخذ فى اقامة المعابد والتماثيل(١٣٨) للآلهة . وبعد ذلك فانه سرعان ما نسق الأصوات والأسماء تنسيقا فنيا ، ثم اخترع المساكن والملابس والأحذية والأغطية والأغذية التى تخرج من الأرض.وحينما كان هذا هو عتادهم ، (ب) كان البشر فى البدء يعيشون متفرقين ، فلم تكن هناك مدن(١٣٩) . لهذا كانوا فريسة للحيوان المتوحش حيث كانوا أضعف منه من كل الأوجه . واذا كان فنهم الانتاجى كافيا للدفاع عنهم فيما يخص الغذاء ، الا أنه كان قاصرا فيما يخص الحرب مع الحيوان المتوحش : ذلك أنهم لم يكونوا حائزين على الفن السياسى ، وفن الحرب جزء منه . لهذا حاولوا أن يتجمعوا وأن يدافعوا عن أنفسهم بتأسيس المدن . ولكنهم حينما تجمعوا ارتكب بعضهم فى حق البعض المظالم ، حيث أنهم لم يكونوا حائزين على الفن السياسى(١٤٠) ، حتى أنهم عادوا من جديد الى التفرق والى الفناء .

(ج) لهذا خشى زيوس أن يفنى جنسنا بأجمعه ، فبعث هرمس(١٤١) حاملا الى البشر شعور الخجل(١٤٢) والميل نحو العدالة ،

---

(١٣٨) agalmata ، وتعنى أيضا « الصور » . هذا وقد كررنا فى الترجمة كلمة « الآلهة » كما فى النص . ونشير الى ان الحضارات القديمة حاولت دائما ، على صور شتى ، اثبات علاقة خاصة بين الانسان والالوهيـة .

(١٣٩) اى لم تكن هناك حياة اجتماعية .

(١٤٠) اى فن ادارة (« سياسة ») المدينة .

(١٤١) هو رسول الآلهة ، وهو يتميز أيضا بالاختراع وتعدد المواهب ، وبالمكر والخداع فى بعض ما صور به . وكانت عبادته منتشرة جدا فى خلال كل بلاد اليونان .

(١٤٢) أو « الضمير » .

وذلك حتى تصير قوانين(١٤٣) للمدينة ووشائج لتجميع الصداقات(١٤٤) • وعند ذلك سأل هرمس الاله زيوس عن الطريقة التى سيعطى بها العدالة والخجل الى البشر : « هل سأوزعهما كما وزعت الفنون المتخصصة ؟ فهذه قد وزعت هكذا : ففرد واحد حائز على فن الطب كاف لكثيرين من الأفراد العاديين الجاهلين لهذا الفن ، وكذلك الحال أيضا مع أهل باقى الصنائع • فهل أقيم العدالة والخجل (د) بين البشر على نفس هذا النحو ، أم أوزعهما عليهم أجمعين ؟ » فأجاب زيوس : « بل فليشاركوا فيهما جميعا • ذلك أنه لن يمكن للمدينة أن تقوم اذا شارك فيهما عدد قليل من الناس وحسب كما هو الحال مع الفنون الأخرى • بل وضع قانونا باسمى يقضى باعدام غير القادر على المشاركة فى الخجل والعدالة وكأنه وباء على المدينه » •

هكذا اذن يا سقراط(١٤٤ مكرر) توضيح كيف ولماذا أن أهل المدن الأخرى والأثينيين كذلك يعتقدون ، حينما يتصل الأمر بفضيلة(١٤٥) المعمارى أو غيره من أصحاب الصنائع ، أن قليلين فقط لهم حق اسداء المشورة ، وأنه اذا وجد (هـ) شخص خارج عن هذا العدد القليل يريد اسداء مشورته ، فانهم لا يسمحون له بهذا ، كما تقول أنت(١٤٦) ، وعن حق كما أقول أنا • أما عندما يأتون الى التشاور حول (٣٢٣) الفضيلة السياسية ، وهو تشاور يدور بالضرورة بأكمله حول العدالة وحول

---

(١٤٣) kosmoi ، والمفرد kosmos يعنى النظام او الحلية ، والمقصود هو المعنى الأول هنا ، والقانون ما هو الا منظم حياة المدينة فهو نظامها .

(١٤٤) مفهوم الصداقة من اهم اسس الحياة الخاصة والعامة عند اليونان .

(١٤٤ مكرر) هنا يبدأ جزء جديد فى خطبة بروتاجوراس ، بعد جزء « الأسطورة » .

(١٤٥) ولننتبه الى أن معنى الفضيلة هنا هو « القدرة المتخصصة » .

(١٤٦) انظر فوق ، ٣١٩ ب — جـ .

الحكمة العملية(١٤٧) ، فانهم يقبلون فى هـذا المضمار ، وعن حق ، أى شخص ، وذلك باعتبـار أنه من حق الجميع المشـاركة فى هـذه الفضيلة(١٤٧ مكرر) ، والا لمـا كانت هناك مجتمعات مدنية . هذه هى ، يا سقراط ، العلة فى هذا .

وحتى لا تظن أننى أخادعك حين أقول ان الناس جميعا تعتقد بالفعل ان كل شخص يشـارك فى العـدالة وفى غيرها من جوانب الفضـيلة الاجتماعية (١٤٨) ، فهاك اذن هذا البرهان الجديد . فى ألوان الفضـائل الأخرى اذا حدث ، كما تقول أنت (١٤٨مكرر) ، وادعى أحدهم أنه عازف قدير على الناى ، أو أنه قادر فى أية فضيلة أخرى بينما هو ليس كذلك ، فان الناس اما أن تسخر منه (ب) أو أن تعنفه ، ويأتى الأقارب يوبخونه على جنونه . أما فى الحالات التى تخص العدالة والفضائل الاجتماعية الأخرى ، فاذا كان هناك شخص يعرف عنه النـاس أنه رجل غير عادل وحدث أن جاء هذا الشخص بنفسه وقال الحقيقة أمام الجميع ، فان قول الحق هـذا ، الذى كانوا يعتبرونه حكمـة وتعقـلا (١٤٩) فى الحـالة الأخرى (١٥٠) ، سيعتبرونه هنا جنونا ، وسيقولون ان على كل شخص أن

---

(١٤٧) على التوالى dikaiosunê و sôphrosunê ، ولاحظ بداية التاكيد على دور العدالة فى الفضيلة . وقارن ٣٣٠ أ ـ ب و ٣٣٢ أ ـ ب .

(١٤٧ مكرر) يبدو أن بروتاجوراس سيقول بغير هـذا الرأى فى ٣٢٩ هـ ، ٣٤٩ د .

(١٤٨) أو « انسياسية » .

(١٤٨ مكرر) ربما تكون هذه اشارة الى ٣١٩ ب ٨ ، حسبما يشير Robin (هامش ٢ على ص ٩١) ، وقـد تكون اشارة الى طريقة الاستقراء السقراطى بصفة عامة .

(١٤٩) بهاتين الكلمتين نترجم هنا sôphrosunê .

(١٥٠) وهى حالة ادعاء التخصص فى فن خاص كما جاء فى ٣٢٣ أ .

يقول انه عادل ، ســواء أكان كذلك أم لم يكن ، فسيكون من الجنون ألا يصــطنع المرء أنه عادل ، لأنه من الضرورى (جـ) ألا يكون هنــاك شخص لم يشارك بطريقة أو بأخرى فى العدالة ، والا لمــا بقى فى صفوف البشر •

اذن فان الناس يقبلون عن حق أن يدلى كل امرىء برأيه فيما يخص هذه الفضــيلة لأنهم يعتقدون أن البشر يشــاركون فيها ، فهــذا هو ما أوضحت • أما أن الناس لا يعتبرونها شيئا طبيعيا ولا انها تظهر من ذاتها[١٥١] ، بل انها تعلم وانها تظهر عند من قد تظهر عنده بالتحصيل[١٥٢] ، فهذا هو ما سأحاول أن أبرهن لك عليه الآن • ذلك أنه يخص المساوىء التى يعتقد الناس أنها عند بعضهم ، (د) اما بالطبيعة أو بالمصــادفة ، فانه ليس هناك من يغضب ممن هم على هذا الحال ولا عمن يوبخهم عليها ولا من يعطيهم الدروس ولا من يعاقبهم ، من أجل ألا يستمروا على حالهم تلك ، بل ان النــاس تكتفى بالشــفقة عليهم • ومن سيكون أخرقا الى الحد الذى يحاول أن يفعل مثل ذلك مع من عنده قبح أو كان قصــير القامة أو ضعيفا ؟ فالناس ، فيما يبــدو لى ، يعرفون أن الخصــائص الجميلة واضدادها انما تأتى اما بالطبيعة واما بالمصادفة • أما فيما يخص الخصائص الطيبة التىيعتقد الناسأنها تأتى بالتحصيل وبالمرانوبالتعليم، (هـ) اذا حدث ولم تكن للمرء هــذه الخصائص ، بل كانت أضــدادها السيئة هى التى يحوزها ، فهنا يظهر ولا شك الغضب والعقاب وألوان التوبيخ • من هذه الخصائص السيئة الظلم والضــلال[١٥٣] ، (٣٢٤) وفى كلمة واحدة كل ما يناقض الفضيلة الاجتماعية[١٥٤] • هنا اذن يثور

---

(١٥١) apo tou atomatou ، اى مصادفة ، راجع فوق ، هامش ١١٧ •

(١٥٢) ex epimelia ، أو بالمران •

(١٥٣) الضلال (asebeia) ضد التقوى ، وهو يعنى بصفة عامة عــدم احترام الآلهــة •

(١٥٤) راجع فوق ، ٣٢٣ أ •

كل واحد ضد الآخر ويوبخه ، وواضح أن ذلك بناء على أنه يمكن حيازة هذه الفضيلة بالتحصيل وبالدرس .

والواقع أنك اذا أردت ، يا سقراط ، أن تتأمل حول ما يعنيه عقاب (١٥٥) من يرتكبون الظلم ، فان هذا سيبين لك آن الناس تعتقد أن الفضيلة شيء يكتسب . فالحق أنه لا يوجد من يعاقب من يرتكبون الظلم وفي ذهنه هذا ومن أجل هذا ، أى أنهم ارتكبوا الظلم ، اللهم الا (ب) اذا ثأر المرء لنفسه بلا عقل على طريقة الحيوان المتوحش . أما ذلك الذى يريد أن يعاقب شخصا متبعا العقل فانه لا يثأر بسبب الظلم الذى ارتكب وكان ، فما هو يستطيع أن يجعل ما حدث وكأنه لم يحدث ، انما هو المستقبل الذى يضعه فى اعتباره ، وذلك من أجل ألا يرتكب الظلم من جديد لا هذا الشخص ذاته و لاشخص آخر غيره يكون قد حضر انزال العقاب .

ومن كان هذا فكره يرى أن الفضيلة يمكن أن تكون نتيجة للتربية، فما هدف العقاب الا تجنب ارتكاب الظلم . هذه اذن هى النظرة التى نجدها عند كل من يقومون بالعقاب سواء أكانوا أفراد أم كانوا الشعب فى مجموعه . وهكذا فان كل البشر يثأرون ويعاقبون (جـ) من يعتقدون أنهم ظالمون ، وليس الأمر غير ذلك عند الأثينيين ، مواطنيك . اذن ، وعلى هذا المبدأ ، فان الاثينيين من بين من يعتقدون أن الفضيلة شيء يكتسب ويتعلم . وهكذا يقبل مواطنون أن يدلى الحداد أو الاسكافى بمشورتهم حول أمور السياسة ، ويعتقدون أن الفضيلة شيء يتعلم ويحصل ، هذا هوما أظن يا سقراط أننى برهنت لك عليه برهانا كافيا .

---

(١٥٥) اهتم افلاطون كثيرا بفلسفة العقاب . انظر ، فى اطار محاورات الشباب ، « جورجياس » ، ٤٧٢ د وما بعدها ، ٥٢٥ أ وما بعدها . ويشير Adam (ص ١٢٣) الى مواقع فى محاورات أخرى ، وكذلك Taylor (ص ٩٦) .

(د) ولكن لا تزال هناك صعوبة ، وهى تلك التى أشرت أنت اليها حول الرجال الفضلاء (١٥٦) : فكيف يكون اذن أن هؤلاء الرجال وهم الفضلاء يعلمون أبناءهم كل ما يعلمه المعلمون ويجعلون منهم علماء (١٥٧) ، على حين أنهم فيما يخص نوع الفضيلة التى تميزوا هم فيها لا يجعلونهم متفوقون على أحد ؟ حول هذه الصعوبة يا سقراط فانى لن أذكر لك أسطورة بل برهانا (١٥٨) . فانظر فيما يلى : هل من الضرورى أم من غير الضرورى أن يشارك كل المواطنين فى شىء معين ، (هـ) اذا كان للمدينة أن توجد ؟ فهنا يوجد حل الصعوبة التى أثرتها أنت ، ولا حل لها الا هنا وحسب . ذلك أنه اذا كان هناك هذا الشىء ، وهو ليس فن المعمار ولا فن الحداد ولا فن صانع الفخار (٣٢٥) بل هو العدالة والحكمة والتقوى ، أو هو ما أسميه فى كلمة واحدة بالفضيلة الانسانية (١٥٨مكرر) ، أقول اذا كان هذا ما يجب أن يشارك فيه الجميع وأن يسير عليه سلوك كل الناس ، وذلك مهما كان ما يريد أن يتعلمه أو أن يفعله الواحد منهم ، وأنه بدونه لا يمكن شىء من ذلك ، وأن من لم يكن مشاركا فيه فانه يعلم ويعاقب سواء أكان طفلا أم رجلا أم امرأة ، وذلك حتى يصير أحسن بفضل العقاب ، وأن من لم يطع بعد العقاب والتعليم فانه (ب) يقذف من المدينة أو يعدم على اعتبار أنه لا شفاء له ، أقول اذا كان الأمر كذلك واذا كان الرجال الفضلاء قادرين على تعليم أولادهم كل شىء آخر الا هذا الشىء ، فانظر كم سيصير عجيبا بالفعل أمر هؤلاء الفضلاء . ولكن الواقع أنهم يعتقدون أن هذا

(١٥٦) جمع agathos ، « حسن » ، « خير » ، ومن هنا فاضل . والاشارة الى ٣١٩ د .

(١٥٧) sophoi ، أى عالمون بالمعنى العادى .

(١٥٨) السفسطائى قادر على كل ألوان الحديث . قارن « جورجياس » ٤٢٣ أ .

(١٥٨ مكرر) هل يعنى هذا أن بروتاجوراس يقول بوحدة الفضيلة ؟ لا يبدو ذلك ، وهو سيوضح موقفه فى ٣٢٩ جـ — د .

(١٥٨مكرر) هل يعنى هذا أن بروتاجوراس يقول بوحدة الفضيلة ؟ لا يبدو ذلك ، وهو سيوضح موقفه فى ٣٢٩ جـ — د .

الشيء يمكن أن يعلم اما تعليما خصوصيا أو تعليما عاما (١٥٩) ، وهذا هو ما كنا قد برهنا عليه • (فهل سنقول) انهم رغم اعتقادهم أنه شيء يعلم وأنه يمكن أن يكون موضوعا للعناية ، يعلمون أبناءهم كل الأشياء الأخرى التى لن يكون جزاؤهم الموت أو العقاب اذا هم لم يعلموها ، بينما الشيء الذي سيعرض أطفالهم ، اذا هم لم يتعلموا الفضيلة أو لم يربوا عليها ، سيعرضهم لعقاب الموت أو النفى (جـ) بل ومصادرة الأموال الى جانب الموت أو ، كما يقال فى تعبير موجز ، سيعرضهم لخراب الديار ، هل هذا هو ما يعلمونه لهم ولن يهتموا به كل الاهتمام ؟ ما أبعد هذا عن الاعتقاد يا سقراط •

ذلك أنهم يعلمون أبناءهم ويربونهم منذ بداية الطفولة المبكرة وطوال حياتهم ، فما أن يبدأ الطفل فى فهم الكلام حتى تندفع المربية والأم والمؤدب (١٦٠) بالاضافة الى (د) الأب نفسه فى القيام بهذا ، وذلك من أجل أن يصير الطفل أفضل ما يكون ، وبمناسبة كل فعل أو كل كلمة من أفعاله وكلماته فانهم يعلمونه ويوضحون له أن هذا عدل وذاك ظلم ، وان هذا جميل وذاك قبيح ، وأن هذا تقوى وهذا ضلال ، و « افعل كذا ولا تفعل كذا » • واذا حدث وأطاع من تلقاء نفسه ، فبها ، أما اذا لم يطع فانهم يوجهونه ، وكأنه عود مال وانحنى ، بالتهديدات والضربات • وحينما يرسلونه بعد ذلك الى المعلمين فانهم يوصونهم بأن يعنوا (هـ) بحسن خلق (١٦١) الأطفال وذلك أكثر بكثير من عنايتهم بالقراءة والكتابة وبتعليمهم العزف على القيثارة • والمعلمون من جهتهم يعنون بهذا ، وعندما يتعلم الأطفال هنا أيضا القراءة ويصبحون قادرين على فهم

---

(١٥٩) أى أن يقوم به اما معلمون خصوصيون أو تقوم به المدينة بأكملها • انظر ما يلى من كلام بروتاجوراس •

(١٦٠) كان يعهد بدور المؤدب فى العادة الى احد العبيد •

(١٦١) eukosmia ، وفيها معنى « النظام » ومن هنا « التهذيب » ، فالمهذب هو المنظم •

ما هو مكتوب كما كانوا من قبل قادرين على فهم ما يقال لهم من أصوات، فانهم يقدمون لهم ، وهم جلوس على المقاعد ، ما يقرأونه من قصائد الشعراء المجيدين على أن يقرأوها (٣٢٦) حافظين لها عن ظهر قلب ، لأن فيها كثيرا من قواعد السلوك وكثيرا من نماذجه الى جانب ألوان المديح والتمجيد لرجال الماضى العظماء ، وذلك حتى يقلدهم الصبى الذى يأخذه الاعجاب بهم وتملكه الرغبة فى أن يصير مثلهم .

ثم يأتى بعد ذلك دور معلمى العزف على القيثارة ليفعلوا هم أيضا نفس الشىء فى ميدان آخر : أن يعنوا بغرس الاعتدال فى الشباب بحيث لا يسلكون فى أى موقف سلوكا سيئا . والى جانب هذا ، فانهم يعلمونهم ، بعد أن يكونوا قد درسوا العزف على القيثارة ، قصائد أخرى للشعراء المجيدين ، شعراء الشعر الغنائى ، على أن يقوموا (ب) بعزفها على الآلة ، وهكذا يجعلون الايقاع المنتظم والتناسب يسكنان نفوس الأطفال ، وذلك بهدف أن يصيروا أكثر وداعة وحتى يصبحوا مهيئين للكلام وللسلوك فى المستقبل بعد أن يصيروا أكثر ضبطا وأكثر اتزانا ، فالحياة الانسانية بأكملها بحاجة الى الضبط والى الاتزان (١٦٢) .

وبعد ذلك يرسل الأهل الطفل الى مدرس التربية البدنية من أجل أن تصير أعضاء جسده أفضل لتكون فى خدمة عقله (١٦٣) الأمين ، (جـ) وحتى لا يكتب عليه الفرار فى ميادين الحرب وفى ميادين السلوك الأخرى من جراء ضعف أو قصور فى أجزاء جسده . هذا هو ما يفعله الى أقصى درجة أعظم القادرين ، وأعظم القادرين على ذلك هم الأغنياء ، وأطفال هؤلاء الأغنياء هم الذين يبدأ دخولهم المدارس منذ السن المبكرة،

(١٦٢) الكلمتان اليونانيتان المقابلتان على صلة قوية بلغة الموسيقى من ايقاع وانسجام .

(١٦٣) dianoia ،والمقصود هنا النفس . ونترجم « بالأمين » khrêstos .

وهم الذين لا يتركونها الا فى سن أكثر ما تكون تأخرا (١٦٤) .

وحينما يترك الأطفال المدرسة فان الدولة بدورها تفرض عليهم دراسة القوانين وأن يعيشوا وفقا لها باعتبارها النموذج لهم ، (د) وذلك حتى لا تتركهم لأنفسهم يسلكون على هواهم على غير هدى ، والحالة هنا كحالة مدرسى اللغة الذين يرسمون بالقلم للأطفال غير القادرين بعد على كتابتها ثم يعطونهم الألواح ويفرضون عليهم كتابتها بالسير على الحروف المخطوطة . وكذلك المدينة : فقد اختطت قوانين ، ابتدعها المشرعون القدماء الأفاضل ، وتفرض السير عليها سواء على الحاكم أو المحكوم ، ومن لم يسر بحذائها عاقبته . واسم هذا العقاب سواء عندكم (هـ) أو عند كثيرين عندكم هو « التقويم » ، باعتبار أن الجزاء يقوم . هكذا اذن يهتم الناس أعظم اهتمام بالفضيلة (١٦٥) ، سواء كأفراد أو كجماعات ، ثم تأتى أنت يا سقراط لتتعجب وتتساءل محتارا ، ان كانت الفضيلة تعلم ! ان هذا لا يمكن أن يكون موضوعا للعجب ، بل العجب أكبر العجب ألا يكون من الممكن للفضيلة أن تعلم .

فمن أين يأتى اذن أن كثيرين من أبناء رجال لهم أقدارهم يصبحون أشخاصا بغيرقيمة ؟ فاعلم الآن هذا أيضا . والحق أن هذا ليس بالعجيب، اذا كان ما قلت فيما سبق حقا ، أى أنه (٣٢٧) لا يجب أن يكون هناك شخص واحد لا يعلم ذلك الأمر ، أى الفضيلة ، اذا كان للمدينة أن تقوم لها قائمة ، واذا كان الأمر حقا على ما أقول ، وهو كذلك يقينا كل

---

(١٦٤) اى انهم يقضون فى المدرسة فترة اطول من غيرهم . وحول نظام التربية عند افلاطون نفسه ، راجع « الجمهورية » ، الكتاب الثالث بصفة خاصة ، و « القوانين » ، الكتاب الثانى ، والسابع ، والثانى عشر .

(١٦٥) هنا يصبح معنى الفضيلة « السلوك القويم » بصفة عامة .

اليقين ، فضع فى خاطرك أى شىء آخر يطيب لك مما هو موضوع للتدريب أو التعلم . فافترض أنه لن يكون ممكنا قيام المدينة الا اذا أصبحنا جميعا عازفين على الناى ، بحسب قدرة كل منا (١٦٦) ، الا اذا علم كل واحد منا الآخر سواء على انفراد أو على العموم وأنب من لا يعزف عزفا جيدا ، والا اذا لم يرفض أحد القيام بهذا ، كما هو الحال فى الواقع فيما يخص الأشياء العادلة والقواعد المتبعة المتوارثة التى لا يمنع أحد معرفتها عن أحد ولا (ب) يخفيها سرا ، وهكذا أيضا مع المعارف الفنية المتخصصة الأخرى : ذلك أننا ، فيما أعتقد ، نجد فائدة فى اتباع العدالة والفضيلة بازاء بعضنا البعض ، ولهذا يتحمس الجميع لأن يقولوا وليعلموا لبعضهم البعض ما هو عادل وما هو متفق مع القواعد المتبعة المتوارثة . وهكذا فاذا كان لدينا فيما يخص أمر العزف على الناى الحماس الكامل وعدم التردد مطلقا فى أن يعلم بعضنا الآخر ، فهل تتصور يا سقراط (هكذا قال بروتاجوراس) أن أبناء عازفى الناى المجيدين سيكونون أفضل من أبناء غير المجيدين ؟ أنى أعتقد أن لا ، وانما ذلك الابن لأحدهم الذى يحدث ويكون مهيأ الاستعداد للعزف على الناى أكثر من غيره فانه هو الابن الذى (ج) ستنمو شهرته ، أما ذلك الابن لأحدهم الذى (١٦٧) لا يكون موهوبا فانه سيكون بغير شهرة . وكثيرا ما يحدث أن يصير ابن عازف مجيد على الناى عازفا سيئا ، كما أنه كثيرا ما يحدث أيضا أن يصير ابن عازف سىء مجيدا . ولكنهم سيصيرون جميعا ، على أية حال ، عازفين مقبولين اذا ما نحن وضعناهم فى اطار غير المتخصصين والذين لا يفهمون شيئا فى فن العزف على الناى .

وهكذا اعتبر الآن أن ذلك الرجل الذى ربى على مراعاة القوانين بين البشر والذى يبدو لك ظالما أشد الظلم ، هو نفسه يكون عادلا

(١٦٦) هذا التحديد يهيىء لما سيقوله بروتاجوراس فى نهاية ب .
(١٦٧) المقصود الابن .

ومتخصصـــا فى ذلك الأمر (١٦٨) وذلك اذا كان ينبغى علينـــا أن نحكم عليـــه (د) فى اطـــار البشر الذين لا توجـد بينهم تربيـــة ولا محاكم ولا قوانين ولا قهر من أى نوع يجبرهم على مراعاة الفضيلة ، بل هم من نوع الهمج الذين صورهم فى العام المـــاضى الشـــاعر فيريكراطيس فى احتفالات ليينايون (١٦٨ مكرر) • ولاشك أنك لو وجدت نفسك بين هؤلاء الناس ، كأولئك الذين يتحـــدثون فى الكوروس فى تلك المسرحية مع كارهى الجنس البشرى ، فانك ستعتبر نفسك محظوظا اذا وقعت على شخص مثل أوروباتوس أو فرنونداس (١٦٩) ، وستنزف الدموع على (هـ) شر الرجال الذين هنا (١٧٠) • والآن يا ســـقراط فانك تتدلل لأن الجميع يعلمون الفضيلة ، كل بحسب ما يستطيع ، بحيث لا يبدو لك أن هناك من يعلمها • والحال كحال أن تبحث عن شخص يعلم (٣٢٨) التكلم باليونانية ، فانك لن تجد أحـــدا ، كما أنك ، فى رأيى ، ان بحثت عن شخص يعلم لنـــا أبناء الصناع تلك الصنعة نفسها التى تلقوها من صحبة آبائهم وبقـــدر ما يســـتطيعه الأب وأصـــدقاء الأب من أصحاب نفس الصنعة ، هذا الشخص الذى سيكون قادرا على تعليمهم أكثر من ذلك ؛ أقول انه لن يكون من السهل فيما أعتقد أن تجد مثل هـــذا المعلم ، على حين أنه سيكون سهلا كل السهولة العثور على معلم لمن لاخبرة لهم • ونفس الأمر يمكن أن يقال عن الفضيلة وعن كل شىء غيرها • أما اذا وجـد شخص يختلف اختلافا ولو قليـــلا عن الآخرين فى (ب) دفعنا على طريق الفضيلة ، اذا وجد مثل هذا الشخص فاننا يجب أن نفرح (١٧١) •

---

(١٦٨) اى فى العـــدالة •

(١٦٨ مكرر) وهى احتفالات تمجد الاله ديونيسوس • والمسرحية المشـــار اليها هى مسرحية « المتوحشـــون » ، التى مثلت عام ٤٢٠ ق•م• راجع مقدمتنا ، ص •

(١٦٩) شخصيتان تمثلان الأشرار •

(١٧٠) المقصود أن شر « الذين هنا » اهون بكثير •

(١٧١) وهل سيكون شخصا آخر غير بروتاجوراس ؟

وأنا أعتبر نفسي واحدا من هؤلاء وأنني أفوق البشر الآخرين في قدرتي على مساعدة الشخص على أن يصير جميلا وحسنا (١٧٢) بحيث أنني أستحق الثمن الذى أطلبه بل واكثر منه ، بحسب رأى من يدفعون الثمن (١٧٣) . وقد اخترت لنفسي طريقة فيما يخص تلقى الثمن هي كما يلي: بعد أن يتعلم الشخص على يدى فانه يقدم الى ، ان شاء ، القيمة التى أحددها أنا من المال ، (جـ) أما ان لم يوافق ، فانه يذهب الى أحد المعابد ويعلن هناك بعد حلف اليمين أى قيمة يستحقها تعليمه ، ويودع هناك تلك القيمة (١٧٤) .

ثم استطرد بروتاجوراس: وهكذا ، يا سقراط ، أكون قد أوضحت ، سواء بالأسطورة أو بالبرهان ، كيف أن الفضيلة تعلم وكيف أن الأثينيين يعتقدون ذلك ، وأنه ليس هناك من موجب للدهشة من أن آباء فضلاء يخرجون أبناء تافهين أو أن آباء لا قيمة لهم يخرجون ابناء فضلاء ، حيث ان ابنى بوليكليتيس ، وهما من عمر بارالوس واكزانثيبوس الحاضرين هنا ، ليسا شيئا بالقياس الى والدهما ، وهكذا الحال أيضا مع آخرين من أبناء أصحاب الصنائع . أما عن هذين (د) ، فانه لا يجب ادانتهما من الآن : فلا يزال يرجى منهما أمل ، فهما لا يزالان صغيرين (١٧٥) .

وبعد أن قدم بروتاجوراس هذا الاستعراض الوافر الكبير ، توقف عن الكلام ، أما أنا ، وقد ظللت تحت تأثير سحره طويلا ، فكنت لا أزال

---

(١٧٢) kalon kagathon .

(١٧٣) اى ان الأمر متروك لهم ليدفعوا ما يطلب او اكثر منه .

(١٧٤) يقال ان الأجر المعتاد لبروتاجوراس كان مائة من « المينات » ، جمع « مينا » وهى عملة يونانية ، اى مئات الجنيهات . وفى كل « مينا » مائة دراخمة ، وكان كتاب أحد الفلاسفة يباع فى الأسواق بدراخمة واحدة (راجع « الدفاع » ، ٢٦ هـ) .
فيهما الأمل .

(١٧٥) بروتاجوراس يريد مجاملة الشابين واهلهما ، ولهذا فهو لا يقطع منهما الأمل .

أتجه اليه بعينى عله يقول شيئا ، من شدة توقى الى الاستماع اليه يتحدث . أما حين أحسست انه قد انتهى بالفعل من كلامه ، فقد اتجهت بنظرى ، بعد أن جمعت قواى ، ان أمكن أن أقول هذا ، بشىء من الصعوبة(١٧٦) ، اتجهت بنظرى الى أبقراط وقلت له : « لكم كبير فضلك على يا ابن أبوللودرروس أن دفعت بى الى المجىء هنا : فما أعظم ما استمتعت (هـ) بسماعى ما سمعت من بروتاجوراس . فقد كنت فيما سبق من الزمن أظن أنه لا توجد صنعة للعناية (١٧٦مكرر) بالبشر تجعل الفضلاء فضلاء ، أما الآن فقد اقتنعت . الا أن هناك شيئا بسيطا يقف حجر عثرة أمامى وسيزيله بروتاجوراس ، ما فى ذلك من شك ، فى سهولة ويسر ، بعد أن أفاء من علمه الكثير ما سمعنا (١٧٧) .

ذلك أنه لو تحادث أحد حول هذه المسائل نفسها مع واحد من (٣٢٩) خطبائنا السياسيين (١٧٨) ، فلربما سمع ما يشبه هذه الخطبة من بيريكليز مثلا أو من واحد غيره من المهرة فى الكلام (١٧٩) . ولكن

---

(١٧٦) قارن ٣١٥ أ — ب . ولا شك أن سقراط يتظاهر فقط بأن بروتاجوراس قد «سحره» . ويرجع Taylor (ص ١٠٣) الى «السفسطائى» ، ٢٣٥ أ ، ب ، ٢٦٨ د ، والى « السياسى » ، ٢٩١ جـ .

(١٧٦مكرر) epimelea ، ونفس الاصطلاح فى ٣٢٣ حـ ٦، ٣٢٤ أ ٢ . وانظر نتيجة « مينون » ، ٩٩ هـ .

(١٧٧) مديح فى بروتاجوراس لتشجيعه على الرد على « الصعوبة البسيطة» التى سيثيرها سقراط فى ٣٢٩ ب . قارن « أوطيفرون » ، ١٢ هـ — ١٣ أ .

(١٧٨) dêmêgôroi ، حرفيا : « الخطباء الشعبيون » أى الذين يخطبون أمام الشعب ، وشيئا فشيئا أصبح المعنى : « الخطباء المتملقين للشعب » .

(١٧٩) كانت المهارة فى الكلام من اهم الأسلحة فى أيدى الساسة اليونانيين وخاصة فى المدن الديمقراطية .

اذا حدث وسألهم المرء عن شيء ما ، فانهم كالكتب (١٨٠) لا يدرون كيف يجيبون ولا كيف يستجيبون هم أنفسهم . أما اذا ألقى المرء عليهم سؤالا حول جانب مهما يكن ضئيلا من الموضوع الذى تحدثوا فيه ، فانهم سيكونون كالأوانى المعدنية التى يطرقها المرء فتظل ترن طويلا وتستمر على ذلك اللهم الا اذا أمسك بها ، فكذلك الخطباء (١٨٠مكرر) تسألهم أصغر سؤال فيجيبونك بسرد لخطبة لا تنتهى . أما بروتاجوراس هذا (١٨١) فانه قادر على القاء الخطب الطويلة الجميلة ، وقد برهن على هذا بالفعل ، ولكنه قادر أيضا ، عندما يسأل ، أن يجيب اجابة قصيرة ، وعندما يسأل هو ، أن يصبر حتى تأتى الاجابة وأن يتقبلها ، وهى قدرة لا يتمتع بها الا قلة من الناس (١٨٢) .

والآن اذن يا بروتاجوراس ، فهناك مسألة صغيرة وبعدها يكتمل الأمر كله . ولعلك اذا شئت أن تجيبنى عن الموضوع التالى : أنت تقول ان الفضيلة شيء يعلم ، واذا كان بين البشر شخص يستطيع أن يقنعنى بذلك ، فان هذا الاقناع لن يأتى الا منك أنت . (جـ) ولكن شيئا أثار دهشتى بين ما قلت وأريد أن تشفى غلة فى نفسى بشأنه : ذلك أنك قلت ان زيوس قد أرسل الى البشر الشعور بالعدالة والشعور بالخجل ، كذلك فقد أتيت فى مواضع كثيرة من كلامك على ذكر العدالة والحكمة

---

(١٨٠) قارن « فايدروس » ، ٢٧٥ د .

(١٨٠مكرر) rêtores . قارن الكلمة المستخدمة فى أول الفقرة ، وهامش (١٧٨) .

(١٨١) هذه ترجمة حرفية للنص اليونانى ، وليس فيها اى اهانة على ما قد توحى العبارة العربية لقارىء اليوم ، انما المقصود هو « الحاضر بيننا » .

(١٨٢) كلام سقراط ظاهره المديح وباطنه فرض لشروط الحوار السقراطى على بروتاجوراس ولكن بطريقة مهذبة . و « القلة من الناس » القادرة على السؤال والجواب فى قصر المقصود بها اصحاب سقراط ومن سيتبع افلاطون .

العملية والتقوى (١٨٣مكرر) وكل ذلك وكأنها جميعا ، باختصار ، شيء واحد : هو الفضيلة . فأوضح لى اذن هذا بصريح العبارة : هل الفضيلة شيء واحد ، وفى هذه الحالة تكون العدالة والحكمة العملية والتقوى أجزاء منها ، أم أن هذه الأشياء التى ذكرتها الآن (د) هى كلها اسماء الشيء واحد ونفس الشيء (١٨٣) ؟ هذا هو ما أزال أطلبه منك .

فقال بروتاجوراس : ان الاجابة على هذا سهلة (١٨٤) يا سقراط ، وهى أن الفضيلة شيء واحد وهذه الأشياء التى قلتها هى أجزاء منها .

فقلت : هل ذلك على طريقة أن الفم والأنف والعينين والأذنين أجزاء الوجه ؟ أم على طريقة أجزاء الذهب التى لا يختلف جزء منها عن الآخر ولا عن الكل شيئا اللهم الا بالكبر أو الصغر ؟

ـ واضح أمامى ، (هـ) يا سقراط ، أنها على الطريقة الأولى ، طريقة العلاقة التى بين أجزاء الوجه والوجه ككل .

فقلت : وهل يشارك البشر اذن فى أجزاء الفضيلة ، هؤلاء فى بعضها وأولئك فى بعض آخر ؟ أم أنه من الضرورى ، اذا حاز الشخص أحدها ، أن يحوز كل الأجزاء ؟ (١٨٥) .

---

(١٨٣) راجع ٣٢٣ أ ، هـ ، ٣٢٤ هـ ، ٣٢٥ أ .

(١٨٣مكرر) بعبارة أخرى : هل الفضيلة متعددة أم واحدة ؟ ويمكن القول ان هذه هى بداية الحوار الفلسفى على الدقة .

(١٨٤) وهذه دائما اجابة المتحاور مع سقراط فى بداية الحوار ، قارن «أوطيفرون» ، ٤ هـ ـ ٥ أ ، ٥ د ، ٦ هـ ـ ١٧ ، «مينون» ٧١ هـ .

(١٨٥) لنتذكر أن سقراط كان يذهب الى أن من يحوز المعرفة ، أى العلم ، يصبح فاضلا ، لأن جوهر الفضيلة هو المعرفة .

فرد قائلا : أبدا ، حيث أن هنـــاك كثيرين من الرجال شجعان ، ولكنهم ظلمــة ، وهناك كذلك كثيرون من العدول ، بينما هم ليســوا نبهـاء (١٨٦) .

فقلت : ذلك اذن أن هــذين هما من أجزاء (٣٣٠) الفضـيلة : الحكمة (١٨٧) والشجاعة ؟

فرد : من غير أدنى شك ، بل ان الحكمة هى أعظم أجزاء الفضيلة.

واستطردت : وكل جزء من هذه الأجزاء مختلف عن الجزء الآخر ؟

— نعم .

— وهل لكل جزء وظيفته (١٨٨) الخاصة ؟ فكما هو الحال مع الوجه ، فان العين ليست كالأذن ، ووظيفتها ليست نفس وظيفته ، وكذلك أيضا الأجزاء الأخرى فلا هى تشبه بعضها بعضا ولا وظائفها نفس الوظائف . فهل الأمر كذلك اذن مع أجزاء الفضيلة : فلا هذا الجزء مشـابه (ب) لذاك ولا وظيفته (١٨٩) هى نفس الوظيفة ؟ أليس من الواضح أن الأمر كذلك ، على الأقل اذا كان هناك تشابه مع المثل (١٩٠) الذى ضربناه ؟

---

(١٨٦) sophoi ، ونقصد « بالنبيه » هنا ما يقال عنه أحيانا فى العامية « الناصــح » . ونلاحظ من قرائتنا للكتــــاب الأول من محاورة « الجمهورية » ولمحاورة « جورجياس » أن العدالة لم تكن فى رأى بعض أهل العصر دليــلا على « النباهة » (sophia) .

(١٨٧) sophia ، والمعنى هنــــا يتأرجح بين ما يقصــده بروتاجوراس وما يقصده سقراط .

(١٨٨) dunamis ، أو « قــدرة » .

(١٨٩) أى ما هو قادر على فعله .

(١٩٠) paradeigma . وضرب الأمثلة ، أو « النماذج » طريقة أساســية فى الحوار السقراطى .

فقال : بل الأمر كذلك يا سقراط .

فقلت أنا : فهل لن يكون هناك بين أجزاء الفضيلة ما يشبـــه العلم ولا ما يشبه العدالة ولا ما يشبه الشجاعة ولا ما يشبه التعقل (١٩٠مكرر) ولا ما يشبه التقوى ؟

فقال : كلا .

فقلت : فهيا اذن ولنفحص سويا ما هو عليه حال كل منها (١٩١) . ولنبدأ بهذا : (جـ) هل العدالة « شيء » (١٩٢) ما أم هي ليست شــيئا ؟ أنا يبدو لى أنها كذلك ، وأنت ؟

فرد : وأنا أيضا.

ـــ والآن ، اذا حدث وسألنا أحدهم أنا وأنت : « أيا بروتاجوراس وأنت يا ســقراط : قولا لى : هـــذا الشيء الذى سميتموه منذ قليـــل « بالعـــدالة » ، هل هو ذاته عادل أم هو غير عادل ؟ » فانى سأجيب من جانبى أنه عادل ، وأنت : كيف سيكون الصوت الذى ستدلى به ؟ هل سيكون كصوتى أم مغايرا له ؟

فقال : نفس الصوت مثلك (١٩٣) .

(١٩٠مكرر) sôphrosunê ، وهى الفضيلة التى تترجم أحيانا باســـم « الحكمة العملية » أو « الاعتدال » . راجع هنا ما سيقال فى ٣٣٢ ا ـــ ب و ٣٣٣ ا ـــ ب ، وقارن ٣٢٣ ا .

(١٩١) هنا يبـــدأ الفحص التفصيلى .

(١٩٢) نحن الآن على مشارفة الطريق الذى سيؤدى الى نظـــرية المثـــــل الأفلاطونية . قارن على الخصـــوص « أوطيفرون » ، ٥ جـ ـــ د ، ٦ د ـــ هـ . وانظـــر هنا أيضا ٣٣٢ جـ ، ٣٥٨ د .

(١٩٣) وكأنهما فى جمعية شعبية ويدليان بصوتيهما . ولاحظ أهمية النقطـــة السابقة كمـــا سيتضح من مسرى الحـــوار . أما ذلك « السائل » الخيالى فليس الا سقراط نفسه متخفيا .

ـ اذن فالعـدالة هى مكونة هكذا بحيث تكون عادلة ، هـذا ما سأقوله اجابة على (د) واضع السؤال • ألن تكون هذه اجابتك أنت أيضـا ؟

فقال : نعم •

ـ واذا سـألنا بعـد ذلك : « وألا تقولان ان التقوى شىء ؟ » فاننا سنقول بهذا ، على ما يبدو لى •

فأجاب : نعم •

ـ «وألا تقولان انها شىء محدد ؟ » سنقول بهذا ، أم لا ؟ فوافق على هذا •

ـ « ولكن هذا الشىء ذاته ، هل تقولان بأنه مكون بطبيعته بحيث يكون غير تقى أم بحيث يكون تقيا ؟ » وسـأغضب أنا من جانبى (قلت مستطردا) من صاحب السؤال ، وسأقول له : « تكلم على نحو أحسن من هذا يا صاحبى : انه لن يكاد يكون هناك شىء تقى اذا لم تكن (هـ) التقوى ذاتها تقية » وأنت ؟ ألن تجيب بنفس الاجابة ؟

فقال : بالتأكيد •

والآن اذا قال لنـا السائل : « فكيف كنتم تتحدثون اذن على نحو مغاير منذ قليل (١٩٤) ؟ أم أننى لم أحسن الاستماع ؟ فقد خيل الى انكما تقولان ان العلاقة بين أجزاء الفضيلة بعضها ببعض هى بحيث أن جزءا منها لا يشبه جزءا آخر » ، فانى ، اذا قال لنـا السائل هذا ، سـأقول

---

(١٩٤) انظر ٣٣٠ أ ـ ب • واظهار سائل خيالى يسأل سقراط ويجيب عليه هـذا باسـمه وباسم بروتاجوراس انما هو طريقة مهذبة لاظهار تناقض بروتاجوراس وكأن سقراط ليس هو الذى يكشف عنه • فما السائل الا سقراط نفسه •

له من جانبى : فيما يخص ما سمعت ، فانك أحسنت الاستماع ، اما أن تعتقد أننى انا الذى قلت ذلك ، فانك ستكون هنا قد أسأت الاستماع : ذلك أن بروتاجوراس (٣٣١) هذا هو الذى كان يجيب بتلك الاجابات ، أما أنا فلم افعل الا السؤال » (١٩٥) ، والآن فاذا حدث وقال هذا السائل: « هل حق ما يقوله سقراط هذا يا بروتاجوراس ؟ هل أنت تقول بأن جزءا من أجزاء الفضيلة لا يشبه أى جزء آخر ؟ هل هذا القول قولك ؟ » فبماذا ستجيب عليه ؟

فقال بروتاجوراس : ينبغى أن أجيبه بالايجاب يا سقراط .

— وبماذا اذن ستجيب عليه يا بروتاجوراس اذا سألنا بعد أن نكون قد وافقناه هكذا وقال : « فهل لن يمكن للتقوى اذن أن تكون شيئاً عادلا ، ولن يمكن للعدالة أن تكون تقية بل سيمكن لها أن تكون غير تقية ، وأن التقوى من جهتها يمكن ألا تكون عادلة بل أن تكون ظالمة ، (ب) وأن تكون العدالة غير تقية ؟ » بماذا سنجيبه ؟ فيما يخصنى فانى سأقول له أنا ان العدالة تقية وان التقوى عادلة ، وفيما يخصك أنت ، اذا سمحت لى بذلك ، فانى سأجيب نفس الاجابة : انه ما من شك أن العدالة هى نفس الشىء كالتقوى ، أو أنها أقرب ما تكون اليها ، وانه يقينى كل اليقين ان العدالة تشبه التقوى وأن التقوى تشبه العدالة . أو أنظر ان كنت لن تدعنى أجيب هكذا ام كنت تتفق معى على ذلك .

فرد قائلا ، ان الأمر ليس بهذه البساطة فى رأيى يا سقراط (جـ) بحيث يمكن أن أتفق معك على أن العدالة تقية وان التقوى عادلة . بل يبدو لى ان هناك شيئا من الاختلاف بينهما . ثم استطرد : ولكن أى

---

(١٩٥) هذا هو الدور الذى ينسبه سقراط الى نفسه فقط ، أما المسئول عن الاجابة فهو المتحدث معه . قارن «مينون» ، ٨٢ أ ، ٨٤ جـ — د .

فرق هنـــاك ؟ فلنعتبر ، اذا شـئت ، أن العـــدالة تقيـــة وأن التقوى عادلة (١٩٦) .

فرددت عليه : ليس أنا من يفعـــل ذلك ! فأنا لا أرغب أن نضـــع موضع الفحص « اذا شئت » أو « اذا كان هذا يبدو لك » ، وانما أن تكون أنا وأنت موضع الفحص . وانى اذ أقول « أنا وانت » فانى أعنى اننا (د) سنفحص المشـــكلة أحســـن فحص اذا نحن أبعدنا عنها هـــذه الـ « اذا » (١٩٧) .

فقال : ولكن الواقع أن العدالة على تشابه مع التقوى ، فأى شيء يشبه دائما على نحو ما أى شيء آخر ، فالأبيض يشبه الأسود على وجه من الوجوه ، والصلب يشبه اللين وهكذا مع الأشياء التى تبدو أضدادا مع بعضـــها البعض . وهذه الأشـــياء التى قلنا من قبل ان لهـــا وظائف مختلفة وأنها لا تشبه بعضها الآخر ، أقصد أجزاء الوجه ، هذه الأشياء متشابهة رغم هذا على نحو ما وأن كلا منها كالآخر . وهكذا فانه يمكن على هذه الطريقة ، (هـ) اذا شاء المرء ، أن يبرهن على أن كل الأشياء متشابهة مع بعضها البعض . ومع ذلك فانه لن يكون من المشروع تسمية الأشياء التى بينها بعض التشابه بالمتشابهة ، ولا الأشياء التى بينها بعض الاختلاف بالمختلفة ، وذلك مهما تكن ضآلة التشابه فيما بينها (١٩٨) .

---

(١٩٦) بروتاجوراس ، بعد أن شعر بالصعوبة التى اورطته فيها اسـئلة سقراط ، يريد أن يجارى سقراط متظاهرا بأن الامر سيان : ان تكون العـــدالة تقيـــة او غير تقيـــة .

(١٩٧) هدف سقراط ليس الوصول الى نتائج تقوم على افتراضات ، بـــل الوصول الى الحقيقة . حول الفحص الذاتى ، انظر ١٣٤٨ ، ١٣٥٢ أ.

(١٩٨) هـــذا نموذج لخطبـــة سفسطائية « ماهـــــرة » . لاحظ أن موقف بروتاجوراس يتضمن رفضا ضمنيا لمبـــدأ الذاتيـــة . ولا ريب أن مثل هذا الموقف كان مما يعتمد عليـــه الخطبـــــاء فى المحاكم وفى المحافل السياسية من أجل اثبات أو دحض أية قضية .

ولقد أصابتنى الدهشــة مما قال وقلت له : اذن فالأمر عندك بلغ حد أن العلاقة بين العدالة والتقوى ليست الا وجود شبه ضئيل بينهما ؟

فقال : ليس كذلك تماما ، (٣٣٢) ولكنه مع ذلك ليس أيضا ما يبدو أنك تعتقد (١٩٩) .

فرددت عليه : حسنا ، ما دامت هذه المناقشة لم تعد مما يروق لك ، فلندعها ، ولنفحص معا هذه النقطة الأخرى التى جاءت فى حديثك (٢٠٠) . هل هناك شىء تسميه بالجنون (٢٠١) .

— نعم .

— وهذا الشىء أليس الضد تماما للحكمة ؟

فقال : أعتقد هذا .

— وحينما يسير البشر فى سلوكهم على الحق والفائدة (٢٠٢) ، هل تعتقد أنهم يسيرون على التعقل حينما يسلكون كذلك ، أم حينما يسلكون على النحو المضاد ؟

فقال : هم يسيرون على التعقل .

---

(١٩٩) وهــذه اجابة غامضة من بروتاجوراس الذى بدأ ضيقه بالمناقشــة يزداد ، فيأخذ فى المراوغة وفى التهرب من الردود الواضحة الحاسمة .

(٢٠٠) نلاحظ ان سقراط يعالج بروتاجوراس بالرفق .

(٢٠١) aphrosunê ، وضده sôphrosunê ، وسنترجمها فى هــذا السياق « بالتعقل » ، وسقراط فى كل ما سيلى سيلعب على الصلة بين هــذه الفضيلة وفضيلة « الحكمة » (sophia) . وراجــع ٣٣٣ ا ــ ب .

(٢٠٢) لاحظ الربط بين الحق والفائدة معا .

ـ واذا كانوا (ب) يسيرون على التعقل فان ذلك يكون بالتعقل (٢٠٣) ؟

ـ بالضرورة .

ـ ولكن هؤلاء الذين لا يسلكون على الحق يسلكون على نحو غير حكيم ، وهم ليسوا متعقلين حينما يسلكون هكذا ؟

فقال : أنا متفق معك .

ـ اذن فضد السلوك على جنون هو السلوك بتعقل ؟

ـ نعم .

ـ وأليس من يسلك سلوكا مجنونا يسلك بجنون ؟ ومن يسلك سلوكا حكيما ، يسلك بحكمة ؟

فوافق على هذا .

ـ واذا كان هناك فعل فعل بقوة ، ألن يكون قد فعل فعلا قويا ؟ واذا كان قد فعل بضعف فسيكون قد فعل فعلا ضعيفا ؟

فكان هذا رأيه .

ـ واذا كان هناك ما قد فعل بسرعة فسريعا ، أو ببطء (جـ) فبطيئا ؟

ـ نعم .

ـ واذا فعل شيء على نفس النحو ، ألن يكون قد فعل على نفس المبدأ ، واذا فعل على نحو مضاد فعلى مبدأ مضاد ؟

---

(٢٠٣) لاحظ من قبل فى ٣٣٠ جـ أن سقراط ينظر الى القيم الأخلاقية على أنها « أشياء » أو « ذوات » ، راجع هامش ١٩٢ .

فوافق على هذا .

— والآن فلننظر : هل هناك شيء هو الجمال ؟

— فوافق على هذا .

— وهل له من ضد غير القبيح ؟

— كلا .

— كيف ؟ وهل هناك شيء هو الخير ؟

— نعم .

— وهل له من ضد غير الشر ؟

— كلا .

— كيف ؟ وهل هناك شيء هو الحاد بين الأصوات ؟ فوافق .

— وهل له من ضد غير الغليظ ؟ فقال أن لا .

— واستطرد : اذن فكل ضد له ضد واحد (٢٠٤) وليس أضدادا كثيرة ؟ فوافق على هذا .

(د) ثم استطردت : والآن هيا نحسب معا نقاط الاتفاق بيننا . ألم نتفق على أن هناك لكل ضد ضد واحد وليس أضدادا كثيرة ؟

— لقد اتفقنا على هذا .

— كما اتفقنا على أن الأفعال المتضادة تقوم على مبادىء متضادة ؟

---

(٢٠٤) هـذا هو المبدأ الذى يهدف الى اثباته سقراط من كل ما سبق ، وفيه تأكيد لمبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض ضمنا . وبرهنة سقراط السابقة تلعب احيانا على الالفـاظ ومعانيها ، ومن الصعب ادراك ذلك الا بالرجوع الى الأصل اليونانى .

— نعم •

— وكذلك اتفقنا على أن الفعل المفعول بطريقةمجنونة مفعول على نحو مضاد لمـا هو مفعول بتعقل ؟

— نعم •

— وعلى أن ما فعل على نحو متعقل فقد فعل بتعقل ، وما فعل على نحو مجنون فقد فعل بجنون ؟

(هـ) فوافق علىهذا •

— اذن فاذا كانت هناك أفعال متضـادة فانها ستكون قائمة على مبادىء متضادة ؟

— نعم •

— ولكن هناك ما فعل على أساس من التعقل وهناك ما فعل على أساس من الجنون ؟

— يبدو هذا •

— والآن ، هل تتذكر أنه تم الاتفاق بيننا فيما سبق على أن الجنون هو ضد الحكمة (sophia) ؟ فوافق على هذا •

— وعلى أن للضد ضداً واحداً ؟

(٣٣٣) — قلنا بهذا •

— اذن فأى القولين يا بروتاجوراس سنحل أنفسنا منه ؟ هل هو قولنا أن للضد ضد واحد ؟ أم هذا القول الآخر الذى قيل فيه أن التعقل مختلف عن الحكمة (٢٠٤ مكرر) ، وان كليهما جزء من الفضـيلة ، وانهما

(٢٠٤ مكرر) انظر ٣٣٠ أ — ب •

باعتبارهما متغايران فانهما غير متشابهين لا فى ذاتهما ولا فى وظائفهما ، كما هــو الحال مع أجزاء الوجه ؟ من أى من هــذين القولين سنحل أنفسنا ؟ ذلك أنه لن يكون هناك اتساق فى القول بهما معا ، حيث انهما لا يتوافقان ولا ينسجمان مع بعضــهما . وكيف يمكن لهما ان يتوافقا اذا كان من الضرورى (ب) أن يكون للضــد ضد واحد وليس أضداداً متعددة ، واذا كان من الواضح أن الجنون شىء واحد وان له الحكمــة وكذلك التعقــل كضــد ؟ وقلت لبروتاجوراس : هــل الأمر كذلك يا بروتاجوراس أم ليس كذلك ؟

فوافق على هذا وان يكن على مضض .

اذن فهل سيكون التعقل والحكمة شيئا واحدا ؟ ومن جهة أخرى فقد ظهر لنــا من قبل أن العدلة والتقوى يكاد أن تكونا نفس الشىء . واستطردت : فهيا بنا اذن يا بروتاجوراس ، لا يجب علينا أن يصــيبنا الارهاق (٢٠٥) ، بل علينا أن نفحص ما يتبقى فحصــا دقيقا . هل تعتبر (جـ) الرجــل الظالم متعقلا (sophroncin) من حيث هو مرتكب للظلم ؟

فرد قائلا : سيكون من العار على يا سقراط أن أوافق على هــذا ، ولكن هناك بين البشر كثيرين يقولون بهذا (٢٠٦) .

فسألته : فالى من سأتوجه اذن بالكلام : الى هؤلاء أم اليك ؟

فقال : ان شئت فابدأ بمناقشة قضية هذه الكثرة .

---

(٢٠٥) هذه هى لحظة التشجيع فى الحوار السقراطى ، قارن «أوطيفرون» ، ١٢ أ .

(٢٠٦) بروتاجوراس يريد ان يتهرب ، ويريد الا يعلق رأيه الحقيقى فيحاول أن يختفى وراء الآخرين وفى حمايتهم . انظر فوق ، هامش ٢٨ . وحول من يقول بذلك الرأى ، انظــر « جورجياس » ، ٤٦٩ ب ، « الجمهورية » ، ٣٤٨ ب .

ـ ولكن الأمر عندى ســـواء ، ولكن على شريطة أن تكون أنت الذى يجيب[٢٠٧] ، ســـواء أكان هـــذا هو رأيك أو لم يكن • ذلك أن الذى أفحصه أنا فى المحل الأول أنما هو القضية موضع النظر [٢٠٨] ، ولكنه قد يحدث مع ذلك أن نكون نحن أنفسنا ، أنا الذى اسأل وانت الذى يجيب ، موضع الفحص[٢٠٩] •

(د) وقـد أخـذ بروتاجوراس فى التمنع متعللا بأن الأمر صعب ، ولكنه وافق مع ذلك بعد هـذا على الاجابة • وقلت له : فهيا اذن الى نقطة البداية وأجبنى : هل تعتقد أنه متعقل ذلك الذى يرتكب الظلم ؟

فقال : فليكن هذا •

فقلت : ولكنك تسـمى التعقل (sôphronein) حسن التفكير (phronein) ؟

ـ نعم •

ـ وتسمى حسن التفكير حسن التشاور والتدبر فيما يرتكب المرء من ظلم ؟

فقال : فليكن هذا •

فرجعت أقول : وهل ذلك حينما ينجح المرء فى عمل الظلم أم حين يفشـل ؟

ـ حين ينجح •

---

(٢٠٧) انظر فوق ، ٣٣١ جـ ـ د ، وهامش ١٩٧ .

(٢٠٨) هـذا مبدأ منهجى هام : سقراط يفحص الموضوع ذاته ، فمنهجه منهج « موضوعى » (فيما يقول) . راجع ٣٣١ جـ ـ د .

(٢٠٩) ربما كان المقصود من ذلك : اينا هو على **الحقيقة** . وراجع المرجع المذكور فى الهامش السابق .

ـــ وعلى هذا فأنت تقول بأن هناك أشياء طيبة ؟(٢١٠) •

ـــ أنا أقول بهذا •

وعدت أسأله : والآن ، فهل هـــذه الأشـــياء الطيبة هى ما كانت مفيدة للبشر ؟

(هـ) فرد قائلا : نعم وحق زيوس ، ولكن حتى اذا لم تكن مفيـــدة للبشر فانى أعتبرها طيبة •

وبدا لى أن بروتاجوراس بدأ يهتـــــاج بالفعـــل ويقلق ويتجنب الاجابة • حينما رأيته على هذه الحال أخذت فى سؤاله فى لطف وقلت : هل تقصـــد بهـــذا يا (٣٣٤) بروتاجوراس أشـــياء ليست نافعة للبشر ، أم أشياء لا نفع لهـــا على الاطلاق ؟ وهـــذه الأشياء الأخيرة هل تسميها طيبـــة ؟

فقال : أبدا ، فأنا أعرف أن هنـــاك اشياء كثيرة مضرة للبشر : من مأكولات ومشروبات وعقاقير وعديد غيرها ، وأن هناك من جانب آخر أشياء أخرى مفيدة لهم • وهناك أيضا أشياء لا هى مضرة ولا هى مفيدة للبشر ، ولكنها قد تكون هذا أو ذاك للخيل ، وأشياء أخرى هى هكذا أو هكذا للبقر وحـــده ، وغيرها للكلاب وحدها • وهنـــاك أيضا ما هو غير مفيد أو غير مضر للحيوان ، ولكنه هذا أو ذاك للشجر ، وفى هـــذه الحالة فان هنـــاك ما هو طيب لجـــذور الشجرة ولكنه مضر للأغصـــان الصغيرة ، وعلى سبيل المثال فان السبخ (ب) طيب لجميع الجـــذور اذا ما عولجت به ، ولكنه اذا أريد أن يضاف الى الفرع المستنبت أو الأغصان الصغيرة فانها تفسد كلهـــا • وكذلك الزيت أيضا فهـــو مضر كل الضرر بسائر أنواع النبات وهو عدو الشعر الأكبر عند كل الحيوانات ما عـــدا

---

(٢١٠) اى خيرات . ونلاحظ ان النقاش يرتفع احيانا من مسالة الفضيلة الى مسالة الخير والشر •

شعر الانسان ، فهو مصح له ولبقية أعضاء جسـمه • وهكذا فان الطيب يتنوع ويتعدد الى حد أن ما هو مفيد للأجزاء الخارجية من (جـ) جسم الانسان قد يكون هو نفسه عظيم الضرر للأجزاء الداخلية منه ، ولهـذا فان الأطباء يحرمون على كل المرضى استعمال الزيت الا بأقل مقدار ممكن فيما يأكلون ، ولا يسمحون به الا للحـد من حـدة التقزز الذى تسببه المأكولات والمطبوخات لحاسة الشم(٢١١) •

وعندما أتم بروتاجوراس خطبته هذه ارتفعت أصـوات الحاضرين مهللة لجمـال كلمته أما أنا فقلت : انى يا بروتاجوراس رجل ضـعيفه الذاكرة(٢١٢) ، اذا تحدث شخص معى حديثا طويلا ، (د) أجدنى أنسى موضوع الحديث • ولو كنت أصما فلعلك كنت سترى ، اذا كنت سترغب فى أن تقول لى شيئا،كنت سترى أن عليك أن ترفع الصوت معى اكثر مما تفعـل مع الآخرين ، وكذلك الآن : فما دمت وقعت على رجل ضـعيفه الذاكرة فاجمع لى اجاباتك واجعلها قصيرة ، وذلك اذا شئت ان اتابعك •

فرد قائلا : وكيف تطلب منى أن أجيبك باجابات قصيرة ؟ هل يجب على أن أقصرها أكثر مما يجب ؟

فقلت : كلا على الاطلاق •

فقال : أم أن تكون على ما يجب ؟

(هـ) فأجبت : نعم •

— والآن : فهل سأجيبك بحسب ما يبدو لى أنه واجب أن تكون،

---

(٢١١) خطبة بارعة أخرى ، وهذه تبين اتساع علم السفسطائى الذى يمتد من فن الكلمة الى التربية الى السياسة حتى الطب والزراعة والطبخ.

(٢١٢) هكذا يدعى سقراط ، والواقع غير ذلك . انظر ٣٣٦ د .

الاجابة عليه ، أم بحسب ما يبدو لك ؟[٢١٣] .

فرددت قائلا : لقد سمعت أنك قادر أنت نفسك (بل وأنك تعلم هذا للآخرين) على أن تتكلم طويلا ، ان أنت شئت ، حول نفس الموضوعات ، الى حد أنه لا تعوزك الكلمة أبدا ، وأنك قادر على ان تتكلم حولها ايضا باختصار (٣٣٥) الى درجة ان احدا لا يستطيع الكلام حولها باختصار اكثر . فاذا شئت اذن ان تتناقش معى ، فاستخدم المنهج الثانى ، منهج العبارة القصيرة .

فقال : يا سقراط ، لقد دخلت فى حياتى معارك كلامية كثيرة مع العديد من الناس ، ولو كنت فعلت هذا الذى تطلبه أنت الآن ، أى أن اتناقش على الطريقة التى يرغب الخصم ان اتبعها فى النقاش ، اذن لما ظهرت على احد ولما علا اسم بروتاجوراس بين اليونان[٢١٤] .

اما انا ، وقد ادركت انه نفسه لم يكن راضيا عن (ب) اجاباته السابقة[٢١٥] وانه لن يقبل عن طيب خاطر ان يقوم بدور المجيب فى المناقشة ، فقد رأيت انه لم يعد لى عمل أشارك به فى هذه الجلسة ، فقلت : ولا انا اريد يا بروتاجوراس ان اصر على ان تسير مناقشتنا على نحو لا يعجبك ، ولكن حينما يحدث ان ترغب انت فى قيام نقاش بيننا استطيع فيه أن اتابعك ، عند ذلك فانى سأتحاور معك . فالحق انك ،

---

(٢١٣) وربما يكون فى هذا تذكرة بمذهب بروتاجوراس الشهير : « الانسان مقياس كل شىء » ، وبحسبه فالوجود وجود بحسب ما يبدو لى ، وقد يكون لا وجودا بحسب ما يبدو لك .

(٢١٤) وهكذا فان هدف بروتاجوراس انما هو اعلاء كلمته ورأيه بأية وسيلة يراها مناسبة لذلك .

(٢١٥) وهكذا يصل بروتاجوراس الى لحظة « العجز » الكامل (aporia). قارن « أوطيفرون » ، ١١ ب — د ، « مينون » ٧٩ هـ وما بعدها ، حيث نجد ثورة مشابهة لثورة بروتاجوراس هنا . وسوف يلاحظ القارىء اننا وصلنا هنا الى منتصف المحاورة من حيث عدد الصفحات .

كما يقول الناس عنك وكما تقول انت عن نفسك ، قادر على السواء على المناقشة باستخدام الخطبة الطويلة وباستخدام الكلمة القصيرة ، (جـ) وذلك لأنك رجل عالم ، اما انا فانى غير قادر على المناقشة بالخطب الطويلة وذلك مهما تكن رغبتى فى ان اكون كذلك . فكان يجب عليك ، وانت القادر على الاثنتين ، ان تلبى رغبتنا وذلك حتى يمكن للمناقشة ان تستمر . ولكن مادمت غير راغب الآن ، ولأن هناك امرا على ان أقضيه ، ولأنه لن يكون فى استطاعتى ان ابقى الى جانبك وانت تمد فى خطبك الطويلة ، ولما كان ينبغى على فى الواقع ان اذهب الى احد الأمكنة[٢١٦] ، فانى ذاهب ، وذلك رغم انه كان من المحتمل أن استمع اليك فى خطبك هـذه .

وبينما كنت أقول هذا أخذت أقوم لأرحل . وما كدت اقوم حتى امسك كالياس يدى بيده اليمنى ، (د) وقبض باليسرى على معطفى هذا وقال : اننا لن نتركك تذهب يا سقراط ، لأنك لو خرجت فلن يسير حديثنا على نفس النحو ، فأرجوك اذن ان تبقى معنا : فلن يكون هناك ما هو امتع عندى من الاستماع اليك والى بروتاجوراس وأنتما تتحاوران[٢١٧] . فامنن علينا بهذا الفضل .

فقلت ، بينما كنت قائما بالفعل لأخرج : يا بن هيبونيكوس ، لطالما اعجبت بحبك للمعرفة[٢١٨] ، (هـ) وانى لأمتدحه الآن كذلك واعجب به الى درجة اننى كنت أود لو استطعت الاستجابة لرغبتك ، لو كان ما تطلب فى مقدورى . ولكن كأنك تطلب منى ان اجارى بطل الجرى كريسون

---

(٢١٦) هكذا يتحجج سقراط احيانا لانهاء بعض المناقشات .

(٢١٧) وهذا يعنى ان سقراط كانت له مكانة عالية فى الحياة الفكرية حتى ليوضع جنبا الى جنب مع بروتاجورس اشهر علماء العصر .

(٢١٨) philosophia . وسيجد القارىء تعليقا مفيدا حول هذا الاصطلاح عند Adam ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

من هيميرا وهو فى اوج قوته او ان اناقش احـد ابطال الجرى الطويل او القصـير وان اجاريه • (٣٣٦) وكنت سأجيبك ، لو كنت طلبت منى هذا ، بأننى كنت اود انا نفسى بل واكثر منك ان اتابع هؤلاء فى الجرى ، ولكنى غـير قادر على دلك • اما اذا كنت تريد ان ترانا جنبا الى جنب انا وكريسون ، فان عليك ان تطلب منه هو ان ينزل الى مستواى : فأنا من جهتى لا استطيع الجرى السريع ، اما هو فانه قادر على الجرى ببطء• وهكذا فاذا كنت ترغب ان تسـتمع الى والى بروتاجوراس ، فيجب ان تطلب منه ان يجيبنى كما كان يفعل عند البدء ، اى باختصار وبالضبط على ما اسأل فقط ، وهكذا الآن ايضـا فى اجاباته • (ب) والا ، فماذا سيكون شكل حوارنا ؟ ذلك اننى اعتقد دائما ان الاجتماع للتحاور بين اشـخاص شىء والقـاء الخطب كما يفعل الخطبـاء أمام الشعب شىء آخـر[٢١٩] •

فرد كالياس : ولكن ألا ترى يا سقراط أن بروتاجوراس يبدو على حق فيمـا يقول حين يطالب بأن يتنـاقش على النحو الذى يريد وانت ايضا على النحو الذى تريد[٢٢٠] •

هنا تدخل ألقبيادس وقال : أنت لم تحسن القول يا كالياس • ان سقراط يعترف بأنه لا يستطيع متابعة الخطب الطويلة وانه فى هـذا أقل من بروتاجوراس ، أما بخصوص القـدرة على الحوار المتبادل (جـ) واعطاء البرهان واستقباله ، فانى سأدهش ان كان يقل عن احد بين البشر

---

(٢١٩) الحوار شىء والخطب شىء آخر • انظر مقدمتنا فى حديثنا عن المنهج •

(٢٢٠) كالياس هو رب البيت ، وهو ايضا تلميذ السفسطائيين ، ويبدو هنا ميالا الى بروتاجوراس • ولكن هل هذا هو ما طالب به بروتاجوراس فى ٣٣٥ ا ؟ حول قراءات مختلفـة لهذا النص ، راجع Adam ص ١٥٤ ، و Taylor ، ص ١٣٦ •

في ذلك(٢٢١) • فاذا شاء بروتاجوراس اذن ان يعترف انه اقل من سقراط قدرا في الحوار ، فيكفي سقراط هذا • اما اذا اراد منافسته فليحاوره عن طريق الأسئلة والأجوبة ، وذلك بغير أن تمتد اجاباته على كل سؤال الى خطبة طويلة ، وبغير أن يتهرب من الرد على الحجج ويرفض (د) اعطاء البرهان ، وذلك بأن يطيل ويطيل حتى تنسى غالبية المستمعين موضوع السؤال ماذا كان ، أما سقراط فأنا ضامن انه من جانبه لن ينسى ماذا كان موضوع السؤال ، رغم تدلله بقوله انه لا ذاكرة له (٢٢١ مكرر) • فاعتقادي اذن ، مادام من الواجب على كل شخص ان يكشف عن رأيه ، هو أن سقراط محق تماما فيما قال •

وبعد ألقبيادس تكلم ، فيما أعتقد ، كريتياس فقال : يبدو لي ، يا بروديقوس وانت يا هبياس ، ان كالياس يأخذ (هـ) جانب بروتاجوراس كلية ؛ اما ألقبيادس فانه دائما يريد انتصار ما يميل اليه ايا ما كان • اما نحن،فانه لا يجب علينا أن ننحاز لا الى سقراط ولا الى بروتاجوراس، بل علينا ان نشترك في مطالبتهما معا ألا يهجرا المناقشة وهي في وسطها•

(٣٣٧) بعد ان تحدث كريتياس هكذا قال بروديقوس : اني اعتقد يا كريتياس انك على حق • ذلك انه يجب على من يحضر امثال هذه المناقشات ان يعطي المتحاورين اذنا مشتركة ولكن ليس عليه ان يستمع اليهما بنفس الأذن ، فليس الشيئان واحدا(٢٢٢) • فيجب بالفعل ان نستمع الى كليهما معا ولكن ليس ان نعطي كلا منهما اهتماما مساويا ، بل يجب ان نعطي صاحب العلم الأوفر اكثر واقل الى الأجهل • فأنا نفسي اذن ،

---

(٢٢١) كان المهم في مجالس « مثقفي » أهل العصر اظهار من هو الاقوى ومن هو الأضعف ، انظر ٣٣٨ جـ •

(٢٢١ مكرر) راجع ٣٣٤ جـ •

(٢٢٢) يظهر بروديقوس السفسطائي الشهير في خطبته هذه تملكه لفن التخصيص ، اي التمييز بين المتشابه من الكلمات .

ايا بروتاجوراس وانت يا سقراط ، اطلب منكما ان تتفقا على ان تتصارعا معا حول المسائل المعروضة (ب) ولكن ليس ان تتعارکا ، فالصراع مع حسن النية هو ما يفعله الأصدقاء مع الأصدقاء ، اما العراك فهـو شأن الخصـوم والأعداء فيما بينهم • وبهـذا يبلغ اجتماعنـا أقصى درجات الجمال • ذلك اننا هكذا ، نحن المستمعين ، سنكن لكما انتما المتحدثان اعظم تقـدير ولكن ليس اعظم مديح : ذلك ان التقـدير يقع فى نفوس المستمعين ومن غير غش ، اما المديح فيظهر على اللسان وكثيرا ما يكون كذبا وعلى خلاف ما يبطن المـرء (جـ) كذلك فاننـا من جانبنـا ، نحن المستمعين ، سنحس بالسعادة وليس بالمتعة : ذلك ان الاحساس بالسعادة يكون لمن يتعلم شيئا ويشارك فى التفكير وذلك بوسـيلة العقل ذاته ، اما الاحساس بالمتعة فهـو لمن يأكل شـيئا او لمن يحس احساسا لذيذا بوسيلة الجسد وحده •

وقد لقيت هذه الكلمات من بروديقوس استحسان عدد كبير من الحاضرين • وبعد بروديقوس تحدث هيباس العالم فقال : أيها الحاضرون هنا ، انى اعتبر الكم جميعا من دم واحد ومن عائلة واحـدة ومن وطن واحد ، (د) ليس بحسب القانون بل بحسب الطبيعة • لأن المشابه من دم واحد بالطبيعة كالمشابه له ، ولكن القانون ، ذلك الطاغية فوق البشر ، يفرض بارادته كثيرا من الأشياء رغم الطبيعة(٢٢٣) • ولهذا فانه سيكون من العار علينا ، ونحن من يعرف طبيعة الأشياء ومن هم أعلم النـاس بين اليونان(٢٢٤) ، والذين بهـذا الاعتبار ذاته نجتمع اليـوم فى مكان هو بروتانيا(٢٢٥) الحكمة ذاتها فى بلاد اليونان وفى هـذا البيت(٢٢٦) الذى

---

(٢٢٣) نلاحظ هنا تمييز السفسطائيين بين القانون والطبيعـة ، وتفضيل الثانية على الأول •

(٢٢٤) هيباس يدخل سقراط ، هكذا ، فيما يبدو ، فى زمرة «أعلم العلماء» •

(٢٢٥) يقصد « معقل » المعرفة ، والاشارة الى بعض التنظيمات السياسية فى اثينـا •

(٢٢٦) وهو بيت كالياس •

هو اعظم بيوت هذه المدينة واثراها ، سيكون من العـار علينا الا ننتج شيئا (هـ) جديرا بهذه الجدارة ، بل ان نتعارك مع بعضنا البعض كحال اقل الناس قيمة. لهذا اذن فاني اطلب منكما وانصحكما ، ايا بروتاجوراس وانت يا سـقراط ، ان تتلاقيا فيما بينكما وكأننـا محكمون يقربانكما (٣٣٨) نحو موقف وسط : فعليك انت يا سـقراط الا تبحث عن ذلك الشـكل الدقيق للحـوار وهو المختصر كثـيرا وذلك اذا هـو لم يرق لبروتاجوراس ، بل دع الكلمات تأخذ طريقها واطلق لها العنان ، وذلك من اجل ان تبدو لنا تلك الكلمات أفخم واجمل ، اما أنت يا بروتاجوراس فلا تطلق من ناحيتك حبالك على الغـارب حتى تحملك الرياح المواتية فتهرب الى اعالى بحر البلاغة حتى لتغيب عن ناظريك الأرض ، بل هيئـا لكما طريقا وسـطا فيما بينكما . افعلا اذن هكذا واختارا ، لو اقتنعتما برأيي ، قاضيا حكما أو رئيسا وهو الذى سيكون لكما (ب) الحارس على الوسط الذهبى لطول كلام كل منكما .

وقد لاقى هذا اعجاب الحاضرين وامتدحوه جميعهم ، وقال كالياس انه لن يدعنى اذهب ، وطلبوا ان اختار رئيسا ، فقلت انه سيكون مخجلا اختيار حـكم للمناقشة ، فأحد شـيئين : اما ان يكون من سنختاره اقل منا ، وهنا لن يكن من المشروع ان يراس الأدنى من يفضلونه ، واما انه سيكون مثلنا ، ولن تكون رئاسته هكذا مشروعة حيث ان المماثل سيفعل كما تفعل ، وسيكون اختياره هكذا (جـ) امرا لا تدعو اليـه حاجة . ولكنكم تريدون اختيار واحد يكون افضل منـا : اما الحقيقة ، بحسب ما اعتقـد ، فانكم لن تستطيعون اختيـار من يكون احكم واعـلم من بروتاجوراس . ومن جهـة اخرى فانكم اذا اخترتم احـدا لا يفوقه ، ولكنكم ستقولون انه كذلك ، فان هذا سيكون عيبا فى حقه وكأنه رجل من العامة يحتاج الى ان تختاروا له رئيسا . اما فيما يخصـنى فان الأمر عندى سواء . ولكن ها هو ما اود ان نفعل حتى يستمر هـذا الاجتماع والحوار بيننا ، وهو ما تهتمون به ايمـا اهتمام : اذا كان بروتاجوراس لا يرغب (د) فى ان يكون هو المجيب فليسـأل هو ، اما انا فسأجيب

وسأحاول فى الوقت ذاته ان اريه كيف اتصور انا ما يجب ان تكون عليه الاجابة عندما يكون المرء فى دور المجيب • وبعدما اكون قد اجبت على كل الأسئلة التى يشاء فان عليه بدوره ان يبادلنى الاجابة كما فعلت • فاذا لم يبد عند ذاك حماسا فى الاجابة على الأسئلة ، فانى وانتم معا سنطلب منه نفس ما طلبتموه منى ، الا وهو الا يقطع حبل الاجتماع[٢٢٧] • (هـ) وللقيام بهذا فلا حاجة لوجود شخص رئيس ، بل سترأسون أنتم جميعا معا الاجتماع •

وقد راى الجميع ان يجرى الأمر هكذا • اما بروتاجوراس فلم يكن هذا مما يوافق هواه ، الا انه اجبر على الموافقة بحيث يقوم هو بالسؤال وبعد ان يكون قد سأل بما فيه الكفاية فان عليه ان يقدم بدوره الردود وذلك فى اجابات قصيرة •

وقد بدأ بروتاجوراس أسئلته على النحو التالى على التقريب[٢٢٨] ، قائلا : انى اعتقد يا سقراط ان التعمق فى معرفة الشعر يشكل القسم الأكبر من ثقافة الشخص (٣٣٩) ويعنى هذا ان يكون المرء قادرا على فهم ما احسن الشعراء قوله بين اشعارهم ومالم يحسنوه وان يعرف كيف يميز بين هذا وذاك وان يقدم الحجج على ذلك حينما يسأل • وهكذا فان سؤالى الآن سيكون موضوعه تلك المسألة التى كنا نتناقش بشأنها منذ قليل ، الا وهى مسألة الفضيلة ، ولكن مع نقلها الى ميدان الشعر ، وسيكون هذا هو الفرق الوحيد •

---

(٢٢٧) انظر ٣٤٨ أ — ج •

(٢٢٨) قد يمكن أن نستنتج من تعبير « على التقريب » أن أفلاطون يشير به الى أن ما يضعه على لسان بروتاجوراس ، هنا على الأقل ، ليس مما كان يقول به بروتاجوراس الشخصية التاريخية فعلا وعلى هذا النحو •

يقول سيمونيديس فى موضع ما متوجها الى سكوباس ابن كوبون من تساليا :

(ب) « صعب ان تصـير رجلا مبرزا(٢٢٩) فى الحق : متين الأركان يدا وقدما وعقلا ، كاملا من غير نقص » •

هل تعرف هذه الأغنية ، ام أنشدها عليك كاملة ؟

فقلت له : لا حاجة الى هذا ، فأنا اعرفها ، وقد حدث ان اشـتغلت بالنظر فى هذه الأغنية وبعناية(٢٣٠) •

فقال : حسن • وهل يبدو لك ان الشـاعر قـد احسن فى قوله واصاب الحق ؟

فأجبت : تماما ، أحسن واصاب •

ــ ولكن هل تعتبر ان الشاعر يحسن حينما يناقض نفسه بنفسه ؟

فقلت : كلا •

فقال : اذن فانظر فيما قال نظرة (جـ) ادق •

ــ لقد فحصته ، ايها العزيز ، بما فيه الكفاية •

فقال : فأنت تعلم اذن انه يضيف فى مكان ما من القصيدة :

« ولا كلمة بتاكوس(٢٣١) تبدو لى صوابا ، رغم انهـا من فم

---

(٢٢٩) agathon ، ويمكن أن نترجمها « بالفاضل » .

(٢٣٠) سقراط على معرفة بكل شيء ، ومن الطبيعى أن يعرف قصـائد الشعراء ، وخاصة سيمونيديس الذى كان يتميز باتساع معارفه ، وذلك بعـد ما عرفنا من أهمية الشعر فى الثقافة اليونانية فى ذلك العصر (٣٣٨ هـ — ٣٣٩ أ) .

(٢٣١) رجل تشريع وسياسة وحكمة ، من مدينة ميتيلين . كان من معاصرى سولون ، وعاش حوالى ٦٥٠ — ٥٧٠ ق.م .

رجل حكيم تنطلق ، حين يقول : صعب ان تصير رجل
فضل » .

فهل تدرك ان نفس الرجل ذاته هو الذى يقول هذا وذاك الذى ذكرناه منذ لحظات ؟

— نعم ، اعى هذا .

فقال : وهل يبدو لك أن هذا يتسق مع ذاك ؟

فأجبته : نعم يبدو لى انهما متسقان (وفى نفس الوقت كنت اخشى الا يكون لموقفه هو بعض القوة)(٢٣٢) ، وانت : الا يبدو لك ذلك كذلك ؟

— وكيف يمكن (د) ان يبدو المرء متسقا مع ذاته حينما يقول بالشيئين معا ، وذلك حين يبدأ بوضع انه من الصعب ان يصير الشخص مبرزاً على الحقيقة ، وبعد ذلك بقليل فى نفس القصيدة ينسى هذا ويلوم بتاكوس الذى قال نفس الشىء مثله ، اى انه « صعب أن تصير رجل فضل » ، ويعلن انه لا يوافقه على ما كان هو نفسه قد قال ؟ ولكنه حين يلوم شخصا يقول نفس ما يقول هو ، فانه يكون واضحا انه بهذا يلوم نفسه ، وبحيث انه لا يكون مصيبا اما فى قوله الأول او فى قوله الثانى .

وقد اثارت هذه الكلمات ضجيجا ومديحا (هـ) عند كثير من المستمعين . وقد اظلم على فى بادىء الأمر ، وكأننى قد ضربت على يد ملاكم بارع ، ودارت راسى بفعل كلماته هذه وبفعل موافقة الآخرين

---

(٢٣٢) فى هذا اشارة من سقراط الى انه ليس جادا فى اجابته ، والى ما يلى هو نقاش « جدلى » وليس « فلسفيا » . انظر أيضا ٣٤١ د .

المدوية(٢٣٣) . وبعد ذلك (ولأقول لك الحقيقة(٢٣٤) ، من اجل ان امنح نفسى الوقت لأفحص ما كان الشاعر يقصد قوله) اتجهت ناحية بروديقوس وخاطبته قائلا : ايا بروديقوس ، انك من مواطنى سيمونيديس ، (٣٤٠) ويحق عليك ان تهب لنجدة الرجل ، ويبدو لى اننى بندائك افعل كما يقول هوميروس عن اسكاماندروس وقد حاصره أخيل فنادى سيموئيس قائلا :

« ايها الشقيق الحبيب ، قوة هذا الرجل علينا أن نصدها معا » .

وهكذا فانى اناديك انا ايضا ، وذلك حتى لا ينزل بروتاجوراس برجلنا سيمونيديس . وواضح ان نهوض سيمونيديس على قدميه يتطلب فنك العظيم ، وهو الذى يجعلك (ب) تعرف كيف تميز بين الارادة والرغبة وكيف انهما ليسا شيئا واحدا ، هذا الى جانب تمييزات كثيرة جميلة ذكرتها منذ لحظات . والآن فانظر ان كنت على اتفاق معى فى انه لا يبدو ان سيمونيديس يتناقض مع نفسه . فصرح لنا اذن ، يا بروديقوس ، برأيك : هل تعتقد أن « يصير » و « يكون » شيء واحد ام هما امران مختلفان ؟

فأجاب بروديقوس : بل هما مختلفان وحق زيوس .

واستطردت : وألم يصرح سيمونيديس فى الموضع الأول برأيه الخاص ، الا وهو انه من الصعب ان يصير الانسان (جـ) رجلا فاضلا ؟

فقال بروديقوس : حق ما تقول .

---

(٢٣٣) المغزى هنا ، فى رأينا ، هو نفس ما أشرنا اليه فى الهامش السابق . ولاحظ « غياب الوعى » تحت ضغط الكثرة .

(٢٣٤) وهكذا فلم تكن اجابات سقراط السابقة حول القصيدة مبنية على أساس قوى . وسنلاحظ فيما يلى أن سقراط يضع المسئولية على بروديقوس .

واستطردت : اما حينما يلوم بتاكوس ، فليس ذلك كما يعتقد بروتاجوراس لأنه قال نفس ما قال هو ، بل لقوله شيئا مختلفا ؟ ذلك ان بتاكوس لم يقل كما قال سيمونيديس : الصعب هو ان يصير المرء رجل فضل ، بل ان يكون رجل فضل . وليس هذا ، يا بروتاجوراس ، كما يقول بروديقوس ، نفس الشيء كذلك : « يكون » و « يصير » . فاذا لم يكن « يصير » و « يكون » نفس الشيء ، فان سيمونيديس لا يكون قد تناقض فى اقواله مع ذاته.وربما يقول (د) بروديقوس هذا وكثيرون غيره مع هزيود : انه من الصعب ان يصير المرء فاضلا ، « لأن الآلهة جعلت العرق امام الفضيلة ، اما حينما يصل المرء الى القمة ، فانه يصير من السهل المحافظة عليها عند ذلك ، وهى التى كانت من قبل صعبة » .

وحينما سمع بروديقوس هذا وافقنى ، اما بروتاجوراس فقال : ان تصحيحك هذا يا سقراط يحمل خطأ اعظم من ذلك الذى كنت تريد ان تصحح .

فقلت : اذن يا بروتاجوراس فأنا لم احسن عملا ، (هـ) وانى لطبيب مضحك ، حيث ان علاجى يجعل المرض يتفاقم(٢٣٥) .

فقال : وان الأمر كذلك .

فقلت : وكيف هذا ؟

---

(٢٣٥) راجع هامش ٢٣٢ .

فقال : لكم سيكون الشاعر جاهلا عظيم الجهل اذا كان يقول على هذا النحو ان اكتساب الفضيلة امر هين ، هذا على حين انه اصعب الأمور جميعا ، وهو ما يرى كل الناس •

فصحت قائلا : انه لمن حسن الحظ وحق زيوس ان بروديقوس هذا حدث وكان حاضرا مناقشتنا ، لأنه يبدو ، يا (٣٤١) بروتاجوراس ، ان علم بروديقوس علم الهى وقديم يرجع الى عهد سيمونيديس او هو اشد قدما : أما أنت ، وأنت الخبير بأشياء كثيرة ، فانه يظهر انك لست عليما به ، على غير ما بدا لى : فأنا خبير به لأننى كنت تلميذا لبروديقوس العظيم(٢٣٦) • والآن فانك لا تبدو منتبها الى ان سيمونيديس ربما لا يأخذ كلمة « صعب » هذه بالمعنى الذى تأخذها عليه • فالحال كحال كلمة « رهيب » التى يلومنى بروديقوس هذا فى كل مرة امتدحك فيها او شخصا آخر بأن اقول : « بروتاجوراس رجل عالم ورهيب » ، فيسألنى (ب) ان كنت لا اخجل من ان اسمى « رهيبة » اشياء حسنة • فهو يقول ان ما هو رهيب شيء سيء • والحق ان احدا لا يقول « ثروة رهيبة » او « سلاما رهيبا » او « صحة رهيبة » ، بل يقولون « مرضا رهيبا » و « حربا رهيبة » و « فقرا رهيبا » ، باعتبار ان الرهيب شيء سيء • وهكذا اذن فربما تكون كلمة « صعب » هى الأخرى مأخوذة عند أهل كيوس وعند سيمونيديس بمعنى « السيء » أو بمعنى آخر لا تعرفه انت • فلنسأل اذن بروديقوس ، لأن من الحق ان نسأله هو حول لغة سيمونيديس • فماذا كان سيمونيديس يقصد ، يابروديقوس ، (جـ) بكلمة « صعب » ؟

---

(٢٣٦) كثيرا ما يقول سقراط هذا (انظر « خارميديس » ١٦٣ د ، « مينون » ، ٩٦ د ، « أقراطيلوس » ، ٣٨٤ ب) ، وفيه قدر من السخرية . ولاحظ ان سقراط يعارض بروتاجوراس ببروديقوس ويختفى وراء هذا الأخير ، وسيضربهم ببعض جميعا فى النهاية (٣٥٨ أ)

فقال : كان يقصد « السيء » •

فقلت : ولهذا اذن ، يا بروديقوس ، فهو يلوم بتاكوس الذى يقول: « من الصعب أن تكون رجل فضل » ، كما لو أنه كان يسمعه يقول انه من السيء أن يكون المرء رجل فضل •

فقال بروديقوس : ولكن هل تظن يا سقراط أن سيمونيديس يقصد شيئا آخر الا هذا : أن يوبخ بتاكوس على عدم درايته بالتمييز الصحيح بين معانى الكلمات حيث أنه من لسبيوس وحيث أن لسانه درج على التكلم بلغة أجنبية ؟

فقلت : فهل تسمع اذن ، يا بروتاجوراس ، ما يقوله بروديقوس هذا ؟ (د) وهل لديك شيء تقوله معارضا له ؟

فأجاب بروتاجوراس : ما أبعدك عن الحقيقة (٢٣٧) يا بروديقوس• وانى لأعلم جيد العلم أن سيموندليس كان يقصد « بصعب » ما نقصده نحن جميعا من هذه الكلمة : فهو لا يقصد بها « السيء » بل ما ليس سهلا وما لا يخرج الا بعد جهد كبير •

فقلت : وانى لأعتقد أيضا أن هذا هو ما كان يقصده سيمونيديس ، وأن بروديقوس نفسه يدرى ذلك ، ولكنه أراد المداعبة ويبدو أنه أراد اختبار ان كنت ستكون قادرا على الدفاع عن قضيتك (٢٣٨) • أما أن سيمونيديس لم يقصد بالصعب (هـ) السيء ، فهناك دليل كبير على ذلك فيما يلى هذه العبارة مباشرة ، وذلك حين يقول :

---

(٢٣٧) أو حرفيا : « ما ابعد الامر عن ان يكون كذلك » ، أو : « ان الأمر بعيد كثيرا عن أن يكون كذلك » •

(٢٣٨) وهكذا يغير سقراط من موقفه تماما ويعترف بانه لم يكن جادا فيما سبق من مواقفه حول القصيدة ويأخذ فى عرض موقف جديد اكثر « جدية » • ولكن قارن ٣٤٧ ب — ٣٤٨ أ •

« فالاله وحده هو صاحب هذا التميز » ، فهو لا يمكن أن يقصد أنه « سيء أن تكون رجل فضـل » ، اذا كان يقول بعد ذلك ان الاله وحده هو القـادر على هذا وان هـذا التميز من نصيب الاله وحده ، والا لأصبح سيمونيديس فى نظر بروديقوس زنديقا وغير جدير بأن يكون من مواطنى مدينة كيوس . أما حول ما يبـدو لى أنه كان المعنى الذى يقصـد اليه سيمونيديس فى أغنيته ، فان هـذا هو ما أود أن اتحدث بصدده ، (٣٤٢) هذا اذا أنت شئت أن تضع تحت الاختبار قدرتى فى موضوع الشعر ، بحسب تعبيرك أنت(٢٣٩) . ولكن اذا شئت فانى مستمع اليك أنا .

فلما سمع بروتاجوراس منى هذا أجاب : بل كما تشاء أنت ياسقراط . أما بروديقوس وهبياس فقـد ألحا على أن اتكلم ، وكذلك الآخـرون أيضا .

فقلت : اذن فسأحاول أن أشرح لكم ما يبدو لى بخصوص هـذه الأغنية . الفلسفة ظهرت أقدم ما ظهرت وأعظم ما ظهرت فى كريت (ب) واسبرطة بين بلاد اليونان ، وهناك فى تلك البقاع أكبر عدد من السفسطائيين بالمقارنة مع بقاع الأرض (٢٤٠) . ولكن أهل هـذه البلاد ينكرون ذلك

---

(٢٣٩) أنظر ٣٣٨ هـ — ٣٣٩ أ .

(٢٤٠) يبدو سقراط فى هذه الخطبة منافسا لبروتاجوراس فى خطبته الطويلة (٣١٦ جـ — ٣١٨ أ) ، وكمـا رجع السفسطائى بفنه الى القدماء (٣١٦ د) فان سقراط يرجع بالفلسفة الى القدماء أيضـا ويختار كريت واسبرطه على الأخص . وفى هـذا كله لعب وجد : فلا يجب أن نرى فى حديث سقراط « تاريخا للفلسفة » لأن أهـل اسبرطه لم يتميزوا يوما بفلاسفة يذكرون ، بل كانوا أهل حرب أولا وأخيرا ، ولكن حديثه ينبهنا من جهة أخرى الى ميله وميل افلاطون من بعده الى النظم الاسبرطية . ويمكن أن نضيف أن ما يقصده « بالفلسفة » ليس هو ما سيعرف بعد ذلك بهذا الاسم بل مجرد « حب المعرفة » ، بل هو يلعب على كلمة « سفسطائى » فى اليونانية التى تدل على العالم بصفة عامة وعلى من سموا أنفسهم اصطلاحا بهذا الاسم مثل بروتاجوراس . والمعنى الأول هو الذى سنجده بعد قليل فى جـ .

ويظهرون بمظهر الجهل وذلك حتى لا يظهر للأبصـار آنهم يفوقون كل اليونان علما ، وذلك على النحو الذى تحدث عنه بروتاجوراس بشـأن السفسـطائيين • وما يريدون أن يظهـروا مبرزين فيه هـو فن الحرب والشـجاعة ، معتقدين أنه لو عرف مصدر تفوقهم اذن لاندفع الجميع الى التمرس به ، أى بالعـلم • ولكن الحق أنهم ، باخفائهم سرهم ، قـد غرروا بمن يقلدونهم فى المـدن الأخرى (٢٤١) ، والذين يقلدونهم بأن يقطعوا آذانهم (جـ) وبأن يربطوا أيديهم برباط من الجلد وبأن يعشقوا التمرينات الرياضية وبأن يرتدوا معاطف قصيرة (٢٤٢) ، وكأنه بهذا تفوق الاسبرطيون على باقى اليونان • أما الاسبرطيون فانهم حينما يريدون التحدث فى حرية مع سفسطائييهم ويكونون قد ملوا من الحديث معهم سرا ، حين ذاك يقومون بطرد الغرباء ، سواء منهم من يقلد الاسبرطيين أو من كان عندهم فى زيارة ، ويأخذون فى التحدث مع السفسطائيين فى غيبة الأغراب ، كذلك فانهم يحرمون على الشباب (د) السفر الى المدن الأخرى ، وكذلك يفعـل أهل كريت أيضـا ، وذلك خوف أن يفقـدوا ما لقنوه لهم • ومن جهة أخرى فان فى هاتين المدينتين ليس فقط رجالا بل ونساء يفخرون أشد الفخر بثقافتهم •

وتستطيعون أن تدركوا أننى على حق فى قولى هذا وأن الاسبرطيين

---

(٢٤١) نعرف أن اسبرطه اصبحت نموذجا سياسيا واجتماعيا يحتذى فى بعض المـدن اليونانيـة ، وكان هناك عادة فى كل مدينـة حزب « اسبرطى » (أى يميل الى اسبرطه) وحزب « أثينى » • وعلى سبيل المثال فان من تولوا الحكم فى أثينا بعد هزيمتهـا الحاسمة أمام اسبرطه عـام ٤٠٤ هـو الحزب « الاسـبرطى » ممثـلا فى « الطغـاة الثلاثين » •

(٢٤٢) ربما يشير هذا كله الى بعض عادات المنقطعين الى ألوان الرياضة البدنية على الطريقة الاسبرطية ، ومنها الملاكمة (وتستطيع اليوم مثلا ان تتعـرف على المـلاكم من أنفـه المكسـور) • قارن « جورجياس » ، ٥١٥ هـ •

قد تربوا أعظم تربية على الفلسفة (٢٤٣) وعلى فن الكلام ، تستطيعون أن تدركوا هـذا مما يلى • اذا اراد المرء أن يتحدث مع واحد من أسـوأ أهل اسبرطه ، فانه سيجده خلال معظم الحديث (هـ) تافها ، ولكنه بعد ذلك ، بحسب صدف الحديث ،يلقى بعبارة مليئة بالمعنى ، قصـيرة ، ومكتنزة ، وكأنه رام للرمح ماهر ، بحيث لا يبدو محدثه أفضل من طفل بالقياس اليه • وهكذا فان هناك من لاحظ ، اليوم كأمس ، أن تقليـد الاسبرطيين لا يقوم في حب التدريبات الرياضية ، بل يقوم الى حد أكبر بكثير فى حب المعرفة ، لأنهم أدركوا أن القدرة على اطلاق امثال هـذه العبارات تتطلب من الشـخص أن يكون قد تربى وتثقف على أكمـل وجه • ومن هؤلاء (٢٤٤) طاليس من ملطية وبتاكوس من ميتيلين وبيـاس من بريين وسولون مواطننا وكليوبولوس من لندوس وموسون من خينة وخيلون من اسبرطة الذى يعد سابع هؤلاء • وقد كانوا جميعا متحمسين لثقافة الاسبرطيين ومعجبين بها ودارسين لها ، ومما سيساعد على ادراك أن علمهم هو من نفس جنس علم الاسبرطيين عباراتهم القصيرة والجديرة

---

(٢٤٣) المقصود هنا هو مجرد الرغبة فى العلم ، وفى هذا بعض السخرية لأن الاسبرطيين كما يظهر من سابق كلام سقراط لا تهمهم فى الواقع الا التربية الجسمية ، وسيظهر مما سيلى من كلامه أنهم يبـدون عادة تفهاء . وما اشتهروا به من « قول ما قل ودل » انما يبرهن على أنهم ليسوا من محبى الكلمة المنمقـة المستفيضة . فسقراط فى كل هـذا مازح لا شك .

(٢٤٤) أى ممن فطنـوا الى هـذا . والمذكورون هم « الحكماء السبعة » الذين اشتهروا بين مدن اليونان قبل ظهور الفلسفة . وتختلف قوائم أسمائهم ما بين حذف واضافة ولكن الأربعة الذين تتفق كل القوائم على عددهم بين « الحكماء السبعة » هم : طاليس وبتاكوس وبياس وسولون الأثينى . والسائد الغالب عندهم هو الاهتمام بالأخلاق وعنهم صدرت بعض « الحكم » وسيذكر سقراط بعد سطور اثنتين

بأن يحفظها الزمن والتى قالهـا كل واحد منهم • وقد اجتمع هؤلاء معا (ب) وأهـدوا عباراتهم تلك الى الاله آبوللون فى معبـده فى دلفى باعتبارها تباشير حكمتهم ، مسجلين هذه العبارات التى يرددها الجميع : « اعرف نفسك بنفسك » و « لا مغالاة » •

ولكن لأى غرض أقول هـذا ؟ ذلك أن طريقـة القدماء فى عرض الفلسفة كانت تتميز بهذا : نوع من الاختصار فى التعبير على الطريقـة الاسبرطية • وهكذا يؤثر عن بتاكوس خاصة هذه العبارة التى امتدحها الحكماء : « صعب أن تكون رجل فضل » • والآن ، فان سيمونيديس ، (جـ) الذى كان يهدف الى مجد أن يكون من أصحاب الحكمة ، أدرك انه اذا أنزل هذه العبارة أرضا وكأنها بطل رياضى مشهور ينتصر عليه ، فانه هو نفسه سيذيع صيته بين أهل عصره • اذن فمعارضة لهذه العبارة ومن أجل هذا الهدف ، أى ليوقع بها ويسحقها ، فانه ألف القصـيدة كلها ، وذلك بحسب ما يبدو لى •

فلنفحصـها اذن جميعا معا فى مجملهـا ، لنرى ان كنت على حق فيما قد يبدو • وهناك أولا بداية القصيدة التى قد تظهر خارجة عن كل عقل اذا كان الشاعر ، من أجل أن يقول انه من الصعب أن يصير الرجل فاضلا ، (د) قد أدخل بعد ذلك تعبير « فى الحق » (٢٤٥) ، لأن هذا التعبير يبدو أنه أدخل بغير داع ، اللهم الا اذا افترضنا أن سميونيديس يقول هذا على سبيل الصراع مع كلمة بتاكوس • فحينما يقول بتاكوس « صعب أن تكون رجل فضل » ، يعارضه هوويقول : « كلا ، يا بتاكوس ، انما الصعب حقيقة فى الواقع هو أن يصير الرجل فاضلا » ، و ليس فاضلا على الحقيقة ، فان تعبير الحقيقة لا يخص هذا ، وكأنه قـد يحدث بين رجال (هـ) فضلاء أن يكون بعضهم فضلاء على الحقيقة وبعضهم الآخر

---

(٢٤٥) men . راجع النص كاملا فى ٣٣٦ ب •

فضلاء ولكن ليس على الحقيقة ، ولو كان الأمر كذلك لظهرت سذاجة القول ولما كان جديرا بسيمونيديس . وانما الواجب هو اعتبار أن تعبير « على الحقيقة » دخيل فى هذه القصيدة ، ولنأخذ هكذا على التقريب كلمة بتاكوس ، وكأننا نجعل بتاكوس يتحدث وسيمونيديس يجيب « يا أيها الناس ، صعب أن يكون المرء رجل فضل » ، فيرد عليه (٣٤٤) الآخر : « كلا يا بتاكوس ، ليس حقا ما تقول . فليس الصعب أن يكون المرء فاضلا بل أن يصير كذلك فى الحق » .

« هذا هو الصعب على الحقيقة » . من هذه الوجهة للنظر يبدو أن « فى الحق » قد أدخلت على أساس ، وان تعبير « على الحقيقة » يوضع فى موضعه الصحيح فى نهاية الجملة . وكل ما يأتى بعد ذلك يشهد بأن المعنى هو هذا وسيكون هناك الشىء الكثير ليقال حول كل واحدة من التفاصيل التى تذكرها القصيدة وكيف أنها قد أحسن نظمها ، فهى ذات سحر عظيم وتشهد بالعناية . ولكن الأمر سيطول لو قمنا بدراستها على هذا النحو ، فلنقم اذن بالأحرى بدراسة الخطوط العريضة فى مجملها وبدراسة هدف القصيدة ، وهو قبل كل شىء من أقصاها الى أقصاها تفنيد كلمة بتاكوس .

ذلك أنه يقول بعد ذلك على اثر استطراد قصير ، وكأنه كان يستمر فى النقاش ، انه صعب فى الحق أن يصير المرء رجلا فاضلا على الحقيقة ، الا أنه يمكن للمرء أن يصير كذلك لمدة من الزمن على الأقل . ولكن أن يستمر المرء (جـ) على هذا الميل [٢٤٦] بعد الوصول اليه وبعد أن يكون المرء قد صار رجلا فاضلا ، فا نهذا ، وهو ما تقول أنت يابتاكوس، أمر غير ممكن وليس من طاقة البشر ، فهذه ميزة تميز بها الاله وحده :

(٢٤٦) exis ، أو « الحالة » أو « العادة » .

« أما الانسان فلا يمكن له ألا يكون سيئا حينما تنزل به نازلة لا قبل له بها » .

ولكن من تنزل به نازلة لا قبل له بها فى قيادة السفينة ؟ من الواضح أنه ليس غير العالم ، لأن غير العالم دائما يلقى به أرضا ، وكما أنه لا يمكن أن تلقى بمن هو راقد ، بل أن تلقى بمن هو قائم بحيث تجعله يرقد على حين أنك لا تستطيع ذلك مع الراقد بالفعل ، (د) وهكذا فان نازلة شديدة لا قبل لأحد بها قد تنزل على رجل بارع ، أما على الرجل المقضى عليه (٢٤٧) دائما فلا . فعاصفة كبيرة تهب قد تجعل الربان غير قادر على فعل شىء ، وجو متأزم يحط سيجعل الزارع مغلول اليدين ، ومثل هذا مع الطبيب أيضا . فالواقع أنه يمكن لرجل الفضل أن يصير سيئاً ، كما يشهد على ذلك شاعر آخر فى قوله :

« وحتى الرجل الفاضل أحيانا ما يكون سيئا وأحيانا ما يكون رجل فضل » .

(هـ) ولكنه من غير الممكن أن يصير السىء سيئا ، فهو كذلك دائما بالضرورة . وهكذا فان الرجل العالم الفاضل حينما « تنزل به نازلة لا قبل له بها » لا يمكن له الا أن يكون سيئا . أما أنت ، يا بتاكوس ، فأنت تقول : « صعب أن يكون المرء رجل فضل » ، ولكن الواقع أن الصعب هو أن يصير كذلك ، رغم أن هذا من الممكن ، أما ان يكون المرء رجل فضل فهذا هو غير الممكن :

---

(٢٤٧) emêkhanos ، وكان سقراط قد استخدم فى العبارة السابقة كلمة eumêkhanos « الرجل البارع »، ولا يتضح لعب سقراط على هذه الكلمات الا بالرجوع الى النص اليونانى .

« لأن كل رجل حينما ينجح فى سلوكه فهو فاضل اما حينما لايحسن السلوك فهى سىء » (٢٤٨) .

(٣٤٥) فما هو اذن السلوك الناجح بازاء حروف اللغة ؟ وما الذى يجعل الرجل حسنا (٢٤٩) مع حروف اللغة ؟ واضح أن ذلك يكون بتعلمها، وما هو حسن السلوك الذى يصنع الطبيب الماهر (٢٥٠) ؟ واضح أن هذا هو تعلم طريقة علاج المرضى . « وسىء هو من يسىء » (٢٥١) . فمن يصبح اذن طبيبا سيئا ؟ واضح أنه ذلك الذى بدأ اولا يكون طبيبا ، ثم بأن يكون طبيبا ماهرا ، وهذا هوالذى قد يصير طبيبا سيئا . أما نحن غير المتخصصين فى فن الطب فاننا لا يمكن ، اذا ما أسأنا السلوك ، أن نصير لا أطباء ولا معماريين ولا (ب) اى متخصصين ممن شابه . ومن جهة أخرى فان ذلك الذى لا يستطيع أن يصير طبيبا بأن يسىء العلاج ، واضح أنه لا يمكن له بالأحرى أن يصير طبيبا سيئا . وهكذا فان الرجل الفاضل قد يصير يوما رجل سوء اما بفعل الزمن واما بفعل الآلام واما بفعل المرض أو لأى عارض آخر ، لأن العلة الواحدة الوحيدة لاساءة السلوك هى أن يكون المرء محروما من المعرفة (٢٥٢) ، أما رجل السوء فانه لا يمكن أن يصير سيئا ، لأنه كذلك دواما ، أما اذا كان عليه أن يصير سيئا ، فيجب عليه أن يصير حسنا أولا . وهكذا فان هذا القسم

---

(٢٤٨) يرتبط « حسن » السلوك فى ذهن اليونانى « بنجاحه » ، والحق ان الأخلاق الشعبية اليونانية انما هى اخلاق نفعية ، ولا يجب علينا أن ننسى ونحن نقرأ هنا عن « العلم » أن المقصود به ايضا « المهارة » ، أو كما تقول العامة : « الشطارة » و « النصاحة » .

(٢٤٩) agathon ، وهى كلمة ذات بعد اخلاقى ولكن يجب ان نضع هنا ايضا فى اعتبارنا ما ذكرناه فى الهامش السابق .

(٢٥٠) agathon أيضا .

(٢٥١) يبدو أن هذه الكلمات نص لبيت من الشعر .

(٢٥٢) هذا مذهب سقراطى رئيسى .

من القصـــيدة يهدف الى هــذا : (جـ) أنه من غير الممكن أن يكون المرء فاضلاً ، وأن يكون فاضلا على الدوام ، ولكن يمكن له أن يصير فاضلا كما يمكن له هو نفسه أن يصير سيئا • أما الفضلاء لأطول وقت وعلى أكمل ما يمكن فانهم هؤلاء الذين استأثرتهم الآلهة بحبها •

اذن فكل هذا مقصود منه معارضة بتاكوس ، وكذلك فان ما يليه يوضح ذلك أكثر • فهو يقول :

« لهذا فانى ، باحثا عن شىء مستحيل الحدوث ، لن أضـيع هباء ما قدر لى من زمن فى سبيل أمل مستحيل : العثور على رجل لا يلام ، بيننا نحن الذين نقتطف ثمار الأرض الواســعة ، واذا وجدته ، أتيتكم بخبره »•

(د) هذا ما يقول ، وهكذا يهاجم فى قوة ، وخلال كل القصيدة ، كلمة بتاكوس :

« انى امتدحهم جميعا وأحبهم ، هؤلاء الذين بارادتهم لا يرتكبون فعــلا قبيحا • ولكن الصراع ضــد الضرورة أمر غير ممــكن حتى للآلهة » •

انني مقتنع على التقريب بهذا : أنه ليس من (هـ) الرجال الحكماء من لم يكن مفتقرا الى التعليم حتى يقول انه يمتدح من لا يفعل الشر بارادته ، وكأن هناك أشخاصا يفعلون الشر بارادتهم •

انني مقتنع على التقريب بهذا : أنه ليس من (هـ) الرجال الحكماء من يعتقدون أن هناك رجلا واحدا يرتكب الخطأ بارادته ولا من يفعل أفعالا قبيحة وسيئة بارادته ، انما هم يعلمون جيد العـلم أن كل من يفعـل الأفعال القبيحة والسيئة انما يفعلها بغير ارادته • وسيمونيديس أيضا : لايعلن أنه ممتدح لمن لايفعل الشر بارادته ، وانما يعود تعبير « بارادته »

عنيه هو نفسه ، لأنه يعتبر أن الرجل الحسن الجميل يجبر نفسه غالبا على أن يكون صديقاللغير ومادحا له • (٣٤٦) فيحدث مثلا أن المرء كثيرا ما يعامل معاملة غريبة من أمه أو ابيه او وطنه أو غير هؤلاء ممن لهم نفس المكافئة • وعندما يعامل الأشرار هذه المعاملة فانهم يتطلعون اليها فى استمتاع ويعرضونها شاكين ويتهمون آباءهم أو وطنهم بالشر ، وذلك من أجل ألا يتهمهم الآخرون بأنهم يهملونهم هم أنفسهم ومن احل ألا يلومونهم على هذا الاهمال ، وهكذا يزيدون من شكواهم أكثر ويضيفون الى العداوات (ب) الطبيعية عداوات أخرى مقصودة • أما أهل الخير فانهم يلقون بالغطاء فوق ذلك ويجبرون أنفسهم أن يقولوا كلمة مديح ، واذا حدث أن أثار الغضب فيهم ظلم" من أقربائهم أو من وطنهم فانهم يهدئون من أنفسهم ويتصالحون ضاغطين على أنفسهم أن حبوا أهليهم وأن يمتدحونهم •

وانى أعتقد أن سيمونيديس أدرك هو نفسه أنه قد كال المديح كثيرا لطاغية أو لشخص آخر منهذا القبيل وتغنى له ، ليس بارادته بل مضطرا• فهذا اذن ما يقوله لبتاكوس : انى اذا كنت اتنقدك ، يا بتاكوس ، فليس هذا لأنى من هواه النقد ، ذلك أنه :

« يكفينى أنا ألا يكون الشخص شريرا وألا يكون شديد الفساد، وأن يكون رجلا عارفا بالعدل نافعا لمدينته وعلى صحة • هذا الرجل أنا لن ألوم ، فلست للوم من المحبين ، وما أكثر أفراد جنس البلهاء » •

وذلك الى درجة أنه اذا وجد شخص متعة فى النقد فسيجد موضوعات للنقد تكفى كل غليله • « وكل ما لا تشوبه شائبة قبح فهو جميل من غير شك » •

(د) وهو حين يقول هذا فانه ليس كمن يقول انه أبيض كل شىء لا يخالطه سواد ، لأن هذا سيكون قولا مضحكا من جوانب متعددة ، انما هو يقبل نفسه وضعا وسطا ، وهكذا فهو لا يملك له لوما • ويقول:

« انى لا أبحث عن رجل لا يلام ، بيننا نحن الذين نقتطف ثمار الأرض الواسـعة ، واذا وجدته أتيتكم بخبرة » ، وهكذا فلن يكون هناك بالتالى من أمدحه ، وانما أنا أكتفى برجل وسط ولا يكون للشر فاعلا ، لأننى فيما يخصنى أحب وأمتدح (وهنا يستخدم لغة (هـ) أهل موتيلينيا (٢٥٣) حين يتوجه بالكلام الى بتـاكوس قائلا « اننى امتدحهم جميعا وأحبهم اراديا » ، وهنا يجب النطق مع التأكيد على فصل «اراديا» عن بقية الكلام) كل من لا يفعل شيئا قبيحا ، هذا بينما هناك أيضا من أمتدح وأحب على غير ارادتى • وهكذا لو كنت ، أنت يا بتاكوس ، (٣٤٧) قد قلت قولا وسطا من حيث الاعتدال والصحة لما كنت وجدت لوما أوجهه اليك ، ولكنك على العكس تقـدم آراء خاطئة كل الخطـأ تتصور أنها حقيقة وذلك حول أهم الأمور ، لهذا فان أقوم بلومك •

ثم قلت : ها هو ، يا بروديقوس وأنت يا بروتاجوراس ، ما أعتقد أنه كان مقصد سيموفيديس حينما قام بنظم هذه القصيدة •

وهنا قال هبياس : لقد أحسنت يا سـقراط أنت أيضـا ، بحسب ما أرى ، فى تحليلك للقصيدة • ثم استطرد : ولكنى (ب) ألفت أنا أيضا خطبة ممتازة حولها ، يمكن أن أعرضها عليهم أن شئتم (٢٥٤) •

فقال ألقبيادس : نعم يا هبياس ، ولكن فى مرة أخرى • أما الآن فانه من العدل ، بحسـب الاتفاق الذى عقد بين كل من بروتاجوراس وسقراط ، أن يقوم بروتاجوراس بالقاء الأسئلة على سقراط ان شاء وأن يجيبه سقراط ، أما اذا أراد أن يجيب هو على سـقراط فعلى الآخر أن يسـأله •

---

(٢٥٣) اى لهجتهم ، والمقصود الفعل اليونانى الذى نترجمه « بأمتدح » •

(٢٥٤) يريد هبياس ان يدخل الحلبة ليظهر براعته هو الآخر ولكيلا يتخلف عن الآخرين • قارن « هبياس الكبرى » ، ٢٨٦ أ •

فقلت : أما فيما يخصني فانى أوكل الى بروتاجوراس أن يختار ما يناسبه ، ولكنه ان شاء فلندع الآن القصائد والأشعار (٢٥٥) ، (جـ) وسيطيب لى ، يا بروتاجوراس ، راجعين الى المسألة التى بدأت أنا بسؤالك حولها ، سيطيب لى أن ننهيها بفحصها معك . والحق أننى أعتقد أن المساجلات التى تدور حول الشعر تشبه كثيرا مآرب التفهاء من العامة . ذلك أنهم لا يقدرون أثناء اجتماعهم فى مجلس الشراب على التحادث معا ولا على أن يستمدوا من أنفسهم صوتا ولا كلمات لهم ، وذلك بسبب نقص ثقافتهم ، لهذا فانهم يعلون من أجر (د) عازفات الناى ويدفعون ثمنا غاليا لصوت غريب ، صوت آلات الناى ، ومن خلال هذا الصوت هم يتحادثون مع بعضهم البعض . أما فى مآدب الخاصة المتميزة ومن هم على ثقافة فان المرء لا يرى لا عازفات ناى ولا راقصات ولا عازفات على القيثارة ، انما هم يكفون أنفسهم بأنفسهم فى أحاديثهم بلا حاجة الى هذه السفاسف وهذه الألاعيب ، وذلك مستعينين بأصواتهم هم أنفسهم ، متحدثين ومستمعين كل منهم فى دوره وفى نظام ، وهذا حتى (هـ) حينما يسرفون فى الشراب . وهذا الحال أيضا مع اجتماعات مثل هذا الاجتماع الذى يشمل رجالا على شاكلة من يقول معظمنا انه كذلك (٢٥٦) ، فهى ليست بحاجة الى صوت غريب ولا الى شعراء ، وهم الذين لا نستطيع أن نطلب منهم ماذا يقصدون بما قالوا (٢٥٧) ، والذين يدخل بهم الكثيرون فى المناقشات : هؤلاء يقولون ان الشاعر أراد كذا ، وهؤلاء انه أراد شيئا آخر ، بدون أن يكونوا قادرين فى مناقشتهم

---

(٢٥٥) البحث الفلسفى عند سقراط وسيلته الحوار بين العقول وليس النقاش حول الشعر . قارن حول ما يلى ، « المأدبة » : ١٧٦ هـ ، ٢٢٠ أ ، ٢٢٣ هـ .

(٢٥٦) اى « رجال علم » ، ولاحظ أن سقراط لا يطلق القول على نفسه ، لأنه يقصد السفسطائيين و « مدعى العلم » .

(٢٥٧) هذا هو النقد الأساسى . اما فى الحوار فكلا الطرفين يستطيع أن يوضح ما يقصد وان يدافع عنه .

على الوصول الى اقناع بشأن المسألة • على أمثال هذه المناقشات (٣٤٨) يقول السلام هؤلاء الذين يديرون المناقشة بأنفسهم مع أنفسهم ، متبادلين أقوالهم هم أنفسهم واضعين الآخرين تحت الاختبار ومقدمين أنفسهم له • هؤلاء هم ، فيما أرى ، من يجب بالأحرى أن نقلدهم أنا وأنت ، ولندع الشعراء جانبا ولننظم أقوالنا نحن أنفسنا فيما بيننا ، واضعين الحقيقة ونحن أنفسنا تحت الاختبار (٢٥٨) ، واذا شئت أن تستمر في السؤال فانه على استعداد لأن أضع نفسى فى موقف المجيب ، أو اذا شئت فضع نفسك أنت فى موقف المجيب على ، وذلك لكى نصل بالمسألة ، التى توقفنا فى بحثها التفصيلى فى منتصف الطريق ، الى غايتها •

(ب) ورغم ما قلته أنا هكذا وما شابه الا أن بروتاجوراس لم يوضح أى طريقة يريد أن نسير عليها • وحينئذ قال ألقبيادس متوجها الى كالياس: هل تعتقد ، يا كالياس ، أن بروتاجوراس يحسن الآن فعلا حين لا يريد أن يوضح ان كان سيجيب أم لا ؟ انى أعتقد أنه غير محق • فاما أن يدخل المناقشة واما أن يعلن أنه لا يريدها ، وذلك حتى نعرف ماذا سيكون موقفنا بشأن هذا ، ومن أجل أن يستطيع سقراط بعد ذلك أن يناقش شخصا آخر اذا كان يريد ذلك مع آخر •

(جـ) وقد استحى بروتاجوراس ، على الأقل فيما بدا لى ، من كلام ألقبيادس ومن كلام كالياس وكل الآخرين تقريبا من الحاضرين ، فأذعن ، وان يكن بصعوبة ، للعودة الى الحوار وطلب أن أسأله على أن يجيب هو •

---

(٢٥٨) الفحص بهدف الوصول الى الحقيقة هو هدف سقراط وهدف الحوار الفلسفى • راجع ٣٣١ جـ — د ، ١٣٥٢ •

وعندئذ قلت له : لا تظنن يا بروتاجوراس أننى أرغب فى التناقش معك لسبب آخر غير أن نفحص فحصا عميقا تلك المسائل التى تشكل صعوبة فى كل حين بالنسبة الى شخصيا (٢٥٩) . ذلك أنى أعتقد أن هوميروس كان محقا حين قال :

(د) « حينما يسير اثنان معا ، فان الواحد ينتبه بعد الآخر » ، لأننا نحن البشر نستمد هكذا جميعا قوة من أجل العمل والقول والتفكير . « وحينما تأتى فكرة على واحد بمفرده » فانه ينطلق سريعا فيما حوله ليبحث عمن يعرضها عليه وعمن يؤكدها معه ، وذلك حتى يعثر عليه(٢٦٠) . وهكذا فانى لهذا السبب سعيد بالتحادث معك أكثر من سعادتى بالتحادث مع أى شخص آخر ، لاعتقادى أنك أفضل من يتعمق فى فحص كل (هـ) المسائل التى يتوقع من رجل مهذب (٢٦١) أن يبحثها ، وعلى الخصوص فحص مسألة الفضيلة . وهل هناك غيرك ليقوم بهذا ؟ فأنت لا تعتبر فقط أنك رجل فاضل مهذب (٢٦١مكرر) ، وهو حال بعض الآخرين الذين هم مهذبون ولكنهم لا يقدرون على جعل الآخرين كذلك ، بل أنك فاضل أنت نفسك وقادر على جعل الآخرين فضلاء . وانك لتثق فى نفسك ثقة عظيمة تبلغ حد أنه على حين أن الآخرين يخفون فنهم هذا ، (٣٤٩) فانك

---

(٢٥٩) سيقول سقراط فى نهاية الحوار أنه ظل طوال حياته مهتما بمشكلة الفضيلة . ولاحظ أن سقراط يظهر بمظهر العجز ، وقد يكون حقيقيا وقد يكون مدعيا فقط ، ليشجع بروتاجوراس على الحديث . وهو يشير الى أن هدفه هو الفحص وليس احراج بروتاجوراس . وتاكيدا لهذا يمتدح بروتاجوراس كثيرا بما يحب هذا أن يمتدح به (أنظر هـ) .

(٢٦٠) وهذه فكرة رئيسية وراء منهج الحوار الفلسفى : اتفاق عقلين دليل على الحقيقة .

(٢٦١) أى ذى خلق واتزان .

(٢٦١ مكرر) kalos kagathos .

تعلن بأعلى صوت عن نفسك فى كل بلاد اليونان ، وتسمى نفسك سفسطائيا وتعلن أنك معلم ثقافة وفضيلة وأنك أول من طلب (٢٦٢) الحصول على أجر لقاء هذا . فكيف اذن لا يكون واجبا علىّ أن أتوجه اليك أنت لبحث هذه المسائل وأن أسألك وأن أتشاور معك ؟ كلا هذا غير ممكن .

والآن فانى أود أن أرجع الى تلك المسائل التى بدأت بسؤالك عنها لتذكرنى ببعضها (٢٦٣) لنقوم بفحص البعض الآخر منها معا فحصا دقيقا . وكان (ب) السؤال المطروح ، فيما أعتقد ، كما يلى : العلم والاعتدال والشجاعة والعدالة والتقوى ، هل هى خمسة أسماء يحملها شىء وحد ؟ أم أن هنالك وراء (٢٦٤) كل اسم من هذه الأسماء جوهرا خاصا وكيانا له وظيفته (٢٦٥) الخاصة به ، بحيث لا يكون واحد منها كالآخر ؟ وقد كنت تقول انها ليست أسماء لشىء وحيد ، بل ان وراء كل واحد من هذه الأسماء كيانا قائما بذاته ، وأنها جميعها أجزاء من الفضيلة ، ليس على طريقة أجزاء قطعة الذهب التى تتشابه فيما بينها وتشبه الكل الذى اليه تنتمى ، بل على طريقة أجزاء الوجه التى لا تشبه الكل الذى تنتمى اليه ولا يشبه كل جزء منها الأجزاء الأخرى ، فلكل منها وظيفة خاصة به . فاذا كان هذا هو رأيك لا يزال ، فقل ذلك . أما اذا كان قدتغير حول نقطة ما ، فحددها ، لأننى من جانبى لن آخذ عليك أنك تقول الآن رأيا مختلفا حول هذه النقطة أو تلك ، فأنا لن أندهش اذا كنت (د) قد قلت ذلك حينذاك لتختبرنى .

---

(٢٦٢) أو « وجد جديرا به » .

(٢٦٣) اى ما تم الاتفاق عليه ، والبعض الآخر هو ما ظل معلقا .

(٢٦٤) حرفيا « فى قاعدة » .

(٢٦٥) « جوهر » : ousia ، « كيان » : pragma ، وحول « الوظيفة » (dunamis) ، راجع ٣٣٠ أ ــ ب ، ١٣٥١ .

فقال بروتاجوارس : ولكنى أجيبك يا سقراط بأن هذه كلها أجزاء من الفضيلة ، وأن أربعة منها تكاد تكون متشابهة فيما بينها الى حد كبير، أما الشجاعة فانها مختلفة عن هذه جميعا أكبر اختلاف (٢٦٦) • وها هـو ما ستدرك به أننى على حق فيما أقول : ذلك أنك ستجد أشخاصا هم أعظم ما يكونون ظلما وضلالا وزيغا وجهلا ، ولكنهم مع ذلك يتميزون بشجاعتهم •

(هـ) فقلت له : قف هنا ! فان ما تقول هذا يستحق التوقف عنده لتأمله • هل تقصد بالشجاع الرجل المقدام أم شخصا آخر ؟

فأجاب : نعم والجسور الذى يقدم حيث يخشى الأكثرون الاقدام•

ـــ فلننظر فى هذا • هل تقول بأن الفضيلة شىء جميل ؟ وهل تتقدم أنت نفسك على أنك معلم لهـا باعتبارها شيئا جميلا ؟

فقال : بل هى أجمل الأشياء كلها ، اللهم الا اذا كنت مجنونا •

فاستطردت : ولكن هل فيهـا جانب قبيح وآخر جميل ، أم أنهـا جميلة فى مجملها ككل ؟

ـــ بل انها كلها جميلة ، لا شك ، والى أقصى درجة ممكنة •

ـــ وهل تعرف من هم الذين (٣٥٠) يغوصون باقدام فى الآبار ؟

ـــ أعرف أنهم الغواصون •

ـــ وهل ذلك لأنهم يعرفون فن الغوص أم لسبب آخر ؟

ـــ لأنهم يعرفون •

---

(٢٦٦) هذا هو موقف بروتاجوراس المعدل • قارن موقفه فى ٣٢٩ أ ـــ ب ، ٣٣١ أ ، د ، هـ •

— ومن هم هؤلاء الذين يحاربون باقدام على ظهر الخيل ؟ هل هم الخيالة أم من ليسوا رجال الخيل ؟

— هم الخيالة .

— ومن يحمل الدرع الخفيف ؟ هل هم جنود الدرع الخفيف أم غيرهم ؟

— جنود الدرع الخفيف (٢٦٧) ، وكذلك أيضا مع كل ما شابه ، اذا كان هذا هو ما تريد الوصول اليه : أن من يعلمون أكثر اقداما ممن لا يعلمون ، وهم أنفسهم أكثر اقداما (ب) بعد أن يكونوا قد تعلموا منهم قبل أن يتعلموا .

فقلت : ولكن هل رأيت من قبل من يسلك باقدام فى كل شيء من هذه الأشياء جميعا بدون أن يكون قد تعلمها ؟

فرد قائلا : نعم رأيت من يفعل هذا ، ومنهم من هو عظيم الاقدام جدا .

— وهل هؤلاء المقدامون شجعان أيضا ؟ (٢٦٨) .

فقال : ولكن عند ذلك لكم ستكون الشجاعة شيئا قبيحا ، لأن هؤلاء إنما هم مجانين .

فقلت : كيف اذن تعرف الشجعان ؟ أليس بأنهم المقدامون ؟

---

(٢٦٧) فئة من رجال المشاة فى الحرب .

(٢٦٨) لاحظ ان بروتاجوراس كان قد قبل فى ٣٤٩ ه أن الشجاع مقدام ، وها هى طريقة سقراط تجبره على التناقض مع نفسه ، كما سيظهر من اجابته التالية .

فقال : ولا أزال أقول هذا •

(جـ) واستطردت : اذن فهؤلاء الذين هم مقدامون على ذلك النحو (٢٦٩) ليسوا شجعانا ، بل واضح أنهم مجانين ، على حين أن أولئك العلماء أكبر العلم الذين تحدثنا عنهم هم المقدامون أعظم الاقدام ، وأنهم باعتبارهم أعظم اقداما فانهم شجعان أعظم شجاعة ؟ وألا يكون العلم اذن ، تبعا لهذه الحجة ، هو الشجاعة ؟

فرد قائلا : انك لا تتذكر يا سقراط جيدا ما قلته لك اجابة على أسئلتك • فقد سألتني اذا ما كان الشجعان مقدامين ، فوافقت • أما ان كان المقدامون شجعانا ، فانك لم تسألني عن هذا ، ولو كنت سألتني عنه لكنت أجبتك انه (د) ليس كل المقدامين شجعانا • أما حول القول بأن الشجعان ليسوا مقدامين ، وهو ما وافقت عليه أنا ، فانك لم تبرهن اطلاقا على أنني لم أكن محقا في قبولي هذا • وقد أوضحت بعد ذلك أن هؤلاء الذين يعلمون يصيرون أكثر اقداما بالقياس الى أنفسهم (٢٧٠) وبالقياس الى الآخرين الذين لا يعلمون ، وعلى هذا تقيم اعتقادك أن الشجاعة والعلم نفس الشيء • ولكنك اذا استمررت على اتباع هذا الطريق فانك ستعتقد أيضا أن القوة الجسمية هي العلم • فستبدأ أولا ، اذا سرت على هذا الطريق ، بأن تسألني اذا كان الأقوياء ، جسميا (هـ) قادرون ، وسأقول أن نعم ، وبعد ذلك ستسألني اذا كان من يعرفون المصارعة أكثر قدرة ممن لا يعرفون المصارعة ، واذا كانوا أكثر قدرة بعد أن تعلموا منهم قبل أن يتعلموا ، وسأقول أن نعم • وحينما أكون قد سلمت لك بهذا ، فانك ستقول ، مستخدما برهانا مشابها لتلك البراهين ، أن المعرفة بحسب اعترافي هي القوة الجسمية • ولكن لم يحدث من جانبي

---

(٢٦٩) أي المقدامون على أشياء لا يعرفون عنها شيئا •

أن سلمت ، ولا أسلم ، بأن القادرين أقوياء جسميا ، وان كنت أسلم بأن الأقوياء جسميا قادرون (٢٧١) • فليست القدرة والقوة الجسمية شيئا واحدا ، وانما تنشأ احداهما ، وهى القدرة ، من العلم ومن الجنون ومن الغضب ، أما القوة الجسمية فتأتى من الطبيعة ومن تغذية الجسم تغذية حسنة • وهكذا مع الحالة الأخرى : فليس الاقدام هو نفس الشيء كالشجاعة ، بحيث يحدث أن يكون الشجعان مقدامين ، ومع ذلك فانه ليس كل المقدامين شجعانا • ذلك أن الاقدام ينشأ عند البشر من الفن (٢٧١) و (ب) من الغضب ومن الجنون ، كما هو الحال مع القدرة ، أما الشجاعة فانها تأتى من الطبيعة ومن تغذية النفس تغذية حسنة (٢٧٢) •

فقلت له : هل تعتبر ، يا بروتاجوراس ، أن هناك بين الناس من يعيش عيشة طيبة وأن هناك آخرين يعيشون عيشة سيئة ؟

— نعم •

— وهل تعتقد أن انسانا يعيش عيشة طيبة اذا كان يعيش فى الحزن والألم ؟

— كلا •

— واذا كان قد عاش حياة ممتعة حتى نهايتها ؟ ألن يكون قد عاش حياة طيبة فى رأيك ؟

فقال : هذا رأيى •

— اذن فعندك أن (جـ) العيش حياة ممتعة خير وأن العيش حياة غير ممتعة شر •

---

(٢٧١) tekhnê •

(٢٧٢) لاحظ التقابل بين النفس والجسم •

ـ وعلى شرط أن يحيا المرء مستمتعا بالأشياء الجميلة (٢٧٣) .

ـ وكيف يا بروتاجوراس ؟ هل تشارك الجمهور رأيه حين يقول بأن بعض الأشياء الممتعة سيئة وأن بعض الأشياء المؤلمة حسنة ؟ أعنى : أليست الأشياء الممتعة ، من حيث هى ممتعة ، حسنة ، بصرف النظر عن أية نتيجة أخرى قد تنتج عنها ؟ وأليست الأشياء المؤلمة هى الأخرى سيئة من حيث أنها مؤلمة ؟

فأجاب : لا أدرك يا سقراط (د) اذا كان يجب على أن أجيبك اجابة بسيطة ، على شاكلة بساطة سؤالك ، وذلك بأن كل الأشياء الممتعة حسنة وبأن الأشياء المؤلمة سيئة . انما يبدو لى من الأوفق ، ليس فقط بخصوص الاجابة الحالية بل وكذلك بخصوص كل اختيار أوضع أمامه فيما تبقى لى من كل حياتى ، يبدو لى من الأوثق أن أجيب بأن هناك بين الأشياء الممتعة ما هو حسن وأن هناك كذلك من الناحية الأخرى بين الأشياء المؤلمة ما ليس سيئا بينما هناك بينها ما هو سىء ، وأن هناك ثالثا ما هو لا بهذا ولا بذاك ، لا بالسىء ولا بالحسن .

فقلت : ولكن الأشياء التى تسميها ممتعة ، أليست هى (هـ) ما يشارك فى اللذة أو ينتج اللذة ؟

فقال : تماما .

ـ اذن فحينما أتساءل اذ اكانت الأشياء الممتعة ، من حيث هى ممتعة وحسنة ، فكأنى أتساءل اذا كانت اللذة هى الخير .

---

(٢٧٣) tois kalois ، وقد استخدمنا الترجمة الحرفية ، ولكن هذا التعبير يعنى ايضا ما هو مقبول اخلاقيا . ولاحظ أن بروتاجوراس هو الذى يشترط هذا الشرط هنا ، وهو دور كان يقوم به سقراط فى محاورات أخرى (مثلا فى « جورجياس ») . ومن هنا فان الرأى الذى سيعرضه سقراط ويقول بأن الخير هو المتعة لا يجب اعتباره رأيا افلاطونيا .

فأجاب : سأستخدم التعبير الذى يأتى على لسانك فى كل وقت (٢٧٤)
وأقول : فلنفحص هذا يا سقراط ، واذا اتفق هذا القول مع العقل وظهر أن الممتع والحسن شىء واحد ، فسننحاز اليه . والا فسوف نستمر فى التنازع حوله .

فقلت له : فهل تريد أن تقود أنت البحث أم أن أقوده أنا ؟

فقال : من العدل أن تقوده أنت ، فأنت الذى بدأ يطرح المسألة .

(٣٥٢) فقلت : ربما اتضح الأمر أمامنا على النحو التالى .
فلنفترض أن أحدا يفحص شخصا ما بالاعتماد على هيئته (٢٧٥) وذلك للحكم على صحته أو على أمر آخر يخص أعضاءه الجسدية ، وأنه لا يرى منه الا وجهه وأطراف يديه ، وأنه قال له : « تعال واكشف لى عن صدرك وعن ظهرك وأرينهما وذلك حتى أفحصهما على نحو أدق » (٢٧٥مكرر) .
أقول : شىء من هذا القبيل هو ما أرغب ونحن بسبيل هذا البحث . فبعد أن تأملت فيما عليه أمر الحسن والممتع بحسب ما تقول أنت ، فانى أود أن أقول لك شيئا مشابها : « تعال يا بروتاجوراس ، (ب) واكشف لى عن هذا الجانب من فكرك (٢٧٦) : ما هو موقفك من العلم (٢٧٧) ؟ هل

---

(٢٧٤) اذن فبروتاجوراس يعرف سقراط جيدا ويعرف أنه شغوف « بالفحص » .

(٢٧٥) eidos .

(٢٧٥مكرر) راجع ٣٣١ جـ ـ د ، ٣٤٧ أ بشأن فيكرة « الفحص » . والفقرة تستعين بالاصطلاح الطبى وتنقله الى المستوى العقلى .

(٢٧٦) كان بروتاجوراس فيما سبق من الحديث يتجنب دائما أن يدلى بما يعتقده هو بالفعل ، ولكن شرط الجوار هو اخراج كل ما فى الفكر الى النور .

(٢٧٧) هنا تظهر الكلمة الاصطلاحية الهامة epistêmê ، وذلك عوضا عن الكلمة الأغمض والأعم التى استخدمت من قبل وهى sophia

رأيك فيه هو كرأى جمهور الناس أم هو رأى مختلف ؟ فهذا هو على التقريب نوع الرأى الذى عنده عن العلم : فهو فى رأى الجمهور بلا قوة وغير قادر على القيادة ولا على الحكم ، وهو لا يكتفى بالنظر اليه على أنه على هذا النحو ، بل ان الجمهور يتصور أنه حتى لو وجد العلم عند شخص ما فان ما يحكمه ليس العلم غالبا ، بل شىء آخر غيره هو الغضب حينا واللذة حينا والألم حينا ثالثا والحب أحيانا والخوف غالبا ، لأن (جـ) الجمهور ببساطة يرى العلم وكأنه أحد العبيد تجره وراءها العوامل الأخرى جميعها هنا أو هناك . فهل ترى أنت نفس هذا الرأى فى العلم ؟ أم ترى أن العلم شىء جميل[٢٧٨] وأنه قادر على قيادة الانسان، وأنه حينما يعرف [٢٧٩] انسان الأشياء الحسنة والأشياء السيئة فان أية قوة لن تكون لها عليه سيطرة بحيث يسلك على نحو مغاير لما يطلبه منه العلم ، وأن الفكر [٢٨٠] للانسان عون كاف ؟ .

فقال بروتاجوراس : انى أرى فى العلم يا سقراط مثلما تقول أنت، وفى نفس الوقت (د) فانه سيكون من العار على أكثر من أى شخص آخر اذا قلت بأن الحكمة [٢٨١] والعلم ليسا أقوى العوامل بين كل الأمور الانسانية .

فأجبته : أحسنت القول وصدقت . ولكنك تعرف مع ذلك أن جمهور الناس لا يقنع بما قول أنا ، وتقول أنت ، وانما هو يقول ان

---

(٢٧٨) أى « حسن » و « ذو قيمة عظيمة » .

(٢٧٩) gignoskein . وراجع حول المسالة المعروضة ، «جورجياس» ، ٤٦٦ د ، « مينون » ، ٧٧ ب .

(٢٨٠) phronêsis .

(٢٨١) هنا تعود كلمة sophia الى الظهور . وفى الفقرة السابقة يستخدم أفلاطون كلمة epistêmê (العلم) التى يستخدمها هنا أيضا على الفور .

الكثرة ، وهى تعرف ماهو الأفضل بين الأشياء ، لاتريد العمل به (٢٨١مكرر)، رغم أنها تقدر على ذلك ، وانما تسلك سلوكا آخر . وكل هؤلاء الذين استفسرت منهم عن العلة فى هذا قالوا (هـ) انهم يقعون تحت تأثير اللذة أو الحزن أو واحد من العوامل التى تحدثت عنها (٢٨٢) والتى تسيطر عليهم حينما يفعلون ما يفعلون .

فأجاب : انى أعتقد يا سقراط أن هناك الى جانب ذلك كثيرا من الأمور التى يقولها الناس عن غير حق (٢٨٣) .

قلت : فهيا اذن معى لنحاول اقناع الناس وتعليمهم طبيعة هذه الحالة عندهم ، أى ما يقولون انه (٣٥٣) الوقوع تحت تأثير اللذة وعدم السلوك بحسب الأفضل رغم أنهم يعرفونه . فلربما ان نحن قلنا لهم : « أيها الناس : انكم لستم على حق فيما تقولون ، وانكم لتخطأون » ؛ فانهم قد يسألوننا : «أيا بروتاجوراس وأنت يا سقراط ، اذا لم تكن هذه الحالة هى الوقوع تحت تأثير (٢٨٤) اللذة ، فما هى اذن طبيعتها ؟ وماذا تقولان أنتما بشأنها ؟ قولا لنا ! » .

— كيف يا سقراط ؟ هل سيجب علينا أن نفحص رأى العامة من الناس ، وهم الذين يقولون ما يقولون كيفما اتفق ؟

(ب) فقلت له : انى أعتقد أن هذا سيساعدنا على إكتشاف طبيعة

(٢٨١مكرر) أى بالرأى القائل بأن الحكمة والعلم ينبغى ان يكونا دليل الانسان فى السلوك .

(٢٨٢) هنا يهاجم بروتاجوراس العامة ، كما فى ٣٥٣ أ ، وراجع ٣٥١ جـ .

(٢٨٣) هنا يهاجم بروتاجوراس العامة ، كما فى ٣٥٣ أ ، وراجع ٣٥١ جـ .

(٢٨٤) أو « تحت أسر » أو « مهزوما أمام » .

العلاقة بين الشجاعة وغيرها من أجزاء الفضيلة (٢٨٥) • فاذا كنت تعتقد أنك باق على ما اتفقنا عليه فيما بيننا ، من أننى أنا الذى أقود النقاش بحسب ما أعتقد أنا أنه أفضل الطرق لبلوغ الايضـــاح ، فاتبعنى اذن • أما اذا لم يرق الأمر لك ، فانى أدع النقاش وأقول له سلاما ، اذا كان هذا ما تحب •

فقال : كلا ، بل انك على حق ، فأكمل كما بدأت •

(ج) فاستطردت : فلنعد اذن من جديد الى سؤالهم : « ماذا تقولون عن طبيعة هذا : ما قلنـــا عنه نحن انه الوقوع تحت تأثير اللذات ؟ » وعلى هذا السؤال فانى سأرد عليهم بما يلى : « أنصتوا اذن ، لأننـــا سنحاول ، أنا وبروتاجوراس(٢٨٦) ، أن نشرح الأمر لكم • هل ماتتحدثون عنه ، أيها الاخوان ، ليس شيئا آخر غير ما يحدث فى حالات كهذه : مثلا ما يحدث غالبا حينما تقعون تحت تأثير الطعام أو الشراب أو الحب وهى أشياء لها متعتها ، ورغم أنكم تعرفون جيدا أنها أشياء سيئة الا أنكم تفعلونها مع ذلك ؟ » •

— سيوافقون لا شك •

— بعـــد ذلك فاننا سنسألهم أنا وأنت من جديد : « بأى معنى

(٢٨٥) هـــذه اشارة الى « الدورة الكبرى » حول طبيعـــة الخـــير والشر والسلوك الحسن والسيء ، ومبدأها وهـــدفها هو اثبات أن العلم أو المعـــرفة يجب أن يكونا فى مركـــز السلوك ، (راجـــع ٣٥٢ ب وما بعدها ، ٣٥٧ جـ ـ د ، ٣٥٨ ب ـ ذ) •

(٢٨٦) يتظاهر سقراط بأنه يتحالف مع بروتاجوراس للرد على رأى «العامة» أو رأى « الكثرة » بينما هو يسود على ما يفهم رأى بروتاجوراس نفســـه الذى لا يـــريد هـــذا أن يعترف به « خجلا » (قارن على الخصوص ٣٣٣ ب ـــ جـ ، ٣٥٢ ب ـــ د ، ٣٥٩ جـ) • وحول موقف العامة ، قارن « مينون » ، ٧٧ جـ •

تقولون عن هذه الأشياء انها سيئة ؟ (د) هل باعتبار أنها تجلب تلك اللذة فى اللحظة الحاضرة وأن كلا منها ممتع ؟ أم باعتبار أنها تسبب فى الزمن المستقبل الأمراض والفقر للكثير وتؤدى الى الكثير مما شابههما ؟ واذا هى لم تؤد فى المستقبل الى شىء من هذا ، بل لم تحدث الا الامتاع ، فهل ستبقى أشـياء سيئة مع ذلك مهما يكن الامتاع الذى تحدثه ومهما تكن طريقتها فى ذلك ؟ » هل يمكن أن نعتقد يا بروتاجوراس أن الاجابة ستكون شيئا غير القول بأن هذه الأشياء من وجهة نظر انتاجها للذة فى اللحظة الحاضرة ليست سـيئة ، (هـ) ولكنها كذلك من حيث ما تنتجه فى المستقبل من أمراض وغير ذلك ؟

فقال بروتاجوراس : بل أعتقد أن اجابة الجمهور ستكون هكذا .

— « ولكن لأنها تحدث الأمراض فانها ستحدث الآلام ، ولأنهـا تحدث الفقر فانها سـتحدث الآلام ؟ » انهم سيتفقون على هـذا فيما أعتقـد .

فوافق بروتاجوراس على ذلك .

— « ولكن يبدو ، أيها الاخوان (٢٨٧) ، اذن ، أن هذه الأشياء ، بحسب ما نقول أنا وبروتاجوراس ، ليست سيئة فى نظركم الا لأنهـا تنتهى الى الآلام (٣٥٤) وتحرمكم من لذات أخر ؟ » هل سيوافقون على هـذا ؟

فوافقنى بروتاجوراس على ذلك .

— والآن فلنفترض أننا سألناهم السؤال المضاد : « أيها الناس ، يا من تقولون هـذه المرة ان هناك من الأشـياء الحسنة ما هو مؤلم ،

---

(٢٨٧) الحديث لا يزال موجها الى الجمهور أى العامة .

ألا تقصدون بهذا شيئا من هذا القبيل : مثلا التمرينات الرياضية والحملات الحربية وألوان العلاج التى يأمر بها الطبيب سواء منها ما كان علاجا بالكى أو بالبتر أو علاجا بالأدوية أو بالامتناع عن طعام وشراب ، فهذه كلها أشياء حسنة ولكنها من جهة أخرى مؤلمة ؟ » هل سيقولون بذلك ؟

فوافق بروتاجوراس على هذا .

(ب) « وهل تسمونها حسنة لأنها تنتج فى اللحظة الحاضر آلاما شديدة وعذابا ، أم لأنها تؤدى فى المستقبل الى الصحة والى حسن تكوين الجسم والى أمن الدول والى السيطرة على الآخرين والى الثروة ؟ (٢٨٨) » سيقولون أن نعم ، فيما يبدو لى .

فوافق على هذا .

ـــ « فهل هذه الأشياء اذن حسنة لشىء الا لأنها تنتهى الى اللذات والى التخلص من الآلام أو تفاديها ؟ أم أن لديكم غاية أخرى (جـ) تقولون بها وتضعونها فى اعتباركم حينما تسمون هذه الأشياء خيرات ، غاية أخرى غير اعتبار اللذات والآلام ؟ » (٢٨٩) وسيقولون انه ليست لديهم من غاية أخرى ، فيما أعتقد .

فقال بروتاجوراس : أعتقد هذا .

ـــ « اذن فأنتم تجرون وراء اللذة باعتبارها خيرا ، وتهربون من الألم باعتباره شرا » ؟

فوافق بروتاجوراس على هذا .

---

(٢٨٨) وهذه كلها منظورا اليها على أنها خيرات .

(٢٨٩) الأساس فى كل هذا ، كما سيتضح على الفور ، القول بأن الخير هو اللذة وأن الشر هو الألم .

ـ اذن فأنتم تعتبرون الألم شرا واللذة خيرا ، حيث أن الاستمتاع نفسه تقولون عنه انه شر حينما يعوق دون حدوث لذات أكبر من تلك التى يوفرها هو نفسه ، أو حينما يؤدى الى آلام أعظم من (د) اللذات التى يحتويها . ذلك أنه لو كنتم تسمون الاستمتاع نفسه شرا بالنظر الى غاية أخرى مختلفة ، اذن لاستطعتم أن تذكروها لنا ، ولكنكم لا تستطيعون » .

فقال بروتاجوراس : ولا أعتقد أنا أيضا أنهم يستطيعون ذكر غاية أخرى .

ـ « وألا يجب من جديد أن نتحدث عن الألم على نفس الطريقة ؟ ألا تسمون التألم ذاته خيرا ، حينما يخلصكم من آلام أكبر من تلك التى يحتويها ، أو حينما يؤدى الى لذات أعظم من آلامه ؟ ولو كنتم تسمون التألم ذاته خيرا وأنتم تنظرون الى غاية أخرى مختلفة (هـ) غير تلك التى أقولها ، اذن لاستطعتم ذكرها لنا ، ولكنكم لا تستطيعون » (٢٩٠) .

فقال بروتاجوراس : قلت حقا .

واستطردت : « والآن اذا حدث وسألتمونى أيها الاخوان : « ومن أجل ماذا اذن نتحدث مثل هذا الحديث الطويل وعلى هذه الصور المتنوعة ؟ » فانى سأقول : « اعذرونى (٢٩١) : ذلك أنه ، أولا ، ليس

---

(٢٩٠) لهذا احد معنيين أو كلاهما : الأول والأهم هو أن الحوار ينتهى بالضرورة الى القول بأنه ليس هناك من غاية غير اللذة ، والثانى أن الجمهور لا يمكن أن يقول بوجود غاية أخرى غير هذه . ولنكرر أن سقراط يعرض نظرية فى الخير والسعادة لا يقبل مؤرخو أفلاطون نسبتها اليه .

(٢٩١) أو « افهمونى » .

من السهل توضيح ما تسمونه بالوقوع تحت تأثير اللذات ، وثانيا أنه على هذه المسألة يقوم كل البرهان . ومع ذلك فانه لا يزال بمستطاعكم أن ترجعوا عما قلتم (٣٥٥) اذا تراءى لكم ، على نحو أو آخر ، أن الخير شيء مختلف عن اللذة أوأن الشر شيء مختلف عن الألم . أم أنه يكفيكم أن تقضوا حياتكم كلهـا فى متعة وبلا آلام ؟ فاذا كان هـذا يكفيكم ولم يكن لديكم شيء تقولونه عن طبيعة الخير والشر لا يرجع بهما الى ذلك (٢٩٢) ، فانصتوا اذن الى ما يلى . فانى أقول لكم انه اذا كان الأمر كذلك فان قولكم (٢٩٣) سيكون مضحكا حينما تدعون أن الرجل غالبا مايعرف أن الأشياء السيئة سيئة ، ولكنه مع ذلك لفعلها ، ورغم أنه يمكنه ألا يفعلها ، وذلك لأن اللذات (ب) هى التى تملك عليه أمره وتعميه . وكذلك أيضا حينما تقولون ان الرجل وهو يعرف الخير لا يريد أن يفعله وذلك بسبب اللذات الحاضرة التى يكون واقعا تحت تأثيرها . أما أن هذه الأقوال مضحكة ، فهو ما سيتضح تماما اذا أقلعنا عن استعمال أسماء متعددة فى نفس الوقت ، « كالممتع » و « المؤلم » و « الخير » و « الشر » ، وحيث أنه ظهرت لنـا ثنائية ، فلنستخدم اسمين اثنين من هذه الأسماء ، « الخير » و « الشر » أولا ، ثم بعد ذلك « الممتع » (جـ) و « المؤلم » ثانيا . والآن فلنقل ، بعد أو وضعنا هذا ، ان الرجل، وهو يعرف الشرور على أنها شرور ، يفعلها مع ذلك . واذا سألنا أحد : « ولمـاذا ذلك ؟ » ، فانا سنقول : « لأنه واقع تحت سيطرة » ، « سيطرة ماذا ؟ » ، سيسأل السائل ، فنجيب بحق زيوس : « سيطرة الخير » . واذا حدث وكان سائلنا مكابراً فانه سيضحك (د) ويقول : « لكم هو

---

(٢٩٢) اى إلى اللذة والألم .

(٢٩٣) المذكور فى بداية الحوار معهم (٣٥٢ ب — جـ) ، و « مضحك » تعنى غير متسـق ومتناقض . والمذهب الذى سيلى ذكـره هو ما كان يعارضه سقراط التاريخى بقـوله : « الفضيلة معرفة » ، فمن عرف عمـل بمـا عرف .

مضحك ما تقولون ، اذا كان المرء يفعل الشر ، وهو يعرف أنه شر ، وليس هناك ما يوجب عليه أن يفعله ، لكم هو مضحك أن تقولوا ان المرء يفعل ذلك وهو تحت سيطرة الخير » ، ثم قد يستطرد : « سيطرة الخير الجدير بالانتصار على الشر فى داخل أنفسنا أم غير الجدير بذلك الانتصار ؟ »

وواضح أننا سنقول اجابة على سؤاله : « من غير الجدير ، والا لما أخطأ ذلك الذى نقول انه واقع تحت سيطرة الملذات » • وربما قال : « ولكن ما الذى يجعل الخيرات غير جديرة بأن تكون شرورا والشرور غير جديرة بأن تكون خيرات ؟ هل ذلك شىء آخر الا عندما يكون البعض أكبر (هـ) والبعض الآخر أصغر ، أو أن يكون البعض أكثر عددا والبعض الآخر أقل عددا ؟ » ونحن لن نكن قادرين على قول شىء آخر غير هذا • وعندئذ سيقول السائل : « فان الواضح اذن أن ما تسمونه بالوقوع تحت السيطرة انما هو أخذ شرور مقابل خيرات أصغر » • والواقع أن الأمر كذلك بالفعل •

والآن فلنغير من الأسماء ولنأت الى « الممتع » و « المؤلم » ونستخدمهما فى نفس الحالات ، ولنقل : ان الرجل يفعل ، كما كنا نقول منذ لحظة ، الشر ، ولنقل الآن المؤلم ، عارفا أنه مؤلم ، وذلك لأنه يكون واقعا (٣٥٦) تحت سيطرة المتع ، وواضح أنه غير جدير بالانتصار • وهل هناك تفاوت فى الجدارة بين اللذة والألم غير الزيادة والنقصان بازاء بعضها والبعض ؟ فهذه تصير أكبر أو أصغر بالقياس الى البعض الآخر ، أو أكثر أو أقل أو أزيد او انقص •

واذا قال قائل : « ولكن لكم يختلف الممتع الحاضر ياسقراط اختلافا كبيرا عن الممتع أو المؤلم الذى سيأتى فى المستقبل » ، فانى سأرد عليه : «هل يختلف بشىء غير اللذة والألم ؟ انه لا سبيل للاختلاف الا بهذا ، انما الأمر (ب) كأمر وزان ماهر يضع معا ، فى جانب من الميزان ، الأشياء

الممتعة وفى الجانب الآخر الأشياء المؤلمة ، ثم يضيف القريب والبعيد ، ليقول بعد ذلك أيهما أثقل . فاذا كنت تضع فى الميزان أشياء ممتعة مقابل أشياء ممتعة ، فينبغى أن تأخذ أكبرها وأكثرها عددا ، واذا وضعت آلاما مقابل آلام ، فينبغى أن تأخذ أقلها وأصغرها . أما اذا وضعت أشياء ممتعة فى مقابل آلام ، وكانت الآلام تقل عن المتعات ، سواء أقل القريب عن البعيد أو البعيد عن القريب ، فينبغى أن تسلك السلوك الذى يتحقق فيه هذا . أما اذا (جـ) قلت المتعات عن الآلام ، فينبغى عدم القيام بالسلوك (٢٩٤) . هل هناك ، أيها الأخوان ، هكذا سأقول لهم ، طريق آخر غير هذا ؟ » وانى لأعلم أنهم لن يستطيعوا قول شىء آخر غير هـذا .

فصدق بروتاجوراس على ذلك .

— بعد هذا سأقول : « فاذا كان الأمر كذلك ، أجيبونى عما يلى : ألا تبدو لكم نفس الأحجام كبيرة من قريب وصغيرة من بعيد ؟ أم ليس الأمر كذلك ؟ » .

— سيقولون انه كذلك .

— « وهكذا الأمر أيضا مع السُمك ومع الكثرة ؟ وأليست الأصوات المتساوية تبدو أعلى من قريب وأخفض من بعيد ؟ » .

— لا شك أنهم سيوافقون .

— « والآن فلنفترض (د) أن سعادتنا ستكون فى هذا : أن نفعل وأن نختار ما هو عظيم وأن نهرب مما هو صغير ولا نفعله ، فأين اذن

---

(٢٩٤) وهكذا يصبح السلوك الأخلاقى بحسب هذه النظرية أمر « حساب » للذات والآلام ، وهو ما يقربها كثيرا من النظرية « النفعية » فى الأخلاق عند الانجليزى « بنتام » على الخصوص .

سيكون المنقذ لحياتنا ؟ هل سيكون فن المقياس أم قوة المظاهر (٢٩٥) ؟ ولكن ألا تخدعنا هذه المظاهر وكثيرا ما تجعلنا نتصور نفس الأشياء على أنحاء متعارضة وتجعلنا نأسف في أفعالنا وفي اختياراتنا بالنظر الى الكبير والصغير ؟ أما فن القياس أفلا ينزع كل سلطة عن هذه الخيالات ، (هـ) ويوفر للنفس ، حين يكشف عن الحقيقة ، الهدوء الذى يأتى من ثباتها في الحقيقة ، ويكون بهذا المنقذ لحياتنا ؟ » هل سيوافقنا الناس على هذا : أن فن القياس هو هنا المنقذ لحياتنا ؟ أم أن هناك منقذا آخر ؟

فقال بروتاجوراس موافقا : بل هو فن القياس .

ـــ « واذا افترضنا أن انقاذ حياتنا يقوم على اختيارنا بين الأعداد الفردية والأعداد الزوجية ، وعلى حسن الاختيار بين العدد الأكبر والعدد الأصغر ، مع مقارنة كل منها ببعضها البعض أو مقارنة هذه بتلك ، وذلك بحسب القرب أو البعد ، فماذا اذن سيكون هو المنقذ (٣٥٧) لحياتنا ؟ ألن يكون ذلك هو علم ما (٢٩٦) ؟ وألن يكون هو علم قياس ، حيث أننا هنا بازاء فن يخص الافراط والتفريط ؟ وحيث أن هذا الفن ميدانه الأعداد الفردية والأعداد الزوجية ، أفلن يكون هو علم الحساب ؟ » هل سيوافقنا الجمهور من الناس على هذا أم لا ؟

وكان رأى بروتاجوراس نفسه أنهم سيوافقون على ذلك .

ـــ « حسن ، أيها الأخوان . ولكن ما دام يبدو لنا أن انقاذ حياتنا يقوم على الاختيار الصائب للذة والألم ، من حيث الكثرة والقلة

---

(٢٩٥) المرجح أن تكون كلمة « المظاهر » هنا (وقد أتت فى النص اليونانى فى المفرد phainomenon) اشارة الى مذهب بروتاجوراس الأشهر : « الانسان مقياس كل شىء » ، الذى يؤدى الى أن ما يظهر لى على أنه حق فهو كذلك .

(٢٩٦) ومغزى هذا أن حياتنا الأخلاقية تحتاج الى « علم » دقيق يقيس الزائد والناقص فى اللذات والآلام على غرار علم الحساب . راجع حول فكرة القياس فى الأخلاق ، محاورة « السياسى » ، ٢٨٣ د وما بعدها .

(ب) والعظم والصغر والبعد والقرب ، ألا يظهر أن البحث فى الافراط والتفريط والمساواة فيما بينها من علاقات يكون منهجا للقياس ؟ » •

— هذا ضرورى •

— « واذا كان هذا منهجا للقياس ، فمن الضرورى بلاشك أن يكون فنا وعلمـا ؟ » •

— انهم سيوافقون على ذلك •

— « أما عن ماهية هذا الفن وهذا العلم ، فاننا سنفحص ذلك فى مرة أخرى (٢٩٧) ، ويكفينا أنا وبروتاجوراس ، من أجل البرهان الذى يجب علينا (جـ) أن نعرضه حول المسائل التى أثرتموها أمامنا ، يكفينا القول انه علم ، وكان سؤالكم ، ان كنتم تتـذكرون ، عندما اتفقنـا فيما بيننا ، أنا وبروتاجوراس ، أنه ليس هناك ما هو أقوى من العلم ، وأنه ، أى العلم ، يسيطر دائما وحيثما وجد على اللذة وعلى كل شىء آخر ، أما أنتم فقد قلتم عنـد ذلك ان اللذة كثيرا ما تسيطر حتى على الرجل الذى لديه المعرفة ، ولمـا لم نوافقكم على ذلك فقد سألتمونا : « واذا لم يكن هذا ، يا بروتاجوراس وأنت يا سقراط ، هو حالة سيطرة اللذة ، فماذا تكون اذن وماذا تقولون عن طبيعتها ؟ أجيبونا » • (د) ولو كنا أجبناكم لحظتها على الفور ان هذه الحالة تسمى « الجهل » ، لكنتم سـخرتم منا ، أما الآن فانكم لو سـخرتم منا فستسخرون من أنفسكم أنتم أيضا : لأنكم قد اعترفتم أن من يخطىء فى موضوع الاختيار بين اللذات والآلام انمـا يخطىء بسبب نقص علمه ، وما هـذه اللذات والآلام الا الخيرات والشرور ، ليس فقط بسـبب نقص فى العـلم ،

(٢٩٧) هـل يعنى هـذا ان افلاطـون كان امامه وقت كتـابة المحـاورة صورة ما حول هـذا « العلم » الجديد ولكنه لا يريد إخراجها الى النـور هنا ؟ هـذا ممكن ومحتمل ، وربمـا تكون الاشـارة الى ما سيظهر فى محاورة « أوثيديموس » (٢٨٨ د وما بعدها) تحت اسم « علم الخـير » •

بل نقص فى ذلك العلم الذى اعترفتم منذ قليل أنه علم القياس • والآن فانكم تعرفون أنتم أنفسكم لا شك أن السلوك الخاطىء (هـ) بسبب غياب العلم هو السلوك عن جهل ، بحيث أن الوقوع تحت سيطرة اللذة يكون هو أكبر أنواع الجهل ، هذا الجهل الذى يعلن بروتاجوراس هذا أنه طبيبه وكذلك بروديقوس وهبياس (٢٩٨) • أما أنتم يا من تعتقدون أن هذه الحالة ليست هى الجهل فانكم لا تذهبون أنتم أنفسكم ولا ترسلون أبنائكم الى معلمى هذه الأمور هؤلاء ، أن وهو السفسطائيون، وذلك حيث أنكم لا تعتبرون أنها (٢٩٩) يمكن أن تكون موضوعا لتعليم • ولكنكم بحرصكم على نقودكم ومنعكم لها عن هؤلاء السفسطائيين لاتحسنون صنعا لا فيما يخص حياتكم الخاصة ولا حياتكم العامة (٣٠٠)» •

(٣٥٨) هذا هو ما سنجيب به على الجمهور • والآن فانى أسألكما مع بروتاجوراس ، أنت يا هبياس وأنت يا بروديقوس (لأن المناقشة يجب أن تكون مفتوحة أمامكم) ان كان ما قلت يبدو لكما حقا أم أننى على خطأ •

ـــ فقالوا جميعا ان كلامى كان حقا أعظم ما يكون الحق •

فقلت : فأنتم اذن توافقون على أن الممتع خير وأن المؤلم شر • أما تخصيصات بروديقوس للأسماء فلعله يعفينى منها ، فسواء ان قلت الممتع أو اللذيذ أو المفرح ، وسواء ان أتيت كما يحلو لك بهذه التخصيصات (ب) للأسماء من هنا أو هناك ، على هذا النحو أو ذاك ، فانما أجبنى ، يا بروديقوس العظيم ، على ما أريد أنا •

فوافق بروديقوس ضاحكا ، وكذلك الآخرون •

---

(٢٩٨) اعلان عن بضاعة السفسطائيين يقوم به سقراط ماكرا •
(٢٩٩) اى الفضيلة •
(٣٠٠) راجع ٣١٨ هـ — ٣١٩ أ •

ـ والآن ، أيها الصحاب ، ماذا ترون فى هذا ؟ أليست كل ألوان السلوك التى تهدف الى حياة بلا آلام وممتعة ، أليست جميلة ؟ وأليس الفعل الجميل خير ومفيد ؟

فوافقوا على ذلك .

واستطردت : واذا كان الممتع هو الخير ، فانه لن يكون هناك شخص يعرف أو يعتقد أن هناك أشياء أخرى أفضل (جـ) مما يفعل ، وأنه قادر عليها ، ثم يفعل نفس ما يفعل ، مع أن فى استطاعته فعل الأفضل . وحينما يكون أقوى من نفسه فليس هذا شيئا آخر غير الحكمة .

فأجمعوا كلهم عى ذلك .

ـ كيف ؟ ان ما تسمونه بالجهل ، أليس شيئا كهذا : أن يكون لدى المرء ظن (٣٠١) خاطىء وأن يخطىء فى الحكم بخصوص أشياء ذات أهمية عظيمة ؟

وعلى هذا كذلك صدقوا جميعا .

وعدت أقول : وأليس صحيحا أن أحدا لا يذهب الى ما هو شر بارادته ولا الى ما يعتقد أنه شر (٣٠٢) ، وأنه ليس (د) من طبيعة الانسان ، بحسب ما يبدو ، أن يختار الذهاب الى ما يعتقد أنه شر بدلا من الذهاب الى ما يعتقد أنه خير ؟ وأنه حينما يجبر الانسان على الاختيار

---

(٣٠١) doxa . وراجع حول الفقرة السابقة ، « الجمهورية » ، ٤٣٠ هـ .

(٣٠٢) وهذا مذهب سقراطى رئيسى هو الآخر : لا يوجد من يقترف الشر بارادته ، وانما ذلك يتم دائما عن جهل بما هو خير وبما هو شر . حول تطور رأى افلاطون بشأن هذا المذهب ، راجع تعليق Taylor ص ٢٠٣ .

بين شرين فان أحدا لن يختار الشر الأكبر حينما يكون فيمستطاعه اختيار الأصغر (٣٠٣) .

فصدق الجميع على كل ما جاء فى كلامى .

فقلت : والآن ؟ هل هناك شيء تسمونه « الخشية » و « الخوف » ؟ وهل عساه يكون نفس ما أقصد ؟ أننى أقصد به (وأنا هنا أتجه بالحديث اليك يا بروتاجوراس) نوعا من توقع الشر ، وسموه بعد هذا خوفا ان شئتم أو خشية .

فكان رأى بروتاجوراس ورأى هيياس أن الخشية والخوف هما هذا ، (هـ) أما بروديقوس فقال ان ذلك هو الخشية ولكنه ليس الخوف .

فقلت : لا يهم هـذا يا بروديقوس ، انما المهم ها هـو : اذا كان ما قلنـاه من قبل حقا ، فهل سيكون هناك انسان يرغب فى الذهاب الى ما يخشـاه ، على حين أن فى استطاعته الذهاب الى ما لا يخشاه ؟ أليس هذا غير ممكن اعتمادا على ما اتفقنا عليـه ؟ وقد حدث أن اتفق على أن ما يخشاه المرء هو ما يعتقد أنه شر ، وأن ما يعتقد المرء أنه شر فان أحدا لا يذهب اليه ولا يأخذ به بارادته .

وقد كان هذا رأى (٣٥٩) الجميع كذلك .

فقلت : والآن وقد وضعنا هذا ، فانه يبقى أن يدافع بروتاجوراس أمامنا عن صحة ما كان قدمه من اجابات أولا : ليس تلك الاجابات التى قالها بادىء ذى بدء ، من أنه ليس هناك بين أجزاء الفضيلة الخمس واحد يشبه الآخر وأن لكل منها وظيفته الخاصة به (٣٠٤) ، ليس هذا ما أقصد ،

---

(٣٠٣) هنا تنتهى « الدورة الكبرى » (راجـع هامش ٢٨٥) ، ويعـود سقراط الى الصلة بين الشجاعة والعلم (راجع ٣٤٩ د — هـ) ، بادئا بتلخيص عام لكل الخطوات السابقة .

(٣٠٤) راجع هامش (١٢٨) .

بل ما قاله بعد ذلك من أن هناك أربعة منها تتشابه فيما بينها الى حد كبير بما فيه الكفاية ، (ب) وان هناك واحدا يختلف اختلافا كبيرا عن الآخرين، ألا وهو فضيلة الشجاعة • وقد قال لى أننى سأدرك ذلك بالعلامة التالية : «فالواقع أن هناك رجالا لا يعرفون التقوى على الاطلاق وأكثر ما يكونون ظلما وبعـدا عن الاعتـدال وأكثر ما يكونون جهلا ، ولكنهم مع ذلك شجعان جدا ، وبهذا فانك ستدرك أن الشجاعة تختلف اختلافا واسعا عن بقية أجزاء الفضـيلة » • وقد دهشـت لحظتهـا على الفور من هذه الاجابة (٣٠٥) ، ولقد زادت دهشتى أكثر بعد هذه المناقشات معكم • فسألته عند ذلك اذا كان يعتبر الرجال الشـجعان مقدامين ، فأجاب : « مقدامون (ج) وجسورون » • هل تتذكر يا بروتاجوراس اجابتك هذه؟

فأجاب بالايجاب •

فقلت : حسنا ، فقل لنـا الآن أى شىء فى رأيك يجابهه الرجال الجسورون ؟ هل هو نفس ما يجابهه الجبناء ؟

فقال : كلا •

ـ اذن فهو شىء مختلف ؟

فأجاب : نعم •

ـ وألا يذهب الجبناء الى مواطن الأمان بينما يذهب الشجعان الى مواطن الخطر ؟

ـ هذا هو ما يقوله الناس يا سقراط (٣٠٦) •

فقلت له : ما تقول صحيح ، ولكن ليس هذا (د) ما كنت عنـه أسألك ، انما عن رأيك فى موضوع جسارة الرجال الشجعان ، ما هو ؟ هل هو الأشـياء الخطرة ، مع اعتقادهم أنهـا خطرة ، أم هو ما ليس كذلك ؟

---

(٣٠٥) راجع ٣٤٩ د وما بعدها .
(٣٠٦) راجع هامش (٢٨٦) .

فقال : ولكن حججك التى ذكرتها منذ قليل أوضحت أن هذا غير ممكن •

وقلت : وهذا الذى تقوله صحيح هو الآخر ، بحيث أنه لو كان ما أوضحنا صحيحا فلن يكون هناك أحد يذهب الى ما يعتقد أنه خطر ، وذلك حيث أننا وجدنا أن كون المرء أضعف من نفسه هو الجهل (٣٠٧)•

فوافق على هذا •

وعلى هذا فان الجميع اذن ، الجبناء والشجعان سواء بسواء ، يذهبون الى مواطن الأمان ، وسيذهب الى نفس الأشياء (هـ) الجبناء والشجعان •

فرد بروتاجوراس : ولكن مع هذا يا سقراط فان ما يذهب اليه الجبناء هو على العكس تماما مما يذهب اليه الشجعان ، وعلى سبيل المثال فان البعض يرغب فى الذهاب الى الحرب ، أما البعض الآخر فلايحب ذلك (٣٠٨) •

فقلت : وهل الذهاب الى الحرب شىء جميل أم قبيح ؟

فقال : هو شىء جميل •

ــ وألم نتفق فيما سبق أن ما هو جميل فانه خير كذلك ؟ لأننا اتفقنا فى الواقع على أن الأفعال الجميلة كلها أفعال حسنة •

ــ تقول حقا ، ولا زلت من جانبى على هذا الرأى •

---

(٣٠٧) راجع ٣٥٧ جـ ، ٣٥٨ جـ •

(٣٠٨) اعتراض من بروتاجوراس ، وسقراط يرد عليه ببيان أن عدم الرغبة فى الذهاب الى الحرب انما هو ناتج عن الجهل بما هو خير وحسن وممتع (٣٦٠ ب) •

ورددت : وأحسنت بذلك • (٣٦٠) ولكن من هم فى رأيك الذين لا يرغبون فى الذهاب الى الحرب ، هل هم المهذبون الأفاضل ؟ (٣٠٩) •

فقال : بل هم الجبناء •

وقلت : ولكن كون المرء مهذبا فاضلا ، أليس ذلك ممتعا أيضا ؟

فقال : لقد اتفق على ذلك على الأقل •

— وهل لا يريد الجبناء أن يذهبوا الى ما هو أجمل وأفضل وأمتع وهم على بينة من أمرهم ؟

فرد قائلا : ولكن من سيقول بهذا سينقض ما اتفق عليه من قبل •

— وماذا عن الشجعان الآن ؟ ألا يذهبون الى ما هو أجمل وأفضل وأمتع ؟

فقال : هناك ضرورة أن نوافق على ذلك •

— وبصفة عامة أليس (ب) الشجعان لا يتخوفون ، عندما يصيبهم الخوف ، من مخاوف قبيحة ، وأنهم عندما يجسرون فليس فى جسارتهم شىء قبيح ؟ (٣١٠) •

فقال : هذا حق •

— ولكن ما ليس قبيحا ، ألا يكون جميلا ؟

فوافق على ذلك •

— والجميل هو الحسن ؟

— نعم •

— اذن فالجبناء والمتهورون والمجانين ، على العكس من ذلك ، يتخوفون من مخاوف قبيحة وجسارتهم جسارة قبيحة •

---

(٣٠٩) kalon on kai agathon.

(٣١٠) اى ان مخاوفهم ليست قبيحة وجسارتهم ليست هى الأخرى قبيحة •

فوافق عى هذا .

— ولكن اذا كانوا يجسرون على أشياء قبيحة وسيئة ، فهل هناك من سبب لذلك الا عدم الادراك والجهل ؟

(جـ) فقال : هو كذلك .

— كيف اذن ؟ والذى به يكون الجبناء جبناء ، هل تسميه الجبن أم الشجاعة ؟

فقال : بل الجبن .

— وألم يبدوا جبناء بسبب جهلهم بما هو خطر ؟

فقال : تماما .

— اذن فهم جبناء بسبب هذا الجهل ؟

فوافق على ذلك .

— والذى هم به جبناء ، أنت توافق على أنه الجبن ؟

فوافق على هذا .

— وهكذا فالجهل بالخطر من الأمور وما ليس بخطر ، هذا هو الجبن ؟

فأشار أن نعم (٣١١) .

فقلت : ولكن الشجاعة ، أليست هى (د) الضد للجبن ؟

— نعم .

— ولكن معرفة الخطر من الأمور وغير اخطر هو ضد الجهل بهذه الأمور ؟

---

(٣١١) هنا وفيما سيلى سيرفض بروتاجوراس أن يلفظ بشىء بعد أن شعر بالتناقض الذى أوقعه سقراط فيه .

وهنا أيضا أشار برأسه موافقا •

— ومن جهة أخرى فان الجهل بهذه الأشياء هو الجبن ؟

وهنا أشار موافقا فى صعوبة كبيرة •

— اذن فمعرفة الخطر من الأمور وغير الخطر هو الشجاعة ، وهى الضد للجهل بهذه الأمور ؟

وهنا لم يشأ بروتاجوراس أن يصدر أية اشارة ولزم الصمت •

فقلت له : كيف يا بروتاجوراس ؟ ألا تجيب على سؤالى بالايجاب أو بالنفى ؟

فقال : أكمل أنت بنفسك •

فقلت له : لم يبق عندى الا (هـ) سؤال واحد أطرحه عليك : هل لا زلت تظن ، كما كان الحال فى البدء ، أن هناك رجالا جهلة أعظم الجهل وأنهم مع ذلك أعظم ما يكونون شجاعة ؟

فرد قائلا : انك تصر يا سقراط ، كما هو ظاهر ، على أن تكون لك الغلبة (٣١٢) بأن أجيبك على أسئلتك • ولهذا فانى سأهبك هذه المتعة ، وأقول : انه يبدو لى أن ذلك غير ممكن بحسب ما سبق أن اتفقنا عليه (٣١٣) •

فقلت له : ليس وراء كل هذه الأسئلة الا رغبتى فى فحص ما يخص المشكلات المرتبطة بالفضيلة ، وفحص طبيعة هذا الشىء : الفضيلة ذاتها •

---

(٣١٢) philonikein ، حرفيا « محبة الانتصار » ، وكانت هدف المتصارعين بالكلمة والخطباء ، وقد استعملها كريتياس فى حديثه عن القبيادس (٣٣٦ هـ ١) •

(٣١٣) نقطة منهجية هامة : الحوار « يجبر » المتحاور مع سقراط على الاعتراف بما قد لا يود الاعتراف به والذى تؤدى اليه سلسلة الاتفاقات التفصيلية التى لا يرى المتحاور مغزاها أو متضمناتها الا أخيرا فى نهاية الحوار •

ذلك أنني على يقين أنه لو صار هذا واضحا (٣٦١) لأصبح ذلك الموضوع الآخر على أوضح ما يكون ، وهو الموضـوع الذى امتدت بشأنه كلماتنا أنا وأنت : أنا قائلا ان الفضيلة لا يمكن أن تعلم ، وأنت انها على العكس من ذلك يمكن أن تعلم . وان خاتمة مناقشاتنا هذه تبدو لى كرجل يشير بأصبع الاتهام الينا ويضـحك ساخرا منا ، واذا حدث وتكلم فلعله كان سيقول: « يا لغرابتكما ، يا سقراط وأنت يابروتاجوراس، فأنت وقد كنت تقول فيما سبق أن الفضيلة لا يمكن أن تعلم ، تجتهد الآن فى مناقضة نفســك (ب) وتحاول البرهنة على أن كل شىء علم ، بما فى ذلك العدالة والاعتدال والشجاعة ، بحيث يظهر على هذا النحو أوضـح ظهور أن الفضيلة يمكن أن تعلم . ذلك أنه لو كانت الفضيلة شيئا آخر غير العلم ، كما حاول بروتاجوراس أن يقول ، فانه واضح أنها لن تكون موضوعا للتعليم . أما اذا بدا الآن أنها كلها علم ، كما اجتهـدت أنت يا سقراط فى بيان ذلك ، فانه سيكون عجيبا لو أنه لم يكن ممكنا تعليمها! أما بروتاجوراس فانه بعد أن أقام حديثه على أن الفضيلة يمكن أن تعلم ، يبدو الآن على الضـد من ذلك مجتهدا فى اظهار أنها بعيدة عن (جـ) أن تكون علما ، وهكذا بحيث أنها ستكون أقل شىء يمكن أن يكون موضوعا للتعليم » .

وأنا ، يا بروتاجوراس ، حين أشاهد هذا الاضطراب الرهيب الذى قلب موضع كل شىء ، ماأشدها ما يملأنى الحماس من أجل ايضاح كل ذلك، ولكم أود بعد هذه المناقشـات أن نأتى الى مناقشـة طبيعة الفضـيلة ما هى (٣١٤) ، وأن نعـود الى فحص ان كان يمكن تعليمهـا أم كانت غـير ممكنـة التعليـم ، وذلك حتى لا يكـون ابيميثيوس ، شـخصية أسـطورتك ، (د) قد مكر بنا وخدعنا فى بحثنـا ، مثلما حدث منه فى توزيعه للأنصبة علينا ، بحسب ما تقول (٣١٤مكرر) . لهذا فانى أميل فى

---

(٣١٤) وهذا هو الموضوع الجدير باولوية المطلقة كما سنرى من « مينون »، ٧١ ب ، ٨٦ د وخاصة ١٠٠ ب .

(٣١٤مكرر) أنظـر ٣٢١ جـ .

أسطورتك الى بروميثيوس أكثر بكثير من ابيميثيوس : فأنا استخدمه نموذجا لى وأتدبر مقدما حول كل حياتى وأشغل نفسى بهذه الأمور كلها، واذا أنت شئت ، كما سبق أن قلت فى البداية ، فانه سيسعدنى أعظم السعادة أن أفحص معك تلك الأمور فحصا شاملا .

فقال بروتاجوراس : أما أنا فانى أمتدحك يا سقراط لحماسك ولمنهجك فى تناول المشكلات . ذلك (هـ) أننى لا أعتقد انسان سىء بصفة عامة ، ولكننى على الأقل أقل البشر غير من الآخرين (٣١٥) ، ولهذا فانى قلت عنك أمام كثيرين أنك ، من بين من قابلتهم ، الذى أعجبت به أعظم اعجاب وأنك تفوق كثيرا من يقاربوك فى السن . وانى أضيف أننى لن أدهش اذا صرت يوما من بين الرجال المشهورين بالحكمة (٣١٦) . أما فيما يخص تلك المسائل ، فلنؤجل مناقشتها الى حين آخر ان شئت ؛ فلدى الآن على الفور شىء آخر أفعله (٣١٧) .

(٣٦٢) فقلت له : بل هذا هو ما ينبغى أن نفعل ، ما دمت ترى ذلك . ومن جانبى فقد كان على أن أذهب منذ مدة طويلة الى حيث قلت أننى ذاهب ، ولكننى بقيت من أجل ارضاء كالياس الجميل (٣١٨) .

بعد أن تحدثنا هكذا كلانا وأنصتنا كل منا للآخر ، انصرفنا .

انتهت محاورة « بروتاجوراس »

---

(٣١٥) لاحظ أن بروتوجوراس قد هزم فى النقاش .
(٣١٦) sophia . وسن سقراط وقت قيام الحوار الافتراضى هو حوالى الأربعين .
(٣١٧) قارن « أوطيفرون » ١٦ هـ .
(٣١٨) راجع ٣٣٥ جـ — د .

ملحـــق

حـــول وقت الحوار وتاريخ تأليف المحاورة

حيث أن ولدى بيريكليز ، اللذين نعرف انهما راحا ضحية الطـــاعون الذى اجتاح أثينا عام ٤٢٩ ق٠م٠ ، يظهران فى مجلس الحوار ، فان الحد الأدنى لوقته يكون ذلك العام ، أى لا يمكن أن يكون بعـــد ذلك التاريخ ، بل قبله ٠ وحيث أن بروتاجوراس يقول انه فى سن الوالد لجميع الحاضرين (٣١٧ ب — ج) ، واذا قبلنا انه ولد عام ٤٩٠ ، وان كان البعض يقول بعام ٤٨٠ ، فانه لابد من جعل تاريخ الحوار قريبا من ذلك الحد الأدنى ، وذلك حتى يكون بروتاجوراس فى حوالى الستين ، وفى سن الوالد لجميع الحاضرين ٠ وعلى هـــذا فان حوالى عام ٤٣٠ هو تاريخ ممكن ، وان كان البعض (Taylor ، ص ٣٤، وكذلك Adam ، ص ١١١) يرى تقديم هـــذا التاريخ بعض الشىء ، ليصبح سابقا على قيـــام حرب البيلوبونيز بين أثينا واسبرطة (٤٣١ ق٠م٠) ، ويختارون عام ٤٣٣ أو ٤٣٢ ٠

وبالطبع ، وحسب الافتراض الأساسى القائل بأن محاورات أفلاطون التى يظهر فيها سقراط انما هى من تأليف أفلاطون وتعرض أفكاره هـــو ، ما اتفق فيها مع سقراط وما اختلف ، فان وقت الحوار لا يهم كثيرا ، لأنه مجرد اصطناع من جانب أفلاطون ، وهو أحيانا ما يعتدى عليه بذكر حدث لا يتفق زمنيا مع وقت الحوار المفترض (ويحدث هـــذا فى محاورتنا هـــذه حين يشير أفلاطون ،فى ٣٢٧ د ، الى مسرحية نعـــرف من التاريخ أنهـــا لم تعرض على المسرح الا عام ٤٢٠ ق٠م٠ ، أى بعد تسع سنوات من عـــام الحـــد الأدنى ، وهو ٤٢٩) ٠

انما الذى يهمنا كثيرا هو تاريخ تأليف أفلاطون للمحاورة ٠ ولمـــا كانت المحاورة لا تحتوى على أى دليل صريح يساعد على التحـــديد ، فان آراء المؤرخين قـــد اختلفت اختـــلافا بينـــا ٠ فهنـــاك ، مثل فـــون آرنيم (von Arnim) ، من يذهب الى حـــد القول بأنها أولى أولى المحاورات التى ألفها أفلاطون على الاطلاق (Jaeger ، ص ١٠٧ ، هامش ٢) ، وهناك (A.E. Taylor ، ص ٢٣ ، هامش ١) من يجعلهـــا تالية على

« جورجياس » وعلى « فيدون » . ولكن اتجاه غالبية الباحثين ، بالاعتماد على الظواهر اللغوية ومنحنى التطور المذهبى لأفلاطون وتشابه المشكلات والاتجاهات ، يقول بان المحاورة تنتمى الى فترة الشباب . ولكن اذا كان البعض يضعها فى وقت مبكر بعض الشىء (مثل Robin ، الذى يجعلها ثالثة ما ألف أفلاطون من محاورات ، وراجع ص XIII من كتابه حيث يبدو أنه يميل الى جعل تاليفها قبل عام ٣٩٩ ، وهو عام اعدام سقراط) ، الا أن الأغلبية ، ونحن معها ، ترى تاخيرها الى أواخر العقد الأول من القرن الرابع ق.م. ، أى ما بين ٣٩٣ ، ٣٩٠ ، حيث من الواضح أنها تفترض عددا من المحاورات الأخرى ، مثل « لاخيس » و « خارميديس » و « ليزيس » (راجع Jaeger ، ص ١٠٧ ، هامش ٢ ، Adam ج ص ١١ ، Schuhl ، ص ٦٠) .

المراجـــع

أولا : ترجمات وتعليقات :

Adam, J. and Adam, A.M., Platonis Protagoras (1893) Cambridge, 1975 ed.

Calogero, G. Plantone. II Protagora .., Firenze, 1973.

Chambry, E., Platon. Oeuvres complètes, t. 2, Paris.

Croiset, A., Platon. Oeuvres complètes, Protagoras, t. III, 1, Coll. G. Budé, Paris.

Guthrie, W.K.C., Plato. Protagoras and Meno, Penguin Classics, London, 1956.

Jowett, B., The Dialogues of Plato, vol. 1, Oxford, 1953 ed.

Lamp, W.R.M., Plato. Laches, Protagoras .., Loeb Coll., London, 1924.

Robin, L., Platon. Oeuvres complètes, t. 1, La Pléiade, Paris, 1950.

Taylor, C.C.W., Plato. Protagoras, Oxford, 1976.

Vlastos, G., ed., Plato. Protagoras, Jewett's Translation .., New York, 1956.

ثانيا : مؤلفات عامة ودراسات :

Adkins, A.W.H., Merit and Responsamility, Oxford, 1960.

Clapp, J.G., «Some Notes on Plot's Protagoras», Philosophical and Phenomenological Research, 10, 1949 - 50 pp. 486 - 499.

Crombie, I.M., An Examination of Plato's Doctrines, 2 vol., London, 1962 - 63.

Plato. The Midwife's Apprentice, London, 1964.

Festugière. A.J., «Sur un passage difficile du Protagoras», in Etudes de philosophie grecque, Paris, 1971. pp. 315 - 322.

Callop, D., «The Socratic Paradox in the Protagoras», Phronesis, VI, 1960, pp. 86 - 93.

Goldschdmidt, V., Les dialogues de Platon, 3 eme éd., Paris, 1963.

Jaeger, W., Paideia, Ideals of Greek Culture (eng. trans.), vol. 2, Oxford, 1965.

Kerferd, G.B., «Protagoras Doctrine of Justice and Virtue in the Protagoras of Plato», Journal of Hell. Studies, 73, 1953, pp. 42 - 45.

Moreau, J., La construction de l'idéalisme platonicien, Paris, 1939.

, Le sens du platonisme, Paris, 1967,

Morrison, J.S., «The Place of Protagoras in Athenian Public Life», Class. Quart., 35, 1941, pp. 1 - 16.

O'Brien, M.J., The Socratic Paradoxes and the Greek Mind, Ch. Hill, 1967.

Raven, J.C., Plato's Thought in the Makin, Cambridge, 1965.

Robin, L., La pensée grecque . . , nouv. éd., Paris, 1963.

, Platon, nouv. éd., Paris, 1968.

Schuhl, P. - M., L'œuvre de Platon, 3 eme éd., Paris, 1961.

Taylor, A.E., Plato. The Man and his Work, London, 1926.

Vlastos, G., «The Unity of the Virtues in the Protagoras», Rev. of Metaph., XXV, 1972, pp. 415 - 58.

الفهارس التحليلية

فهـرس المفاهيم

(الأرقام تشير الى الصفحات المقدمة والنص والهوامش على السواء)

فهـرس الأعـلام

فهـرس الكلمـات اليونانيـة

الدكتـــور عزت قـــرنى

- افلاطـــون ، ((فيـــدون . فى خلود النفس)) ، القـــاهرة ، ١٩٧٣ (فاز هـــذا الكتاب بجائزة الدولة التشجيعية فى الفلسفة لعـــــام ١٩٧٥) .
- افلاطـــون ((محاكمـــة سقراط)) ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- ((الحكمـــة الأفلاطونيـــة)) ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- أولف جيجون ، ((المشكلات الكبرى فى الفلســـفة اليونانيـــة)) ، ترجمة عن الألمـــانية ، ١٩٧٥ .
- ((العدالة والحرية فى فجر النهضة الحديثة)) الكويت ، ١٩٨٠ .
- افلاطـــون ، ((فى الفضــــيلة . محاورة مينون)) ، القـــاهرة ، ١٩٨٢ .
- افلاطون ، ((فى السفسطائيين والتربية . محاورة بروتاجوراس)) ، القـــاهرة ، ١٩٨٢ .

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحانى ـ القاهرة
تليفون : ٧٤١٦٩٨ ـ ٧٤٤٠٧٦